



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى - كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا

مسالك توكيد حقوق المرأة ومقتضياتها

في القرآن الكريم

(دراسة بلاغية)

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير
في البلاغة والنقد

إعداد الطالب

عبد العزيز بن محمد علي نجمي

الرقم الجامعي: 42680295

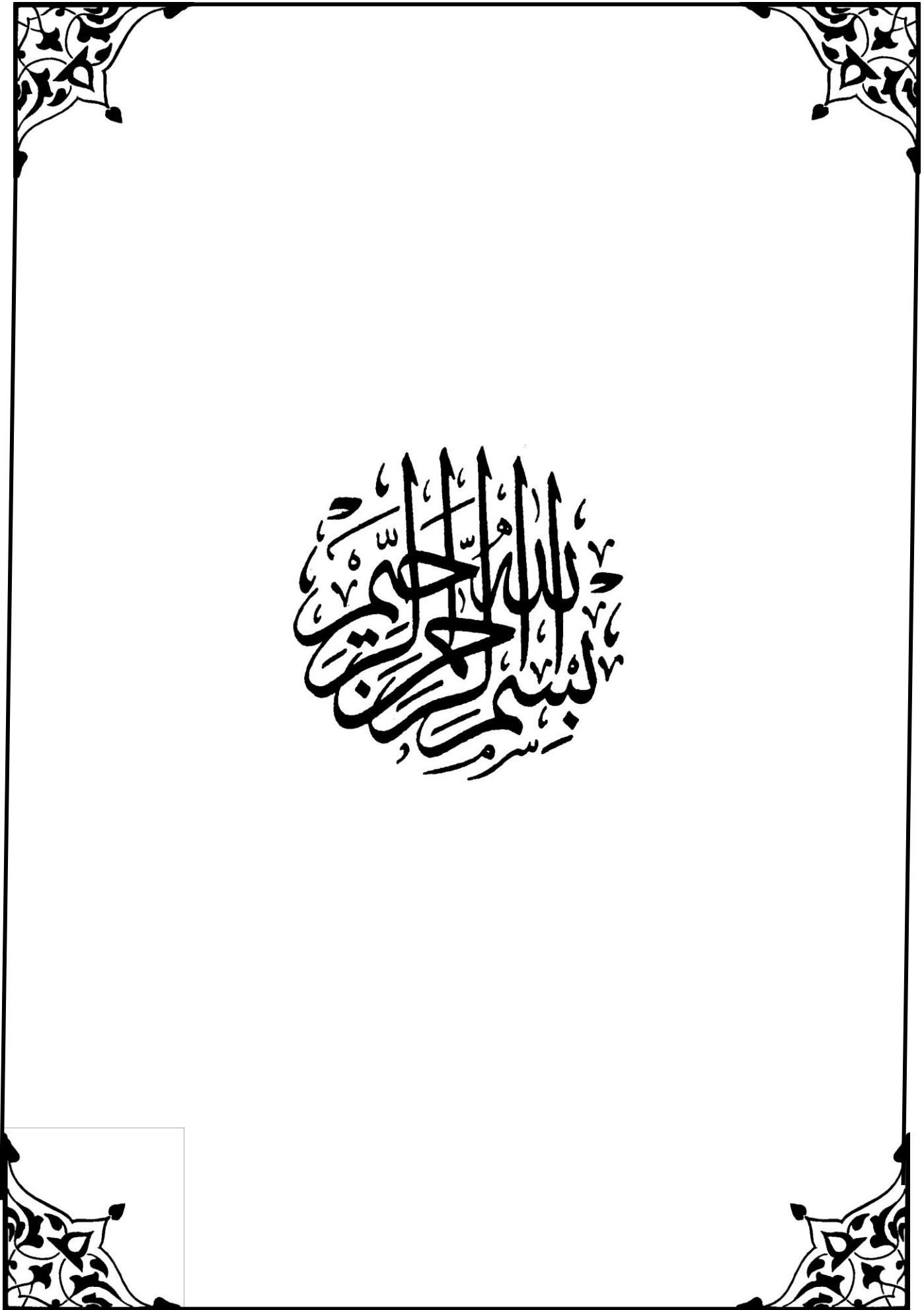
إشراف الأسناذ الدكتور

يوسف بن عبد الله الأنصاري

العام الجامعي

1430 - 1431 هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



ملخص الرسالة

عنوان الرسالة:

"مسالك توكيد حقوق المرأة ومقتضياتها في القرآن الكريم" دراسة بلاغية. اشتملت خطة البحث على مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة. ففي المقدمة أوضحت أسباب اختيار الموضوع، وأهميته، وعرضت للمنهج الذي تعالج به المسائل مناط البحث، كما أوجزت الخطة، وذكرت بعض الدراسات السابعة والصعوبات التي واجهتني. وفي التمهيد: اعتنيت بتحرير عنوان البحث وما يهدف إليه، وفي الفصل الأول: تتبعت، مسالك التوكيد ومقتضياتها في آثار العلماء وكشفت عن تفكيرهم إزاء هذا الأسلوب من حيث أثره في المعنى واقتضاء المقام له وتنوعه وفق الترتيب الآتي:

المبحث الأول: في آثار المفسرين، وشرح السنة.

المبحث الثاني: في آثار النقاد وشرح الشعر.

المبحث الثالث: في آثار البلاغيين.

المبحث الرابع: موازنة بين مناهج العلماء في دراسة مسالك التوكيد

ومقتضياتها.

وفي الفصل الثاني: تتبعت مسالك التوكيد في آيات حقوق المرأة على النحو

الآتي:

المبحث الأول: مسالك التوكيد بالأداة ومقتضياتها في آيات حقوق المرأة في

القرآن الكريم، دراسة للأدوات التي وضعت لإفادة التوكيد أو وضعت لغيره،

وضمنت معناه وأثر هذا في الأسلوب، ومدى اقتضاء المقام، والسياق لذلك، ومن

أهم هذه الأدوات (إن- قد اللام، حروف الطلب والزيادة).

المبحث الثاني: مسالك التوكيد بالأسلوب ومقتضياته في آيات حقوق المرأة في

القرآن الكريم.

وهو دراسة عن الأساليب المفيدة للتوكيد أو لغيره، وضمنت معناه، وبيان

مدى أثرها، ومدى اقتضاء المقام والسياق لذلك، ومن أهم هذه الأساليب (المصدر،

التكرار، التقديم والتأخير، القصر، الفصل والوصل، الإطناب، المقابلة، صور
البيان....).

المبحث الثالث: مشتبه النظم في مسالك توكيد حقوق المرأة في القرآن الكريم.
وفيه عناية بالتوجيه البلاغي لمشتبه النظم القرآني في توكيد هذه المعاني
والحقوق، وإظهار الفروق الأسلوبية التي تناسب مقتضيات الأحوال في الآيات
مناط الدراسة.

وفي الخاتمة: أوجزت ما انتهى إليه هذا البحث من نتائج، وما توصلت إليه
من توصيات، ثم أوردت الفهارس العامة.

اسم الطالب: عبد العزيز محمد علي نجمي.

التخصص: البلاغة والنقد.

الدرجة: الماجستير.

The summary of the thesis

The Title of the thesis:

*"The ways of emphasis of women's rights in
Holy Quran and their reasons"
A rhetorical study.*

The research plan includes an introduction, a preface, two chapters, and a conclusion.

In the introduction I explained the reasons for choosing the subject and I delineated its importance. I also mentioned the research methods, which are used in addressing the research issues, and I reviewed some previous studies. Finally, I described the difficulties I faced.

In the preface I addressed editing the title of the research and the aims of the research.

In the first chapter, I recorded the ways of emphasis and their reasons in the scholars' books and I reveal the scholars' ways of thinking toward this *technique* in terms of its impact on the meaning and its importance in the context and also its diversity. In the following order:

First topic: In the books of Holy Quran commentators and Sunna commentators.

The second topic: In the books of literary critics and poetry commentators.

The third topic: In the books of rhetoric scholars.

Fourth topic: This compared the scholars' methods in addressing the ways of emphasis of women's rights in Holy Quran and their reasons.

In the second Chapter, I recorded the ways of emphasis of women's rights and their reasons in the *ayats* (verses) of Holy Quran as follows:

First topic: The ways of emphasis of women's rights which use emphasizing words in the *ayats* of Quran and their reasons; a study of the words which have been developed for the benefit of emphasis or those which have been developed for the benefit of other purposes but which also add emphasis, and their impact on the style and their importance in the context.

The second topic: The ways of the emphasis of women's rights which use emphatic styles in the *ayats* of Quran and their reasons; a study of the styles which have been developed for the benefit of emphasis or those which have been developed for the benefit of other purposes but which also add emphasis, and their impact on the meaning and their importance in the context.

The third topic: the rhetorical reasons in the *ayats* which cover one topic but in different styles in the subject of women's rights and the role of emphasis in underscoring these meanings and rights. I also revealed the stylistic differences that suit the different situations in the *ayats* addressed.

In the Conclusion: I summarized the research results, and the recommendations, which I made, and then I reported the general indexes.

الإهداء

❖ إلى والدي رحمه الله:

إلى الإنسان الذي علمني كيف أكون إنسانا عن دما كان
كما يجب أن يكون الإنسان.

هل تشرق الأيام لست تضيؤها فضياؤها رغم السنا ظلماء

❖ إلى والدتي رحمها الله:

امرأة جعلتني أحترم المرأة....

"اللهم إنها آثرت حياتنا على حياتها لنعيش سعادة فأسعدها
برضوانك، واجمعنا بها في نعيم جناتك".

❖ إلى أخي العزيز أبي أحمد (علي النجمي).

إلى من ظهر في حياتنا بكل إخلاص واقتدار.

إلى من علمنا أن الأخوة قد تكون أبوة.



شكر وتقدير

ارتبط هذا البحث بمراجعة شرعية ولغوية، ومشورات علمية من أساتذة وزملاء، كما ارتبط بوقفة أسرية خالصة، ومساندة شعورية صادقة من الأقارب والأصدقاء، فلجميع مني الشكر والتقدير سائلاً الله أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم وواعداً أن أحفظ لهم معروفهم ما دمت حياً. وأخص بالشكر كلا من :

- 1- أستاذي المشرف الدكتور : يوسف الأنصاري رئيس قسم البلاغة والنقد على جهده الذي بذله في الإشراف على هذا البحث.
- 2- الأستاذ الدكتور : محمود توفيق، على عنايته بالبحث خلال إرشاده لي وحرصه على تقديم النافع المفيد.
- 3- الدكتور: حسين دغريري عميد شؤون المكتبات بجامعة جازان على متابعته الدائمة وسؤاله المستمر عن البحث وتكرمه بإبداء الرأي والمشورة.
- 4- الشيخ الدكتور: حسين محمد هاشم رئيس قسم الدراسات القرآنية بكلية المعلمين بجامعة جازان على فتح مكتبته الخاصة الثرية بأمهات الكتب والمصادر للبحث فيها والاستفادة منها.
- 5- الإخوة الأعزاء: شاكر وعطية محمد وعطية أحمد على وقفهم الصادقة، وتعاونهم المثمر.
- 6- الأستاذين الفاضلين محسن عكور وفيصل نجمي على مراجعتهم اللغوية الدقيقة والشاملة لمفردات البحث.
- 7- الشيخ عبد الله محمد حسين نجمي على تعاونه في تخريج الأحاديث والتوثيق من مصادر السنة.



المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن هدى للناس، وبينات من الهدى والفرقان، والصلاة والسلام على رسوله محمد سيد الأنام المبعوث إليهم كافة بنور الوحي ودين الإسلام، وعلى آل وصحبه الذين جاهدوا لرفع راية القرآن، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

فإن العيش في ظلال كتاب الله . واستشراف معانيه، والوقوف على أسرارهِ، يزيد المؤمن يقيناً وثباتاً، ويمنحه إيماناً ورشاداً ويمده بأسباب القوة والمعرفة المؤصلة على أساس متين.

وإذا كانت اللغة العربية تستمد شرفها ومكانتها من كتاب الله، فإن ارتباط الدرس القرآني بها، وارتباطها به يعين على إيرا ز مكانتها، وفهم مفرداتها، والتمكن من خطابها مع ما يجليه كل ذلك من إدراك أسرار القرآن المجيد، تلك الأسرار التي تتوعت وتعددت بتتوع أحكامه وأساليبه.

ومن أجل هذا حظيت الدراسات القرآنية باهتمام علماء الأمة قديماً وحديثاً حين حملوا لواء خدمة القرآن فصنفوا المصنفات، وأبلوا بلاء حسناً في الدفاع عنه، والكشف عن إعجازه وجمال تعبيره، وقوة بيانه.

وإذا كان القرآن الكريم مناط اهتمام الأمة، ومصدر مرجعيتها في السراء والضراء؛ فإن الحاجة إليه في هذا العصر أشد وأقوى حيث كثرت الفتن، وتعددت الأزمان، وتتوعت أساليب الأعداء في الزيل من ثوابت الأمة، فتنفنونوا في إثارة الشبهات وتزيين الأهواء في قضايا مصيرية تطال المنهج، وتحاول أن تقوّض بناء المجتمع المسلم.

ومن أبرز تلك القضايا قضية المرأة التي أصبحت حديث الساحة والساعة، وأضحت سلماً يضع عليه أهل الأهواء وخصوم الدين أقدامهم بغية الوصول إلى زعزعة روح الثقة بالمنهج القويم الذي ارتضاه الله لعباده.

ومن هنا نبعت أهمية هذه الدراسة محاولة أن تبرز جهود علماء الأمة في الدفاع عن الدين واللغة وحفظ كيان الأمة من بوابة الفقه البلاغي لأسرار كتاب الله

عز وجل في ضوء مسالك توكيد حقوق المرأة في القرآن الكريم، فكلام الله -عز وجل- معجز في نظمه وبيانه وأسلوبه الفريد الذي لا يضاهيه فيه أسلوب، وما يليقه من ظلال الأمن واليقين والسكينة والثقة في النفس البشرية.

وظاهرة التوكيد التي تتناولها الدراسة في هذه الآيات ظاهرة واضحة في القرآن الكريم أشار إليها العلماء، وبينوا ما تشتمل عليه من أسرار ولطائف. فالتوكيد من أهم الطرق التي يسعى القرآن من خلالها لتثبيت الفكرة في النفوس وتقرير المعنى في القلوب، وإزالة الشبهات من الطريق وحمل الناس على الإيمان والتسليم بقناعة ورضا.

وهذا البحث وإن سبق بجهود متنوعة تناولت فيه القضية من زوايا شرعية أو فكرية أو نحوية، فإنه من خلال مسلكه البلاغي وغايته الجمالية يحاول أن يسهم في إبراز المسالك التي نصت عليها الآيات في حقوق المرأة ليحقق بإذن الله شيئاً من بيان إعجاز القرآن، وبث اليقين في تربية الأمة والتي يكون سموها ورقبها ونهضتها بقدر ما يتوخى في تربيتها من اليقين والإيمان.

ويعود اختياري لهذا الموضوع لأسباب متعددة من أهمها:

أولاً: ما كان يستوقفني أثناء دراستي المنهجية عند دراسة أسلوب التوكيد الخبري، ثم دراسة الأساليب البلاغية الأخرى التي تتضمنه كالتقديم والتأخير والقصر وغيرها من نظر في مدى الالتقاء بينهما، فأحببت أن أقف في هذه الدراسة على ذلك من خلال النظر في التوكيد بوصفها باباً خاصاً، واعتباره غاية تسعى إليه وتحققه الأساليب الأخرى في ظل نص قرآني يجلي روعة هذا الأسلوب، ويمنحه وضوحاً، ويبرز مكانته الخاصة التي أشار إليها العلماء.

ثانياً: رغبتني أن تكون بدايتي متصلة بالجانب التطبيقي حتى أجمع بإذن الله بين الحسينيين العلم والفهم، ورغم صعوبة المسلك في ذلك، وما يحتاجه الوقوف أمام آيات الله من التأنى والمصابرة ودقة الفهم، ولاسيما لطالب علم مبتدئ ينشد طريق المعرفة، غير أن في توفيق الله وعونه، ثم في صرفحات الكتب وصدور العلماء ما يمنحني الثقة والطمأنينة في أن أقدم ما يشفع لهذه الدراسة

أن تكون حلقة في سلسلة الدراسات القرآنية خدمة لكتاب الله وإثراء للدراسات البلاغية.

ثالثاً: أهمية البحث لونه يجري في علم من أجل علوم العربية ألا وهو علم المعاني، والذي يستطيع طالب العلم من خلاله أن يتعرف على أسباب شرف الكلام، والنظر في أحوال تراكيبه وطبيعة العلاقات القائمة بين الجمل في السياق، وكل ذلك يساعد طالب العلم لبدء العمل البلاغي بوعي وبصيرة.

رابعاً: يتفياً البحث ظلال الذكر الحكيم، ويقف على شيء من مضامين الخطاب الإلهي لعباده من خلال إحياءات المسالك ودلالات التراكيب التي يومض بها السياق، محاولاً الخروج بنتائج تسهم في فهم أعمق لأسرار هذه المسالك واستكناه أبعاد النص القرآني، وفي هذا من المدد الإيماني والعلمي ما يجعل المسلم يعتز بدينه، ويحب لغته ويدافع عنها.

خامساً: حين يتناول البحث البلاغي قضية المرأة ذات البعد الفكري من هذا الباب، وفي ظل هذا الأسلوب إنما يسعى لتقرير هذه الحقوق وتثبيتها بتتبع طرائق عرضها ومسالك تقريرها، والقيم الجمالية التي يطويها كل مسلك من مسالك التوكيد في ضوء نص قرآني يمنح المخاطب فرصة التفكير والتأمل، والتواصل مع المعاني الجليلة التي تتضمنها الآيات المتعلقة بحقوق المرأة في القرآن الكريم، حتى تزداد النفوس اطمئناناً بالحق، ووثوقاً بالمنهج الإلهي حين ترى الحق محددًا بأوضح صورة وأعمق بيان.

سابعاً: يتقاطع في الموضوع أكثر من مجال من مجالات الدرس العلمي والبلاغي، حيث يستدعي النظر في هذه الآيات المتصلة بأحكام شرعية الوقوف على مصادر متنوعة في فهمها من كتب النحو واللغة والفقهاء وأصوله والقرآن وعلومه في سبيل تكوين رؤية واضحة تساعد على إبراز هذه الحقوق، كما يستدعي ذلك أيضاً استقراء عناصر القوة في القول، وطرق بناء الكلام من خلال إدراك الفنون البلاغية المتنوعة، وتتبع الظاهرة اللغوية (التوكيد) في سياقها الكامل المستوعب لكثير من أسرارها، وتغاير تراكيبها أو تماثلها، والكشف عن العلاقات الخاصة التي تربط عناصر النظم الأخرى بمسلك

التوكيد، وفي كل هذا من الثراء المنهجي والتدريب النفسي والإعداد العقلي،
والحراك الفكري، ما يمثل زاداً علمياً وقاعدة صلبة يكون طالب الدراسات
العليا بحاجة إليها.

ومما أقرره هنا أن بحث التوكيد من البحوث التي تناولتها أقلام الباحثين
وحملتها بطون الكتب، واستوعبها البحث النحوي خاصة— كما أن بعض الدراسات
البلاغية تناولت هذا الأسلوب من قريب أو بعيد، ويمكن لي هنا أن أجمل أبرز
الدراسات في هذا السياق والتي تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول:

دراسات لغوية ونحوية تناولت أسلوب التوكيد وسعت إلى تتبع مسالكه في
اللغة العربية وإظهار بعض خصائصه، وسرد تطور تلك المسالك على أيدي
النحاة، ومحاولة إحصاء مواضعها في القرآن الكريم.
ومن أبرز هذه الدراسات دراسة لإلياس أديب بعنوان "أساليب التأكيد في اللغة
العربية"، ودراسة أخرى للأستاذ عبد الرحمن المطردي بعنوان "أساليب التوكيد في
القرآن الكريم"، ودراسة ثالثة للدكتور "خليل أحمد عميرة"، بعنوان "أسلوب التوكيد
اللغوي في منهج وصفي في التحليل اللغوي"، وكل هذه الدراسات مطبوعة
ويضاف إلى نمط هذه الدراسات معظم البحوث الأكاديمية في هذا المجال كدراسة
محمد حسن أبو الفتوح بعنوان: "أسلوب التوكيد في العربية" وهي دراسة تقدم بها
الباحث للحصول على درجة الدكتوراه من جامعة الأزهر.

و**دراسة بعنوان:** "أسلوب التوكيد بين النحويين والبلاغيين حتى القرن السادس
الهجري"، تقدم بها الباحث أحمد عوض باحميص للحصول على درجة الماجستير
من جامعة عدن وهي دراسة حاول الباحث من خلالها الاستقراء النظري لأسلوب
التوكيد في التراث النحوي والبلاغي مقصوداً على عبد القاهر والزمخشري، تم
من خلاله جمع شتات ما توزع وتناثر في بطون المصادر النحوية وكتابي الإمام
عبد القاهر الجرجاني. مقتصرًا على بابي القصر والتقديم.

إلى غير ذلك من الدراسات النحوية الكثيرة في هذا المجال كدراسة الباحث طالب داؤود الرفاعي: "أسلوب التوكيد في القرآن الكريم"، ودراسة الباحث وفيق مصطفى الشعبي: "أساليب التوكيد في القرآن الكريم". ودراسة الباحثة منيرة محمود ياسين الحمد: "التوكيد أدواته وأساليبه في اللغة العربية"، وهذه الدراسات لا تتجاوز حدود النظر النحوي واللغوي باستظهار ما قرره النحاة في هذا الأسلوب.

القسم الثاني:

دراسات بلاغية يمكن تقسيمها إلى جانبين:

الجانب الأول:

دراسات تطرقت لأسلوب التوكيد في ضوء نص قرآني خاص كدراسة بعنوان: "أساليب التوكيد ومقتضياتها البلاغية في سورتي البقرة وآل عمران"، تقدم بها الباحث حمدي إبراهيم محفوظ لنيل درجة الدكتوراة في جامعة الأزهر. ودراسة بعنوان: "أساليب التوكيد ومقتضياتها البلاغية في سورة النساء": تقدم بها الباحث ياسر عبد الحمدي حسين لنيل درجة الدكتوراة بجامعة الأزهر أيضاً. وهاتان الدراستان، وإن تناولتا أسلوب التوكيد في بعض الآيات مناط الدراسة إلا أن تناولهما له لم يكن وافياً في ظل طول الآيات في هذه السور، بل إن تناول لم يشمل آيات أخرى حظيت بهذا الأسلوب وتضمنته ومثل خاصية في نظمها. إضافة إلى أن الدراستين كانتا محصورتين في نطاق السور الكريمة (البقرة- آل عمران- النساء) في حين اشتمل هذا البحث على آيات حقوق المرأة في القرآن الكريم كاملاً.

كما أن الدراستين اكتفتا في مجال التنظير بما ورد عن النحاة في أسلوب التوكيد في حين تتبع هذا البحث مسالك التوكيد في آثار العلماء في مختلف العلوم في فصل كامل.

الجانب الثاني:

تمثله دراسة بلاغية أخرى بعنوان: "من البلاغة القرآنية في آيات أحكام النساء" للباحثة أميرة عواد القايدي، وهي دراسة علمية لنيل درجة الماجستير في كلية التربية للبنات بجدة.

وقد تناولت هذه الدراسة آيات الأحكام الخاصة بالنساء، غير أن جوانب عديدة تصرفها عن الغاية التي يسعى إليها البحث.

ومن ذلك اهتمامها بجانب المعنى وتبويب البحث وفقاً لذلك في حين أخذت دراستي جانب الاهتمام بالأسلوب وملاحظة الآيات التي تبرز كل مسلك من مسالك التوكيد وفقاً لمنهج الدراسة الذي يتبنى التبويب حسب المسالك. كما أن الآيات التي تناولتها الباحثة اقتصرت على آيات الأحكام، أما هذه الدراسة فقد تناولت كل ما يتعلق بالمرأة من آيات.

كما أن تناول الباحثة لعلوم البلاغة الثلاثة (المعاني والبيان والبدیع)، جعل الإشارة إلى التوكيد خافضة لا تبرز في أثناء بحثها إلا لماماً، ومع هذا كله فقد أفاد البحث كثيراً من هذه الدراسات حيث مثلت نقطة البداية لما أهدف إليه في هذا البحث وأسهمت في تعميق النظر واستكناه الأسرار.

ونظراً لتنوع الحقول المعرفية في هذا البحث فقد اعتمدت على منهج تكاملي تفرسه طبيعة الموضوع في الجمع بين الاستقراء والتحليل، آخذاً في النظر كل ما يدعم الموضوع ويكشف وجهاً من وجوه القول فيه من خلال تتبع الآيات وتصنيفها والاعتماد على أمهات كتب التفسير والفقهاء وكتب الإعجاز القرآني والبلاغي، والوقوف على إشارات العلماء فيها، وتمييزها، والإضافة إليها حتى استقام لي -بفضل الله- طريق البحث، واستبان منهجه فقامت دراستي على مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة.

أما المقدمة فقد أوضحت فيها أسباب اختيار الموضوع والمنهج المتبع في الدراسة وبيان الدراسات السابقة، والإشارة إلى الصعوبات التي واجهتني في إعداد البحث، وأعتنى التمهيد بتحرير عنوان البحث، وكشف عن مفهوم التوكيد في اللغة والاصطلاح موضعاً أهميته ومكانته.

وأما فصلاً الدراسة فكانا على النحو التالي:

الفصل الأول:

مسالك التوكيد ومقتضياتها في آثار العلماء.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: في آثار المفسرين وشراح السنة.

المبحث الثاني: في آثار النقاد وشراح الشعر.

المبحث الثالث: في آثار البلاغيين.

المبحث الرابع: موازنة بين مناهج العلماء في دراسة مسالك التوكيد ومقتضياتها.

الفصل الثاني:

مسالك توكيد حقوق و المرأة ومقتضياتها البلاغية في القرآن

الكريم.

وفيه ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: مسالك التوكيد بالأداة ومقتضياتها في آيات حقوق المرأة في القرآن

الكريم.

المبحث الثاني: مسالك التوكيد بالأسلوب ومقتضياته في آيات حقوق المرأة في

القرآن الكريم.

المبحث الثالث: مشتبه النظم في مسالك توكيد حقوق المرأة في القرآن الكريم.

أما الخاتمة: فقد أوجزت فيها ما انتهى إليه هذا البحث من قضايا ونتائج توصلت

إليها.

وذيلت البحث بعد ذلك بفهارس عامة تخدم البحث وتسهل الوصول إلى

فصوله ومباحثه، وفي سبيل العناية بالبحث قمت بما يلي:

1 - التزمت بتوثيق الآيات خدمة للباحثين في البلاغة القرآنية كما التزمت

بتخريج الأحاديث للوقوف على صحتها وثبوتها.

أما الأبيات الشعرية فنظراً لكون المصادر التي اعتمدت عليها الدراسة

تعد في الغالب من مظان هذه الأبيات فقد عزفت عن توثيقها إلا ما

دعت الحاجة إليه أو جاء في طرف كلامي.

2 - اقتضت الحاجة في إيراد الشواهد الشعرية أن أشير أحياناً إلى الألفاظ الغريبة في الهامش.

3 - توسعت في تحليل بعض الآيات مراعاة للحق الذي تعالجه وارتباط مسالك التوكيد بعناصر النظم.

4 - اعتمدت على بعض الرموز للاختصار على النحو التالي : ب : بدون، ط: الطبعة، ت: التاريخ.

ويعلم الله أنني بذلت غاية جهدي في العناية بمطالب هذا البحث، ويكفي أنني ظللت مسكوناً به في الغدو والرواح والسفر والإقامة ساعياً إلى إضافة كل ما تلتقطه أذني، وتقع عليه عيني، وقد عانيت كثيراً في جمع شتات هذا البحث وإخراجه في صورة مناسبة، وواجهتني في سبيل ذلك بعض الصعوبات الناشئة من تشعب مباحثه وتداخل أمثلته وشواهد، وكون هذا البحث يتعامل مع نص قرآني يتناول الحقوق والأحكام وما يحتاجه ذلك من الصبر والفهم والمراجعة. كيف وهذه الآيات موضع خلاف بين أهل العلم، وكثيراً ما كنت أجد السكوت عن بعض مسالك التوكيد أو الإشارة العابرة دون بيان النوع أو الأسلوب، فكنت أجد في سبيل تحقيق المسألة إلى كتب الإعراب والفقه وسؤال أهل العلم، والبحث في أسباب النزول لإدراك فقه السياق.

وزاد من عناء البحث بعدي عن المكتبات العامة، وارتباطي بمهمة التعليم. وأحسب أن هذا العمل كان ثمرة جهد متواصل خلال سنواته الأربع، ورغم ذلك فلا أزعم أن هذه الدراسة قد استوفت ما في هذه الآيات من مسالك وأسرار فذلك أمر بعيد المنال، ولكنني اجتهدت قدر وسعي وطاقتي ، فإن يكن التوفيق والسداد فذلك فضل رب العباد، وإن تكن الأخرى فتلك طبيعة النفس البشرية التي يعوزها الكمال ويعتريها النقص، راجياً أن تكون هذه الدراسة فاتحة لبحوث ودراسات أخرى أكثر دقة وشمولاً وعمقا.

وإنني حين أقدم هذه الرسالة لأتوجه إلى الله سبحانه وتعالى بالشكر والحمد على تيسيره وعونه وتوفيقه، ثم أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان بالجميل لأستاذي المشرف على هذه الرسالة الدكتور يوسف الأنصاري، والذي أشهد وقد شرفت

بإشرافه أنني وجدت فيه من العلم والصبر وحسن الخلق ما كان عاملاً كبيراً في إتمام هذا العمل، فلم يدخر وسعاً في توجيهه أو تشجيعه وقد فتح لي باب علمه وقلبه أطرقه متى أشاء دون أن أسمع منه كلمة ملل أو ضجر.

والشكر موصول لأستاذي الفاضل الدكتور محمود توفيق الذي كان له الفضل بعد الله في بذر فكرة الموضوع والعناية به خلال إرشاده لي وحرصه على تقديم العون والمساعدة.

كما يسرني أن أتقدم بوافر الشكر إلى وزارة التربية والتعليم التي هيأت لي سبيل الإيفاد وتفضلت عليّ بهذه الفرصة الغالية.

كما أقدم شكري وتقديري إلى جامعة أم القرى ممثلة في كلية اللغة العربية وإلى المسؤولين فيها على قبولهم ورعايتهم لي خلال هذه الدراسة.

وأخص بالشكر الجزيل سعادة عميد كلية اللغة العربية، وسعادة رئيس قسم الدراسات العليا العربية، كما أنني أشكر شكراً جزيلاً أعضاء اللجنة الأجلاء الذين نظروا في هذا الجهد المتواضع بعين التقويم والتسديد ، راجياً أن ينفعني الله بتوجيهاتهم وآرائهم.

كما لا أنسى في هذا المقام أن أشكر كل من قدم لي يد العون والرعاية من أستاذ وزميل وصديق وصاحب مكتبة، سائلاً الله تعالى أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم.

وأخص بالشكر زوجتي العزيزة التي تحملت معي عناء البحث، وبذلت جهدها في تذليل كل عقبة أو صعوبة داعياً الله أن يحفظها ويجزل لها المثوبة.

وختاماً أسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به المسلمين إنه سميع مجيب.



التهـيـد

يعد التوكيد من الأساليب التي تجري على ألسنة العرب، وهو غرض أصيل يهدف إليه القرآن في الدعوة إلى مبادئه؛ ذلك لأن التوكيد "من أهم العوامل لبث الفكرة في نفوس الجماعات وإقرارها في قلوبهم إقراراً ينتهي إلى الإيمان بها"⁽¹⁾.
وبمراجعة المصادر اللغوية يتضح ما يلي:

1 - أن التوكيد والتأكيد لغتان بمعنى واحد يقال وكدت القول والفعل وأكدته: أحكمته⁽²⁾.

وجاء في اللسان: أكد العهد والعقد: لغة في وكده، والتأكيد في اللغة التوكيد، دست الحنطة ودرستها وأكدها ووكد العقد والعهد أو ثقة، والهمز في لغة يقال أوكدته وأكده وبالواو أفصح أي شددته⁽³⁾.

2 - أن التوكيد والتأكيد يدوران حول التوثيق والإحكام والتقرير: "فأكد الشيء بمعنى وثقة وأحكمه وقرره فهو أكيد وأكد إيكادا: وثقه وأحكمه يقال: قول مؤكد وعين مؤكدة"⁽⁴⁾. قال تعالى: "ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها"⁽⁵⁾.

3 - بالنظر في استعمال الكلمتين (توكيد-تأكيد) يتضح شيوع كل منهما على الألسنة، وقد رأيت من خلال البحث في آثار العلماء تنوع الاستعمال لهما.

-
- (1) من بلاغة القرآن، أحمد بدوي، (القاهرة: مكتبة نهضة مصر، ب.ط، 2003م)، ص112.
(2) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، (بيروت: دار المعرفة، ط الأولى، 1418هـ-1998م) مادة: وكد.
(3) لسان العرب، ابن منظور، (بيروت: دار إحياء التراث، ب.ط، ب.ت)، مادة أكد، وكد.
(4) المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين (تركيا: المكتبة الإسلامية، ط الأولى، 1392هـ-1972م).
مادة أكد، وكد.
(5) سورة النحل الآية:91.

أما التوكيد في الاصطلاح فهو أسلوب يراد به تمكين الشيء في النفس، وإزالة اللبس والشكوك من خلال أدوات وأساليب يلجأ إليها المتحدث أثناء كلامه⁽¹⁾.

ويرى الرازي أن: "التأكيد هو تقوية الحكم الذي كان ثابتاً في الأصل"⁽²⁾.

"والكلام إذا تأكد تقرر، وصار حقيقة لا مرأء فيها، وبات لاشك ولا نزاع يدور حوله"⁽³⁾.

ومن أجل هذا شاع في القرآن الكريم، واشتملت عليه الآيات ومنها ما تناولته الدراسة في هذا البحث.

ومسالك التوكيد كثيرة، ويقصد بها الطرق⁽⁴⁾ التي يلجأ إليها المتكلم لتوكيد كلامه.

أما حقوق المرأة فيقصد بها تلك المزايا والحقوق التي نصت عليها الشريعة وقررها الله في القرآن الكريم، ومن معاني الحق في اللغة الثابت والنصيب الواجب للفرد أو الجماعة⁽⁵⁾. وما يعتبر حقاً لشخص لشخص يشكل واجباً على شخص آخر بإقرار الشرع، وحماية القانون الإسلامي⁽⁶⁾.

(1) انظر: الطراز، يحيى بن حمزة العلوي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ب. ط، ب. ت)، ج2، ص176، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، كامل المهندس، (بيروت مكتبة لبنان، ط الثانية، 1984م).

(2) التفسير الكبير، الرازي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط الثالثة، ب. ت)، ج3، ص572.

(3) أساليب التوكيد في القرآن الكريم، عبد الرحمن المطردي، (ليبيا: دار الجماهيرية، ط الأولى، 1395هـ-1986م)، ص14.

(4) انظر: لسان العرب، مادة سلك، المعجم الوسيط، مادة سلك.

(5) انظر: المصدر السابق: مادة حق وانظر: مختار الصحاح، الرازي، (بيروت: دار الفكر، ب. ط، ب. ت)، ص147، مادة حقق.

(6) انظر: "حقوق الإنسان في الإسلام"، د. إبراهيم عبد الله المرزوقي: (أبو ظبي: المجمع الثقافي، ط الرابعة، 1426هـ-2005م)، ص146، 145، وانظر: عناية القرآن بحقوق الإنسان، دراسة

وسوف أسعى من خلال هذا البحث إلى تتبع حقوق المرأة ومسالك
توكيدها في القرآن الكريم، معتمداً في ذلك على كلام العلماء، وعلى ما يفيض
به النص من عناصر التركيب التي تتآزر في سبيل إيضاح الحقائق وبيان
الحقوق.

ولقد قام العلماء بتتبع مواقع هذا الأسلوب من البيان، وتتبع دلالات
مسالكه، ولو ذهبت الدراسة في استقصاء حضور التوكيد في فهمهم وتحليلهم
للنصوص لطلال المجال، ولكن حسب الدراسة هنا أن تشير إلى معالم من ذلك
واضحة، فالمقام لا يتسع لذكر مواقع التوكيد في كل المصادر، وليس هذا من
مهام البحث، وسأكتفي بتتبع ذلك في أهم المصادر على سبيل التمثيل لا
الحصر، ثم أشرع في تطبيق ذلك على آيات حقوق المرأة.



الفصل الأول

مسالك التوكيد ومقتضياتها البلاغية
في آثار العلماء

الفصل الأول

مسالك التوكيد ومقتضياتها البلاغية في آثار العلماء

المبحث الأول:

في آثار المفسرين وشرح السنة .

المبحث الثاني:

في آثار النقاد وشرح الشعـر .

المبحث الثالث :

في آثار البلاغيين .

المبحث الرابع:

موازنة بين مناهج العلماء في
دراسة مسالك التوكيد ومقتضياتها .

المبحث الأول

في آثار المفسرين وشراح السنة

استطاع المفسرون وشراح السنة من خلال فقههم باللغة وإدراك أسرارها أن يقفوا على أثر الأساليب في أداء المعاني، والإبانة عن الغرض المقصود.

وقد حظي أسلوب التوكيد بجميل عنايتهم باعتباره وسيلة قادرة على التبليغ والإقناع، وهذا ما تهدف إليه آيات الذكر الحكيم وأحاديث السنة النبوية، ويعد من مقاصد الشريعة الإسلامية، وكانت جهود المفسرين أكثر تميزاً في بيان هذا الأسلوب، وما فيه من لطائف وأسرار.

واتسعت مباحث التوكيد عند المفسرين، وتعددت وجوهها ذلك أنها تنطلق في رحاب القرآن الكريم حيث يتردد فيه هذا الأسلوب كثيراً، وهي ظاهرة واضحة أشار إليها من قبل العلامة أبو السعود بقوله:

"والتوكيد كثر سلوكه في التنزيل المجيد، كيف لا، وكل ما ورد في تضاعيفه على العباد من الأحكام والشرائع، وغير ذلك خطوب جليلة حقيقة بأن تقشع منها الجلود، فاقتضى الحال المبالغة والتأكيد"⁽¹⁾.

كما أن أحاديث السنة تفيض بقدر من هذا الأسلوب جعل العلماء يحتفون به، يثيرون النوي إلى ذلك موضحاً أن الغرض من: "تأكيد الكلام وبقخيمه ليعظم وقعه في النفس"⁽²⁾. ويرى ابن حجر أن "التأكيد إنما يقع في الكلام البليغ"⁽³⁾.

ويدرك الباحث المتأمل في كتب التفسير وشروح الحديث وما تعلق بهما ودار حولهما من دراسات ما فيها من إشارات وبيان لعناصر التوكيد مما هو جدير بلنّ يحظى بدراسة مستقلة تكشف عن دقة النظر وسعة التفكير واتساع

(1) "إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم"، أبو السعود: محمد بن محمد العمادي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ب.ت، ب.ط) ج1، ص58.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي، أبو بكر زكريا يحيى بن شرف النووي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط الثالثة، ب.ت) ج1، ص196.

(3) "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، (القاهرة: دار الريان للتراث، ط الثالثة، 1409هـ-1988م)، ج4، ص55، وانظر: "عمدة القارئ، شرح صحيح البخاري"، الإمام العيني، ضبطه وصححه: عبد الله محمود عمر، (بيروت: دار الكتب العلمية، ب.ط، ب.ت)، ج10، ص186.

المفاهيم وتعدد المصطلحات المتصلة بهذا الجانب، ولأن بعض هذه الأساليب تتعلق بالبحث النحوي الخالص، إضافة إلى الدراسات التي ألفت بشيء مما يتصل بهذا الأسلوب عند المفسرين في ثنايا بحوثهم⁽¹⁾. فإن التركيز هنا سيكون على ما يتصل بالبحث البلاغي من عناصر التوكيد التي أشار إليها العلماء في هذا المجال، وبين يدي مادة و افرة من نصوصهم غير أن طبيعة البحث تقتضي الاقتصار على بعض هذه الأساليب وتوخي الإجمال والإيجاز قدر الإمكان، لأن التتبع الدقيق يحتاج إلى بحوث قائمة بذاتها ، بهدف التوغل في الأساليب واستبطان سياقاتها وأولوياتها، وهذا مما لا أهداف إليه في هذا البحث. وسيكون الحديث عنها حسب ما يلي:

أولاً: التوكيد بالأداة :

لم تغب أدوات التوكيد المباشرة عن نظر المفسرين وشراح السنة وهم الذين تشربوا روح اللغة والنحو، ولهم في ذلك لمسات بيانية حولها يمكن للباحث أن يجد شيئاً منها من خلال ما تقيده الدراسة هنا، ومن أهم تلك الأدوات ما يلي :

1- (إنَّ) :

التوكيد بهذه الأداة نمط شائع في القرآن الكريم والسنة النبوية، فمن المقرر عندهم أنَّ الأداة (إنَّ) : "حرف توكيد يتشبهت بالجملة المتضمنة الإسناد الخبري"⁽²⁾.

(1) انظر: "البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية "، د. محمد محمد أبو موسى، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط2، 1408هـ - 1988م)، ص417-420.
"مباحث علم المعاني في ضوء تفسير روح البيان"، عبد الحافظ محمد حامد، رسالة دكتوراة (القاهرة: جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، 1409هـ - 1989م)، ص130-145، "خصائص بناء الجملة القرآنية ودلالاتها البلاغية في تفسير التحرير والتوير"، إبراهيم على الجعيد، رسالة دكتوراة (جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، 1419هـ - 1999م)، ص18-131.
(2) "البحر المحيط"، أبو حيان: محمد بن يوسف الأندلسي، (بيروت: دار الفكر، ب. ط، 1412هـ - 1992م) - ج1، ص44.

ويشير صاحب عون المعبود أيضاً إلى أن التوكيد بـ(إن) يقتضي تحقيق الخبر وتثبيته وأنه مما لا يدخله ريب ولا شك⁽¹⁾.

في ضوء ذلك رأوا أن الخبر يؤكد بحسب حال المخاطب، ومن الآيات المعلومة في هذا قوله تعالى: ﴿ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴾⁽²⁾.

فهنا أكد الرسل كلامهم بمؤكد واحد، وحين اشتدت المواجهة وعلت نبرة الإنكار زادوا في تأكيد خبرهم: ﴿ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴾⁽³⁾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾⁽³⁾.

فأكدوا الخبر بـ(إن) واسمى الجملة واللام المؤكدة والقسم وإعادة كلامهم، فالأول ابتداء إخبار، والثاني جواب عن إنكار⁽⁴⁾.

هذا التقسيم لأضرب الخبر اقتصر الكلام فيه على ضربين فقط، وهو مخالف لما نص عليه البلاغيون في هذا الشأن.

" فإن كان المخاطب خالي الذهن من الحكم والتردد فيه استغنى عن مؤكدات الحكم، وإن كان المخاطب متردداً فيه (أي في الحكم) طالباً له حسن تقويته بمؤكد، وإن كان المخاطب منكرراً للحكم حاكماً بخلافه وجب توكيده أي الحكم بحسب الإنكار قوة وضعفاً ويسمى الأول: ابتدائياً، والثاني طلبياً والثالث إنكارياً"⁽⁵⁾. ولعل الزمخشري كما ذكر ذلك السبكي: " لم يعن أن

(1) انظر: "عون المعبود شرح سنن أبي داود"، شمس الحق: محمد العظيم أبادي (بيروت: دار الكتب العلمية، ط الأولى، 1410هـ - 1990م)، ج 5، ص 179.

(2) سورة يس الآية: 13-14.

(3) سورة يس الآية 15-16.

(4) انظر: "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، مراجعة: يوسف الحمادي، (مصر: الفجالة، مكتبة مصر، ب. ط، ب. ت)، ج 3، ص 646، وانظر: إرشاد العقل السليم، ج 7، ص 162.

(5) انظر: "الإيضاح في علوم البلاغة". الخطيب القزويني، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي (بيروت: دار الجيل، ط الثالثة، ب. ت)، ج 1، ص 69، و"المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم": سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط الأولى، 1422هـ - 2001م)، ص 20.

الخطاب ابتدائي، بل يريد أنه خبر أول، فلذلك لم يحتج لكثرة التأكيد، ولا شك أنه أول خبر صدر من الثلاثة⁽¹⁾.

وبوجه عام فإن المفسرين وشرح السنة لحظوا أنه كلما اشتد الإنكار زادت المؤكدات، وأن عناصر التوكيد قد تتزاحم وتتكاثر في جملة واحدة . يقول أبو حيان في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾⁽²⁾.

لما كانت هذه الجملة إخباراً عن حالة معينة في الآخرة احتاجت إلى مزيد تأكيد بـ(إنَّ واللام) بخلاف حال الدنيا المشار إليه بقوله " ولقد اصطفيناه في الدنيا" فإن أرباب الكمال قد علموا اصطفاء الله له في الدنيا بما شاهدوه فيه ونقلوه جيلاً بعد جيل، وأما كونه في الآخرة من الصالحين فأمر مغيب عنهم يحتاج فيه إلى إخبار من الله تعالى فأخبر الله به مبالغاً في التوكيد⁽³⁾.

ويقول ابن حجر في قوله صلى الله عليه وسلم: " لئن عشت لأصومنَّ التاسع والعاشر " أي تأكيد أبلغ من هذا؟⁽⁴⁾. ومن هذا ما ذكره صاحب عون المعبود حول ما روي أن رجلاً أتوا سهل بن سعد الساعدي وقد امتروا في المنبر مم عوده؟ فسألوه عن ذلك فقال: "والله إنني لأعرف مما هو".

قال: قوله: " والله إنني لأعرف مما هو " إنما أنتي بالقسم مؤكداً بالجملة الاسمية وبلين التي للتحقيق وبلاد التأكيد في الخبر لإرادة التأكيد فيما قاله للسامع⁽⁵⁾

فالاختلاف بين السائلين وكثرة الجدل دعا الصحابي الجليل إلى تضمين خبره كل هذه المؤكدات حتى يتم القول الفصل في القضية.

(1) "عروس الأفراح شرح تلخيص المفتاح"، أحمد بن علي السبكي، تحقيق: د. خليل إبراهيم خليل، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط. الأولى، 1422هـ-2001م)، ج1، ص236. وانظر: "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني" شهاب الدين محمود الأوسي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط. الرابعة، 1405هـ-1985م)، ج22، ص922.

(2) سورة البقرة: الآية: 130.

(3) البحر المحيط، ج1، ص372، وانظر أيضاً: ج3، ص129، من نفس المصدر حول قوله تعالى: " إن الله فقير ونحن أغنياء " آل عمران: 181.

(4) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج4، ص290. باب صيام يوم عاشوراء.

(5) عون المعبود، ج3، ص418، 419.

والباحث يدرك أن العلماء هنا: تلمسوا أيضاً الفروق البيانية وأسرار التأكيد بهذه الأداة من خلال الموازنة بين النصوص، ويتصل هذا بما يسميه البلاغيون الخروج على خلاف مقتضى الظاهر، من ذلك على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ (1) يكشف أبو حيان عن سر المبالغة في توكيد الجملة الأولى دون الثانية فيقول: "بولغ في تأكيد ذلك تنبيها للإنسان أن يكون الموت نصب عينيه ولا يغفل عن ترقبه فإن ماله إليه فكأنه أكد جملته ثلاث مرات لهذا المعنى، لأن الإنسان في الحياة الدنيا يسعى فيها غاية السعي، ويأكل ويجمع حتى كأنه مخلد فيها فنبه بذكر الموت مؤكداً مبالغاً فيه ليقصر وليعلم أن آخره إلى الفناء فيعمل لدار البقاء، ولم تؤكد جملة البعث إلا بـ(إن) لأنه أبرز في صورة المقطوع به الذي لا يمكن فيه نزاع ولا يقبل إنكار وأنه حتم لا بد من كيانه فلم يحتج إلى توكيد ثان" (2).

وفي كلام ابن حجر حول قوله عليه السلام: "فو الله إن أحدكم ليعمل بعمل... الحديث، ما يدل على شيء مما نحن فيه حيث يقول: "اشتملت هذه الجملة على أنواع من التأكيد... والأصل في التأكيد أن يكون لمخاطبة المنكر أو المستبعد أو من يتوهم فيه شيء من ذلك، وهنا لما كان الحكم مستبعداً وهو دخول من عمل الطاعة طول عمره النار وبالعكس حسن المبالغة في تأكيد الخبر بذلك" (3).

وهكذا فقد ينزل غير المتردد منزلة المتردد والعكس وكل ذلك يجري في بلاغة وإتقان ويحمل معه أسراراً ولطائف يعجز عن بيانها اللسان. ووقف المفسرون خاصة عند دواعي التوكيد وأغراضه البلاغية فقد يكون التوكيد لتقرير المعنى في نفس المخاطب وتثبيته وإن كانت خالية من كل أثر للإنكار والشك، ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ (4)

(1) سورة المؤمنون الآية: 14-15.

(2) البحر المحيط، ج6، ص399.

(3) فتح الباري، ج11، ص495.

(4) سورة الإنسان الآية: 23.

يقول الزمخشري: "تكرير الضمير بعد إيقاعه اسماً لـ (إن) تأكيد على تأكيد لمعنى اختصاص الله تعالى بالتنزيل ليقرر في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه إذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله على أي وجه نزل إلا حكمة وصواباً، ولقد دعنتي حكمة بالغة إلى أن أنزل عليك الأمر بالقتال والانتقام بعد حين...." (1).

وقد يؤكد الأمر المحقق البعيد عن التردد والإنكار لغرابة الخبر، وحرص المتكلم على أن يؤنس به نفس المخاطب ويو طنه على تلقيه كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِّنْهَا بِقَبَسٍ...﴾ (2).

قال الزمخشري: لما وجد من الإيناس فكان مقطوعاً متيقناً حقه بكلمة (إن) ليوطن أنفسهم، ولما كان الإتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين بزى الأمر فيهما على الرجاء والطمع وقال "علي" ولم يقل "إني آتيكم لنألا يعد ما ليس بمستيقن الوفاء به" (3).

إلى غير ذلك من الدواعي والأغراض التي جاء التوكيد فيها على نهج فريد في مراعاة الأحوال والمقامات (4)، والتي يظهر من خلالها أن التأكيد بـ (إن) ليس لدفع الإنكار فحسب بل يشمل مقامات غير ذلك.

2- (لام الابتداء):

تدخل على المبتدأ فتفيد توكيد مضمون الجملة كما في قوله تعالى :
﴿لِيُؤْسَفَ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيَّ أَيْبِنَا مِنَّا﴾ (5).

(1) الكشاف، ج 4، ص 520.

(2) سورة طه الآية: 10.

(3) الكشاف، ج 3، ص 136.

(4) للاستزادة في هذه القضية أو المسألة انظر: "البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية"، ص 413-417، و"من أسرار التعبير بالحروف المشبهة بالفعل (إن وأخواتها) في القرآن الكريم"، د. هاشم محمد هاشم، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ط الأولى، 1414هـ-1994م)، ص 42-54.

(5) سورة يوسف: الآية 8.

" فاللام في ليوسف لام الابتداء، وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة، أرادوا أن زيادة محبته لهما أمر ثابت لا شبهة فيه" (1).

وكذلك أيضاً تدخل على الخبر فتفيه توكيد مضمون الجملة كما في قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ (2).

ذكر الزمخشري أن "اللام للابتداء دخلت على الخبر لتأكيد مضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولأنت سوف يعطيك...ومعناه أن العطاء كائن لا محالة وإن تأخر لما في التأخير من المصلحة" (3).

وهكذا أيضاً يجري الكلام حول هذه اللام عند شرح السنة (4).

3- (نونا التوكيد):

وهما حرفان يتصلان بالفعل الدال على الاستقبال لتوكيده وتقويته (5). والقول بتوكيدهما للفعل عند المفسرين وشرح السنة واضح وظاهر لا يحتاج إلى بيان؛ لمجيء ذلك كثيراً في آيات القرآن الكريم وأحاديث السنة الشريفة، وبيانهم لا يتجاوز حدود الإشارة إليهما فقط (6).

4- (قد)

المقصود بها " قد الحرفية المختصة بالفعل المتصرف الخبري المجرد من جازم وناصب وحرف تنفيس، وهي معه كالجاء فلا تفصل منه بشيء اللهم إلا بالقسم" (7).

(1) الكشف، ج2، ص447، البحر المحيط، ج5، ص275.

(2) سورة الضحى: آية 5.

(3) انظر: الكشف، ج4، ص604.

(4) انظر: عمدة القارئ، ج1، ص164، ج10، ص156، فتح الباري، ج2، ص189، ج13، ص94، ج1، ص91.

(5) الكتاب: سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، (بيروت: عالم الكتب، ب.ط، ب.ت)، ج2، ص149.

(6) انظر مثلاً: الكشف، ج3، ص330، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ب.ط، 1413هـ-1993م)، ج6، ص255، روح المعاني، ج4، ص18، عمدة القارئ، ج5، ص453، فتح الباري، ج1، ص561، 643.

(7) مغني اللبيب عن كتب الأعراب"، ابن هشام : يوسف بن أحمد الأنصاري، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية، ب . ط، 1407هـ-1987م)، ج1، ص171.

وهي حرف يفيد التحقيق والتوقع إذا دخل على الفعل الماضي المثبت
والتحقيق هو معنى التأكيد وفي إشارات بعض العلماء إلى أنها إذا دخلت على
المضارع قلبه من التقليل إلى التحقيق⁽¹⁾.

ونظراً لإفادة هذا الحرف غالباً معنى التوكيد والتثبيت في دخوله على
الجملة الفعلية شبهه بعض النحاة بـ(إنّ) في الجملة الاسمية فهو يفيد ما تفيد
(إنّ) لتوكيد مضمون الجملة⁽²⁾.

يقول الزمخشري في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ﴾⁽³⁾. "فقد هدي فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول: إذا جئت فلانا
فلانا فقد أفلحت، كأن الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصلًا"⁽⁴⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾⁽⁵⁾. "تجد أن الكلام قد صدر
بكلمة التحقيق لزيادة تقرير مضمونه"⁽⁶⁾. ومن ذلك قوله عليه السلام: "من
جهز غازياً فقد غزا"⁽⁷⁾.

قال النووي: "فقد غزا" أي حصل له أجر بسبب الغزو⁽⁸⁾. وقد تأتي قد
مع الفعل المضارع فتفيد تأكيد الكلام وتقويّه، يظهر ذلك واضحاً فيما ذكره
بعض المفسرين حول قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾⁽⁹⁾.

حيث "أدخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق
ومرجع توكيد العلم إلى توكيد الوعيد، والمعنى أن جميع ما في السموات

(1) انظر: "أساليب التوكيد في القرآن الكريم"، عبد الرحمن المطردي، (طرابلس: دار الجماهيرية، ط
الأولى، 1395هـ-1986م)، ص 83، 84.

(2) انظر: "الإتقان في علوم القرآن"، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت:
المكتبة العصرية، ب.ط، 1418هـ-1997م)، ج1، ص191، وانظر: مغنى اللبيب، ج1، ص171.

(3) سورة آل عمران الآية: 101.

(4) الكشاف، ج1، ص346.

(5) سورة البقرة الآية: 256.

(6) إرشاد العقل السليم، ج1، ص249.

(7) "صحيح البخاري"، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، (بيروت: دار إحياء التراث العربي،
ب.ط، ب.ت)، ج3، ص84، حديث 2778، "صحيح مسلم"، مسلم بن الحجاج، (بيروت: دار الكتب
العلمية، ب.ط، 1992م) ج13، ص35، حديث 4858.

(8) شرح النووي، ج13، ص40، وانظر: عون المعبود، ج7، ص123-134.

(9) سورة النور الآية: 64.

والأرض مختصة به خلقاً وملكاً وعلماً، فكيف يخفى عليه أحوال المنافقين وإن كانوا يجتهدون في سترها عن العيون⁽¹⁾.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾⁽²⁾.
"فقد أدخل قد توكيداً لعلمه بما يقولون"⁽³⁾.

5- (السين وسوف):

"كثيراً ما تفيد سوف والسين توكيد الوعيد"⁽⁴⁾.

يقول صاحب عون المعبود: "والسين تأتي لمجرد التأكيد"⁽⁵⁾. فإذا نظر الباحث إلى تطبيق ذلك على النص رأى ما أفرغ فيه المفسرون خاصة كثيراً من بيانهم في أثر هذين الحرفين على المعنى.

يقول الزمخشري في قوله تعالى: ﴿...أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ...﴾⁽⁶⁾. فالسين مفيدة وجوب الرحمة لا محالة، فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في قولك: سأنتقم منك يوماً يعني: إنك لا تقوتني وإن تبطأ ذلك"⁽⁷⁾.

وذكر الألوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَعَجِزِي الشَّاكِرِينَ﴾⁽⁸⁾. أن السين للتوكيد حيث قال: "وجملة سنجزي الشاكرين تذييل مقرر لمضمون ما قبله ووعد بالمزيد عليه، وفي تصديرها بالسين وإبهام الجزاء من التأكيد والدلالة على فخامة شأن الجزاء"⁽⁹⁾.

(1) الكشاف، ج3، ص311، البحر المحيط، ج6، ص477.

(2) سورة النحل الآية: 103.

(3) انظر: إرشاد العقل السليم، ج5، ص141، روح البيان، إسماعيل حقي البرسوي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ب.ط، ب.ت)، ج5، ص82.

(4) روح المعاني، ج5، ص86.

(5) عون المعبود، ج2، ص215.

(6) سورة التوبة جزء من الآية: 71.

(7) الكشاف، ج2، ص315، وقد رأى أبو حبان أن في توجيهه الزمخشري لأثر السين دفيئة اعتزالية تدور حول وجوب إثابة الطائع وعقوبة العاصي، ورأى أبو حبان أن مدلول السين هنا هو تخلص المضارع للاستقبال فقط، ولما كانت الرحمة هنا عبارة عما يترتب على تلك الأعمال الصالحة من الثواب والعقاب في الآخرة أتى بالسين التي تدل على اتصال الفعل " انظر: البحر المحيط، ج5، ص71.

(8) سورة آل عمران الآية: 145.

(9) روح المعاني، ج4: ص61.

وهكذا أيضاً ما سطره حول "سوف" يقول الزمخشري في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (1).

"معناه أن إيتاءها كائن لا محالة وإن تأخر فالغرض به توكيد الوعد وتثبيته لا كونه متأخراً" (2).

وتبين مما سبق أن حديث المفسرين حول هذين الحرفين يختص بالفائدة المعنوية فدخولهما على ما يفيد الوعد أو الوعيد مقتض لتوكيده وتثبيت معناه كما يذكر النحاة (3).

6- (أَلَا) :

تنبئ ألا التنبيهية بظورة ما بعدها فتفيد التحقيق والتوكيد، يقول الزمخشري: "ولكونها- ألا التنبيهية- بهذا المنصب من التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها إلا مصدرية بنحو ما يتلقى به القسم" (4).

وقد نلتقي (إنَّ) مع هذا الحرف فتزيد في تقرير مضمون الجملة نحو قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ (5)، فالآية "رد من جهته جهته تعالى لدعواهم المحكية أبلغ رد، وأدله على سخط عظيم، حيث سلك فيه مسلك الاستئناف المؤدي إلى زيادة تمكن الحكم في ذهن السامع، وصدرت الجملة بحرفي التأكيد" (6)، وفي قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (7).

(1) سورة النساء: الآية 152.

(2) الكشف، ج1، ص506.

(3) انظر: مغنى اللبيب، ج1، ص138، 139.

(4) الكشف، ج1، ص61.

(5) سورة البقرة الآية: 12.

(6) إرشاد العقل السليم، ج1، ص44.

(7) سورة يونس الآية: 55.

"فقد صدرت الجملة بحرفي التثنية والتحقيق لزيادة تقرير مضمونها"⁽¹⁾.
وفي قوله تعالى: ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ أَلَّ اللَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾⁽²⁾.

" فالآية تدل على أن الله وحده هو الذي يغفر الذنوب، وجاء ذلك في توكيده تعالى أنه هو الغفور الرحيم، فإنه أكد ذلك هنا بحرف الاستفتاح الذي هو أَلَا، وحرف التوكيد الذي هو إِنْ"⁽³⁾.

وذكر ابن حجر أن (أَلَا) "أداة للتثنية على صحة ما بعدها"⁽⁴⁾.

7- (أَمَا):

من عناصر القوة في الجملة (أَمَّ ا) فهي "حرف شرط وتفصيل وتوكيد"⁽⁵⁾. ومعنى التوكيد الحاصل فيه فصله الزمخشري بقوله: "فائدة أما في الكلام أن تعطيه فضل توكيد، تقول: "زيد ذاهب فإذا قصدت توكيد ذلك وأنه لا محالة ذاهب وأنه بصدد الذهاب وأنه منه عزيمة قلت: "(أما زيد فذاهب)"⁽⁶⁾، وقد أشار العيني إلى هذا الحرف مستشهداً بكلام الزمخشري السابق⁽⁷⁾.

8- (الحروف الزائدة):

من مؤكدات الجملة ما يسميه البصريون بالحروف الزائدة أو حروف الصلة كما يسميها الكوفيون⁽⁸⁾.

-
- (1) إرشاد العقل السليم، ج4، ص155، روح المعاني، ج11، ص242، وانظر: ج11، ص352.
 - (2) سورة الشورى: الآية 5.
 - (3) انظر: أضواء البيان: محمد الأمين الشنقيطي، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ب. ط، 1413هـ-1992م)، ج7، ص155.
 - (4) فتح الباري، ج1، ص156.
 - (5) مغنى اللبيب، ج1، ص56، والإتقان في علوم القرآن، ج1، ص486.
 - (6) الكشف، ج1، ص110.
 - (7) عمدة القارئ، ج3، ص200.
 - (8) انظر: "شرح المفصل"، موفق الدين بن يعيش النحوي، (القاهرة: مكتبة المتنبى، ب. ت، ب. ط)، ج8، ص128.

وبين العلماء خلاف واسع حول القول بزيادة هذه الحروف إذ يرى البعض أن مفهوم الزيادة يجعلها تكون كالعيب، والتنزيل منزله عن مثل ذلك⁽¹⁾.

يقول الرضي: "فائدة الحرف الزائد في كلام العرب إما معنوية، وإما لفظية، فالمعنوية تأكيد المعنى، وأما اللفظية فهي تزيد اللفظ وكونه بزيادتها أفصح، ولا يجوز خلوها من الفوائد اللفظية والمعنوية معاً، وإلا لصارت عبثاً ولا يجوز ذلك في كلام الفصحاء، ولا سيما كلام الباري وأنبيائه وأئمة عليهم السلام"⁽²⁾.

وحروف الزيادة في اللغة العربية عديدة، وسميت بالزوائد لأن حذفها من الكلام لا يغير معناه، غير أن وجودها يزيد الكلام تثبيتاً وتوكيداً، وكونها زائدة وليست مزيدة، يعم ويشفع هذا القول.

في ضوء ما سبق يجد الباحث أن إشارات المفسرين وشراح السنة متعددة، والحديث فيها يطول ويتسع، وسأكتفي هنا ببعض الأمثلة : من ذلك قوله تعالى: ﴿ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾⁽³⁾. فقد أكد كلامهم بزيادة (من) في قوله : من شيء⁽⁴⁾.

وفي قوله عليه السلام " ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صادقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار"⁽⁵⁾. "فـ(من) هنا زائدة لتوكيد النفي"⁽⁶⁾.

(1) انظر: المصدر السابق.

(2) "شرح الرضي على الكافية"، رضي الدين الاستربادي: محمد بن الحسن، تحقيق: يوسف حسن عمر، (ليبيا: جامعة قارون، ب.ط، 1398هـ - 1987م). ج4، ص432-433.

(3) سورة آل عمران الآية: 154.

(4) البحر المحيط، ج3، ص88، وانظر في زيادة (من) أيضاً : إرشاد العقل السليم: ج2، ص47.

(5) صحيح البخاري، ج1، ص59، حديث128، صحيح مسلم، ج1، ص204، حديث112.

(6) "عمدة القارئ"، ج2، ص312.

وجاءت زيادة الباء في آيات كثيرة نص عليها النحاة والمفسرون وغيرهم يقول أبو حيان في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾⁽¹⁾.

"وإنما زيد الباء في الخبر للتأكيد"⁽²⁾.

ومن ذلك قوله عليه السلام في الحديث المشهور "ما أنا بقارئ"⁽³⁾.

"فالباء زائدة لتأكيد وتقوية النفي، أي ما أحسن القراءة إذ التقدير لست بقارئ البتة"⁽⁴⁾.

وكذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل"⁽⁵⁾، "فالباء لتأكيد النفي"⁽⁶⁾.

وذكر الزمخشري أن (أن) المخففة جاءت زائدة في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا أَن جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئِئًا يَهُيمٌ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾⁽⁷⁾.

وفائدة زيادتها: تأكيد وجود الفعلين مرتباً أحدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما، كأنهما وجدا في جزء واحد من الزمان، كأنه قبل لها أحس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه⁽⁸⁾. وذكر أيضاً أن (لا) في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾⁽⁹⁾. حيث قال: "لا في أن لا تسجد صلة صلة بدليل ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ص 75، وقبلها لئلا يعلم أهل الكتاب " الحديد 29، بمعنى ليعلم فإن قلت ما فائدة زيادتها؟ قلت: تأكيد معنى الفعل الذي تدخل عليه وتخفيفه كأنه قيل ليتحقق علم أهل الكتاب، وما منعك

(1) سورة البقرة الآية: 8.

(2) البحر المحيط، ج 1، ص 55.

(3) صحيح البخاري، ج 1، ص 4 حديث 3، صحيح مسلم، حديث 358، ج 2، ص 162.

(4) عمدة القارئ، ج 1، ص 108، فتح الباري، ج 1، ص 32.

(5) صحيح البخاري، ج 1، ص 27، حديث 50، صحيح مسلم، ج 1، ص 144، حديث 63.

(6) فتح الباري، ج 1، ص 165.

(7) سورة العنكبوت الآية: 33.

(8) الكشف، ج 3، ص 486.

(9) سورة الأعراف الآية: 12.

أن تحقق السجود وتلزمه نفسك إذ أمرتك لأن أمري لك بالسجود أوجهه عليك إيجاباً وأحتمه عليك حتما لا بد منه⁽¹⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ^ط وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾⁽²⁾. ذكر الزجاج أن (ما) في قوله (فبما رحمة من الله) صلة ودخولها تأكيد للمعنى⁽³⁾، وإلى هذا ذهب الزمخشري فهي زائدة للتأكيد⁽⁴⁾.

إلى غير ذلك من الإشارات حول حروف الزيادة⁽⁵⁾، والتي يلمس الباحث من خلالها أن معنى حرف زائد يراد به أن الزيادة في القرآن الكريم تأتي لغرض له صلة وثيقة بالمعنى، فهذه الأحرف الزائدة "جاء بها لأغراض بلاغية وفت بها هذه الحروف الزائدة، ويظهر أن تسميتها زائدة معناه: أنها لا يرتبط بها حكم إعرابي، لا أنها لم تؤد معنى في الجملة"⁽⁶⁾. والغرض البلاغي وأسرار التوكيد بهذه الحروف المشار إليه هنا نال عناية كبيرة من المفسرين .

9- (القسم):

من عناصر توكيد الكلام وتقريره وتثبيتته بل هو "الغاية في التأكيد" كما يقول الزمخشري⁽⁷⁾.

والجملة حين تصدر بالقسم فذلك: "لتأكيد مضمونها وتحقيق مدلولها"⁽¹⁾. مدلولها⁽¹⁾. وهكذا أيضاً يقرر شراح السنة: "أن القسم في الإخبار يأتي على سبيل التأكيد

- (1) الكشف، ج2، ص144-145.
- (2) سورة آل عمران، الآية: 159.
- (3) "معاني القرآن وإعرابه"، أبو إسحاق الزجاج، شرح وتعليق: د. عبد الجليل شلبي، (بيروت: عالم الكتب، ط الأولى، 1408هـ-1988م)، ج1، ص482.
- (4) الكشف، ج1، ص379.
- (5) انظر في إشارات المفسرين: "زيادة الحروف بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم" د. هيفاء عثمان ندا، (القاهرة: مكتبة القاهرة للكتاب، ط الأولى، 2000م-1421هـ)، ص196-256. وفي إشارات شراح السنة مثلاً: فتح الباري، ج1، ص522، عمدة القارئ، ج2، ص312.
- (6) "من بلاغة القرآن"، أحمد بدوي (القاهرة: نهضة مصر، ب. ط، 2005م)، ص102.
- (7) الكشف، ج4، ص379.

للخبر وأنه يذكر في الأمر المحقق لزيادة التأكيد وتقرير الأمر⁽²⁾.

ومن هذا المنطلق تناول المفسرون وشرح السنة كثيراً من الآيات والأحاديث⁽³⁾. وأوضح المفسرون خاصة بلاغة التأكيد بالقسم وسر وقوعه في الكلام، وهم وإن غلب عليهم الطابع النحوي، وسلخوا مسلك النحاة في توجيه القسم⁽⁴⁾. إلا أن الباحث يلمس في مواضع متعددة وقوفهم عند بلاغة القسم وأثره في الكلام.

10- (لن):

يقول الزمخشري في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾⁽⁵⁾. (لا ولن) أختان في نفي المستقبل إلا أن في لن "توكيد وتشديد تقول لصاحبك : لا أقيم غداً فإن أنكر عليك قلت (لن أقيم غداً)⁽⁶⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾⁽⁷⁾.

"نفي استطاعة الصبر على وجه التأكيد"⁽⁸⁾، إلى غير ذلك من إشارات تدل على اعتبار التوكيد في هذا الحرف⁽⁹⁾.

-
- (1) إرشاد العقل السليم، ج3، ص62، 127.
 - (2) انظر: شرح النووي، ج1، ص171، فتح الباري، ج1، ص100، ص184.
 - (3) انظر على سبيل المثال : الكشف، ج، ص401، إرشاد العقل السليم، ج5، ص275، "التحرير والتنوير" للإمام محمد الطاهر بن عاشور، (تونس، الدار التونسية، ب. ط، 1984)، ج9، ص25، شرح النووي، ج5، ص132، فتح الباري، ج2، ص617.
 - (4) انظر في تفصيل هذا وغيره ما ذكره علي محمد الحارثي في رسالته أسلوب القسم في القرآن الكريم دراسة بلاغية (رسالة دكتوراه: جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، 1411هـ، 1991م).
 - (5) سورة البقرة الآية: 24.
 - (6) الكشف، ج1، ص96.
 - (7) سورة الكهف، الآية: 66.
 - (8) الكشف، ج3، ص77.
 - (9) انظر مثلاً: إرشاد العقل السليم، ج2، ص8، روح المعاني، ج4، ص44.

ثانياً : التوكيد بغير الأداة :

1- المصدر :

من صور التوكيد في اللغة العربية التوكيد بالمصدر، وقد لاحظ المفسرون وشراح السنة فائدة التوكيد بالمصدر، فقوله تعالى : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً ﴾ (1).

"إنما ذكر المصدر وهو قوله "تفصيلاً" لأجل تأكيد الكلام وتقديره كأنه قال : وفصلناه حقاً، وفصلناه على الوجه الذي لا مزيد عليه والله أعلم" (2).

ويقول النووي: في قوله صلى الله عليه وسلم في حديث طويل "...." الذي كلمه الله تكليماً". هذا بإجماع أهل السنة على ظاهره، وأن الله تعالى كلم موسى حقيقة كلاماً سمعه بغير واسطة، ولهذا أكد بالمصدر" (3).

ويذكر الزمخشري (4). في قوله تعالى: ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ لَا مُخْلِفُ لَهُ وَعَدَّهُ وَلَكِنَّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (5).

أن قوله تعالى: "وعد الله" مصدر مؤكد كقولك لك علي ألف درهم عرفاً لأن معناه: أعترف لك بها اعترافاً، ووعد الله ذلك وعداً لأن ما سبق ه في معنى وعد، نهمم الله عز وجل بأنهم عقلاء في أمور الدنيا بله في أمر الدين، وذلك أنهم كانوا أصحاب تجارات ومكاسب".

وفي هذا الباب ذكر الأخفش أن المصادر التي وردت في القرآن منصوبة دون أن تذكر عواملها هي مصادر مؤكدة لعوامل محذوفة تقدر بحسب السياق (6).

(1) سورة الإسراء، الآية: 12.

(2) التفسير الكبير، ج20، ص310.

(3) شرح النووي، ج3، ص54.

(4) الكشف، ج3، ص50، وانظر: ص429، من نفس المصدر.

(5) سورة الروم الآية: 6.

(6) انظر: "معاني القرآن وإعرابه"، الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة، تحقيق: فايز فارس، (الكويت، ط الثانية، ب. ت)، ج1، ص216، ومن العلماء من يرى أن هذه المصادر لا تكون مؤكدة للأفعال التي نابت عنها؛ لأن الغرض هو التخفيف ولو ذهب توكده لنقضت الغرض، وأن هذه المصادر

2- القصر :

هو في اصطلاح علماء البلاغة : "تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص"⁽¹⁾.

والشيء الأول: هو المقصور، والشيء الثاني: هو المقصور عليه، والطريق المخصوص: هو الطريق الذي يفيد القصر.

وللقصر طرق وأقسام تحدث عنها البلاغيون ليس هذا موضع ذكرها⁽²⁾.

ويعد هذا الأسلوب من أقوى طرق التوكيد، وأدلها على تثبيت الشيء وتقريره، والباحث يجد أن المفسرين وشراح السنة حين تناولوا هذا الأسلوب أبانوا عن أغراضه وطرقه، وما فيه من لطائف الأسرار وقوة البيان عن المعنى فمن أوضح دلالاته التوكيد.

يقول ابن عطية في قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾⁽³⁾. "وكان الكلام: (أريكم ما أرى) ثم أدخل في صدر الكلام ما النافية وقلب معناها بـ (إلا) الموجبة تخصيصاً وتأكيداً للأمر ، وهذا كما تقول "قام زيد فإذا قلت: ما قام إلا زيد أفدت تخصيصه وتأكيد أمره"⁽⁴⁾.

ويقول أبو السعود في قوله تعالى: ﴿مَا قُلْتُ هُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾⁽⁵⁾: "استئناف لبيان ما صدر عنه قد أدرج فيه عدم صدور

منصوبة على الأمر، وأنها قد صارت أمراً بمرادتها ومعناها . انظر: "الخصائص"، أبو الفتح عثمان بن جني، = = تحقيق: محمد علي النجار، (بيروت: دار الكتاب العربي، ب. ط، ب. ت)، ج 1، ص 287، "شرح ابن عقيل" على ألفية بن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (القاهرة: ط الثالثة عشرة، 1962م)، ج 1، ص 478-480.

(1) مختصر المعاني للنقازاني، (بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ب. ط، 1424هـ-2004م)، ص 115.
(2) انظر: دلالات التراكيب، دراسة بلاغية، د. محمد محمد أبو موسى (القاهرة: مكتبة وهبة، ط الثانية، 1408هـ-1987م)، ص 38.
(3) سورة غافر الآية: 29.
(4) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط الأولى، 1422هـ-2001م)، ج 4، ص 557.
(5) سورة المائدة الآية: 117.

القول المذكور عنه على أبلغ وجه وأكده حيث حكم بانتفاء صدور جميع الأقوال المغايرة للمأمور به فدخل فيه انتقله صدور القول المذكور دخولاً أولياً، أي ما أمرتهم إلا ما أمرتني به⁽¹⁾.

فهما أسلوباً قصر صفة على موصوف طريقهما النفي والاستثناء.

ومن أوضح طرق القصر : القصر بأداة الحصر "إنما" فقد أشار ابن عطية إلى أن (إنما) لا تفارقها المبالغة والتأكيد حيث وقعت⁽²⁾.

ويقول الزمخشري في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَأَجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾⁽³⁾.

"أكد تحريم الخمر والميسر بتصدير الجملة بإنما..."⁽⁴⁾.

وذكر ابن حجر آراء العلماء فيما تفيدُه إنما وكلها تدور حول القصر المفيد للتوكيد وقد استشهد بقول ابن عطية السابق عن إنما وأنها لفظ لا تفارقه المبالغة والتأكيد حيث وقع⁽⁵⁾.

ويقول ابن حجر أيضاً في قوله عليه السلام: "إن هذه النار إنما هي عدو لكم..." : "هكذا أورده بصيغة الحصر مبالغة في تأكيد ذلك"⁽⁶⁾.

وفي القصر بالتقديم استشهد هنا بما قاله أبو السعود⁽⁷⁾ حول قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكَ إِذْ رَأَوَكَ مِنَ الَّذِينَ جَفَرُوا فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ فِي هَيْدٍ فَاسْوَأَلَهُمْ خَلْقَ آدَمَ مِن تَابُوتٍ مَّا حَمَلَتْ فِيهَا جَنَّتَانِ أُولَئِكَ لَئِيْلٌ مُّجْرِمُونَ ﴾⁽⁸⁾.

حيث قال في جملة (إليّ مرجعكم) : "أي رجوعكم بالبعث وثم للتراخي وتقديم الجار والمجرور للقصر المفيد لتأكيد الوعد والوعد".

(1) إرشاد العقل السليم، ج3، ص101.

(2) المحرر الوجيز، ج2، ص500.

(3) سورة المائدة الآية: 9.

(4) الكشف، ج2، ص59.

(5) فتح الباري، ج1، ص19.

(6) المصدر السابق: ج11، ص88.

(7) إرشاد العقل السليم، ج2، ص44.

(8) سورة آل عمران: الآية 55.

وأما إفادة القصر بضمير الفصل فتكفي هنا إشارة أبي حيان حول قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ...﴾ (1).

حيث قال: " وإدخال هم في مثل هذا التركيب أحسن لأنه محل تأكيد ورفع توهم من يتشكك في المسند إليه الخبر أو ينازع فيه، أو من يتوهم الشريك فيه، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكٌ وَأَبْكِي. وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجِينَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادَ الْأُولَى﴾ كيف أثبت هو دلالة على ما ذكر ولم يأت به في نسبة خلق الزوجين وإهلاك عاد، إذ لا يتوهم إسناد ذلك بغير الله تعالى ولا الشركة فيه. وأما الإضحاك والإبكاء والإماتة والإحياء والإغناء فقد يدعي ذلك، أو الشركة فيه متوافق كذاب كنمرود، وأما قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى﴾ فدخول هو للإعلام بأن الله هو رب هذا النجم، وإن كان رب كل شيء، لأن هذا النجم عبد من دون الله واتخذ إليها، فأتى به لينبه بأن الله مستبد بكونه رباً لهذا المعبود، ومن دونه لا يشاركه في ذلك أحد، والألف واللام في (المفلحون) لتعريف العهد في الخارج أو في الذهن، وذلك أنك إذا قلت: زيد المنطلق، فالمخاطب يعرف وجود ذات صدر منها انطلاق، ويعرف زيدا ويعجل نسب الانطلاق إليه، وأنت تعرف كل هذا فقول له: زيد المنطلق، فنقيده معرفة النسبة التي كان يجهلها، ودخلت (هو) فيه إذا قلت: زيد هو المنطلق، لتأكيد النسبة، وإنما تؤكد النسبة عند توهم أن المخاطب يشك فيها أو ينازع أو يتوهم الشركة" (2).

وكلام أبي حيان هنا يخرج من رحم البلاغة، ويظهر فيه أثر الإمام عبد القاهر واضحاً (3).

ومن التوكيد بضمير الفصل عند شراح السنة ما ذكره العيني في عمدة القارئ في قوله عليه السلام: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل

(1) سورة البقرة الآية: 5.

(2) البحر المحيط، ج 1، ص 44، روح المعاني، ج 1، ص 321، وانظر أيضاً في التأكيد بضمير الفصل: الكشف، ج 2، ص 300، التفسير الكبير للرازي، ج 12، ص 38.

(3) انظر: دلائل الإعجاز، ص 178، 179.

الله عز وجل" فالضمير (هي) فصل أو مبتدأ وفيها تأكيد فضل كلمة الله تعالى في العلو وأنها المختصة به دون سائر الكلام⁽¹⁾.

3- الفصل والوصل:

وقف المفسرون عند ما يسميه البلاغيون كمال الاتصال بين الجملتين ورأوا أن الفصل بين الجمل قد يكون لأن الثانية نزلت من الأولى منزلة التوكيد لها، وأمثلة البلاغيين في هذا الباب بتعدد كثيراً عند المفسرين من ذلك ما أشار إليه الزمخشري⁽²⁾. في قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾⁽³⁾.

فقد جاءت هذه الجملة مؤكدة للجملة السابقة: "إنا معكم" ويوضح علة الفصل واعتبار التوكيد بقوله: "إنا معكم" معناه الثبات على اليهودية، وقوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ رد للإسلام ودفع له منهم لأن المستهزئ بالشيء المستخف به منكر له ودافع لكونه معتداً به، ودفع نقيض الشيء تأكيداً لثباته أو بدل منه لأن من حقر الإسلام فقد عظم الكفر".

وهكذا تأتي إشارة أبي حيان⁽⁴⁾. في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾⁽⁵⁾.

فقد ذكر أن جملة "لا إله إلا هو" توكيد لمعنى الوحدانية ونفي الإلهية عن غيره" فالتوكيد صورة من صور كمال الاتصال ومن هنا تعددت الإشارة إليه في كلام المفسرين⁽⁶⁾.

ويمكن أن يدخل في هذا الباب ما ذكره ابن حجر حول قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي نر في حديث طويل: "مكانك لا تبرح"

(1) ج2، ص297.

(2) الكشف، ج1، ص65.

(3) سورة البقرة الآية: 14.

(4) البحر المحيط، ج1، ص453.

(5) سورة البقرة الآية: 163.

(6) انظر: الكشف، ج1، ص304، إرشاد العقل السليم، ج1، ص36.

حيث قال: قوله (لا تبرح) تأكيد لذلك ورفع لتوهم أن الأمر بلزوم المكان ليس عاماً في الأزمنة⁽¹⁾.

4- توكيد الضمير بالضمير:

سأقف هنا على ما تلمس فيه المفسرون أسرار التوكيد فمن ذلك ما ذكره الزمخشري في قوله تعالى: ﴿إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ خُنَّ الْمَلْقِينَ﴾⁽²⁾.
" حيث أكد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر وإقحام الفصل ليدلوا على رغبتهم في أن يلقوا قبله"⁽³⁾.

ويشير أبو حيان إلى بلاغة توكيد الضمير بضمير آخر في قوله تعالى :
﴿... أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعْمَلَ هُوَ فَلْيُمَلِّ وَلِيَهُ بِالْعَدْلِ...﴾⁽⁴⁾. " فـ(هو) توكيد الضمير المستكن في أن يعمل، وفيه من الفصاحة ما لا يخفى لأن في التأكيد رفع المجاز الذي كان يحتمله إسناد الفعل إلى الضمير، والتنصيص على أنه غير مستطيع بنفسه"⁽⁵⁾.

إلى غير ذلك من إشارات إلى بلاغة التأكيد بهذا المسلك⁽⁶⁾.

أما ما ذكره شراح السنة فلم أجد فيما وقفت عليه ما يتجاوز ما قرره النحاة في هذا الباب من ذكر القاعدة مجردة من الوقوف على سر التوكيد⁽⁷⁾.

5- التقديم والتأخير:

من الأساليب التي أشار إليها المفسرون خاصة، ورأوا فيها الدلالة الواضحة على التقوية والتأكيد، والعناية بهذا الأسلوب وأساراه واضحة جلية

(1) فتح الباري، ج13، ص48.

(2) سورة الأعراف الآية: 115.

(3) الكشف، ج2، ص186.

(4) سورة البقرة الآية: 282.

(5) البحر المحيط، ج2، ص345.

(6) انظر: الكشف، ج3، ص137، التفسير الكبير للرازي، ج30، ص760، ج22، ص19

(7) انظر على سبيل المثال: فتح الباري، ج1، ص210.

في كتب التفسير التي استفادت من بحوث البلاغيين مطبقة في الغالب كلام عبد القاهر وأصوله في هذا الباب.

يقول الزمخشري في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانًا تَقْشَعْرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ...﴾⁽¹⁾

"وإيقاع اسم الله مبتدأ وبناء نزل عليه فيه تفخيم لأحسن الحديث و رفع منه واستشهاد على حسنه، وتأكيده لاستناده إلى الله وأنه من عنده، وأن مثله لا يجوز أن يصدر إلا عنه، وتبينه على أنه وحي معجز مباين لسائر الأحاديث"⁽²⁾ وكلامهم حول قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ...﴾⁽³⁾، كلام واضح في اعتبار هذا الأسلوب من طرق التوكيد التي تزيد الكلام قوة فهم يذكرون أن بناء الفعل يتربص على المبتدأ المطلقات مما زاده فضل تأكيد لما فيه من إفادة التوكيد وأنه لو قيل: ويتربص المطلقات لم يكن بتلك الوكادة لأن الجملة الاسمية تدل على الثبات والدوام بخلاف الفعلية⁽⁴⁾.

وواضح مما تقدم أن دلالة التقديم على التوكيد تأتي واضحة في تقديم المسند إليه على خبره الفعلي.

والمفسرون فيما سبق بيانه يلتقون مع البلاغيين في تقرير أن الجملة الاسمية فيها زيادة توكيد على الجملة الفعلية، وعلّة ذلك يشير إليها أبو حيان بقوله: "قولك (زيد فعل) أكد من (فعل زيد) لتكرار الاسم في الكلام بكونه مضمرًا، وتصديره مبتدأ يشعر بالاهتمام بالمحكوم عليه، كما أن التقديم للفعل مشعر بالاهتمام بالمحكوم به"⁽⁵⁾. ، وفي موضع آخر يقول: "وإنما كانت الجملة الابتدائية فيها زيادة توكيد على جملة الفعل والفاعل لتكرار الاسم فيها مرتين إحداهما بظهوره والأخرى بإضماره وجملة الفعل والفاعل يذكر فيها الاسم مرة واحدة"⁽⁶⁾.

(1) سورة الزمر الآية: 23.

(2) الكشف، ج 4، ص 47.

(3) سورة البقرة الآية: 228.

(4) انظر: الكشف، ج 1، ص 245، البحر المحيط، ج 2، ص 185.

(5) المصدر السابق، ج 1، ص 32.

(6) السابق، ج 2، ص 185.

وعلى هذا الأصل جرى في كلامهم ما يؤكد هذه الحقيقة ويلمس بلاغة التعبير بالجملة الاسمية. من ذلك ما ذكره الزمخشري وغيره حول قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ (1).

يقول: "فإن قلت: لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بلين؟ قلت ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديراً بأقوى الكلامين وأوكدهما لأنهم في ادعاء حدوث الإيمان منهم ونشئه من قبلهم لا في ادعاء أنهم أوحديون في الإيمان غير مشقوق فيه غبارهم، وذلك إما لأن أنفسهم لا تساعدهم عليه، إذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك، وهكذا كل قول لم يصدر عن أريحية وصدق رغبة واعتقاد..." (2).

إلى أن يقول: "وأما مخاطبة إخوانهم فهم فيما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر، والبعد من أن يزلوا عنه على صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح للمتكلم به وما قالوه من ذلك فهو را ئج عنهم متصل منهم فكان مظنة للتحقيق ومحنة للتوكيد" (3).

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَقَوْمٍ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ ۗ تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفِيرِ﴾ (4).

يقول أبو حيان: "بدأ أولاً بجملة اسمية، وه و استفهام المتضمن التعجب من حالتهم، وختم أيضاً بجملة اسمية ليكون أبلغ في توكيد الأخبار وجاء في حقهم (وتدعونني) بالجملة الفعلية التي لا تقتضي توكيدا، إذ دعوتهم باطلة لا ثبوت لها فتؤكد" (5).

(1) سورة البقرة الآية: 140.

(2) الكشف، ج 1، ص 64، 65، وانظر البحر المحيط، ج 1، ص 65، روح المعاني، ج 1، ص 157، إرشاد العقل السليم، ج 1، ص 46، 47.

(3) الكشف، ج 1، ص 64، 65.

(4) سورة غافر الآية: 41.

(5) البحر المحيط، ج 7، ص 467، وانظر: حاشية زاده علي البيضاوي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ب.ط، ب.ت) ج 4، ص 236.

وأمام الباحث الكثير من الشواهد حول هذا الأسلوب عند المفسرين، وما ذكر يكفي، ومن أراد الاستزادة فليراجع ذلك في مظانه⁽¹⁾.

6- الإطناب⁽²⁾ وأنواعه:

حين يتلمس الباحث ما سطره المفسرون وشرح السنة حول هذا الأسلوب يجد في نصوصهم ما يقترب من حديث البلاغيين حول صور الإطناب وأنواعه وإن لم تأخذ المصطلحات المفهوم المتعارف عليه عند البلاغيين.

ويمكن الوقوف هنا على شواهد من صور هذا الأسلوب وما فيها من تقرير وتوكيد أبان عنها المفسرون وشرح السنة ومن ذلك ما يلي:

(أ) التكرار:

أسلوب نما في ظل الدراسات القرآنية حين حمل المفسرون لواء الدفاع عن بلاغة القرآن ونظمه وأسرار التكرار فيه؛ ذلك أن هذا الباب كان منفذاً للطعن في القرآن، فكان لابد من الرد عليهم وتقنيدهم دعواهم، ومن هنا استأثر هذا الأسلوب بحديث المفسرين وأخذ بعداً كبيراً في دراستهم، ورأوا فيه جانباً مهماً للتوكيد وتقدير المعنى وتثبيتته في الذهن حين يستلزم المقام ذلك، وهذا ما نص عليه الزمخشري بقوله: "لأن في التكرار تقريراً للمعاني في الأنفس، وتثبيتاً لها في الصدور، ألا ترى أنه لا طرق إلى تحفظ العلوم إلا ترديد ما يراد تحفظه فيها، وكلما زاد ترديده كان أمكن له في القلب وارسخ في الفهم وأثبت للذكر وأبعد من النسيان"⁽³⁾.

ويشير ابن حجر إلى أنه "يراد من التكرار التأكيد"⁽⁴⁾.

(1) انظر على سبيل المثال: البحر المحيط، ج 3، ص 34، إرشاد العقل السليم، ج 1، ص 175، روح

المعاني، ج 14، ص 194.

(2) الإطناب، "أداء المقصود بأكثر من عباراته لفائدة" انظر الإيضاح، ج 2، ص 174، مختصر المعاني ص 169.

(3) الكشف، ج 3، ص 378.

(4) فتح الباري، ج 7، ص 672.

و"أن من يريد التأكيد في أمر وإيضاح البيان فيه أن يكرره ثلاثاً"⁽¹⁾.
 وأن النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا أراد التأكيد ذكر الشيء ثلاثاً"⁽²⁾.
 و"التكرار يكون من فصيح الكلام إذا كان الغرض منه التأكيد"⁽³⁾.

ومما يقرره هؤلاء العلماء الذين نتحدث عنهم هنا أن التكرار يأتي غالباً لتأكيد الوعد والوعيد وإظهار كمال العناية بإنجازهما، والتأكيد على ما يتعلق بهما من التخويف والإنذار والترغيب والترهيب، والتأكيد على وقوع الشيء وبيان مصدره والتنبيه على أمر من الأمور، وقد شمل هذا النوع من التكرار الأسماء والأفعال والجمل والحروف والضمائر⁽⁴⁾، وهو في كثير من ذلك لا يخرج عن التوكيد اللفظي عند النحاة.

كما أن هؤلاء العلماء توسعوا في مفهوم التكرار فأدخلوا فيه التكرار المعنوي وهو كل ما جاء مؤكداً لمعنى قبله حتى وإن اختلف في لفظه، من ذلك ما ذكره ابن عطية في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيَقُومُوا أَوْفُوا أَلْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ...﴾⁽⁵⁾. بعد قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْقُصُوا أَلْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾⁽⁶⁾.
 ﴿(6)﴾ يقول: "فقد كرر عليهم الوصية في الكيل والوزن تأكيداً وبياناً وعظة لأن: (لا تنقصوا) هو أوفوا بعينه لكنهما متجهان إلى معنى واحد"⁽⁷⁾.

ومن ذلك ما ذكره النووي حول الحديث القدسي: "يا عبادي إني حرمت الظلم وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا" قال النووي: "قوله (فلا تظالموا) توكيد

(1) المصدر السابق، ج 8، ص 589.

(2) السابق، ج 4، ص 523.

(3) شرح النووي، ج 1، ص 163.

(4) انظر على سبيل المثال: الجامع لأحكام القرآن، ج 5، ص 408، الكشاف، ج 3، ص 628، البحر المحيط، ج 8، ص 409، ص 508، التفسير الكبير للرازي، ج 12، ص 462، إرشاد العقل السليم، ج 5، ص 148، ص 151، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (بيروت: دار الفكر، ب. ط. ب. ت.) ج 2، ص 27، فتح الباري، ج 1، ص 51. عون المعبود، ج 2، ص 231.

(5) سورة هود الآية: 85.

(6) سورة هود الآية: 84.

(7) المحرر الوجيز، ج 3، ص 3، وانظر: البحر المحيط، ج 8، ص 508.

لقوله (جعلته بينكم محرماً) وزيادة تغليظ في تحريمه⁽¹⁾. وشواهد هذا الباب عندهم كثيرة أيضاً⁽²⁾.

ويقترّب من هذا أيضاً ما أشاروا إليه من الجمع بين المترادفات فهو نوع من التكرار والغرض منه كما يقول الرازي: "التأكيد والمبالغة كما يقال صدّ عني، وأعرض عني"⁽³⁾.

ومن ذلك الجمع بين البيّنات والهدى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ...﴾⁽⁴⁾. "فالجمع بينهما تأكيد وهو ما أبان عن نبوته وهدى إلى اتباعه"⁽⁵⁾. ومنه قوله عليه السلام: "وعلّيكُم بالسكينة والوقار"⁽⁶⁾ والوقار⁽⁶⁾

فقوله: (الوقار) هو بمعنى السكينة، وذكر على سبيل التأكيد⁽⁷⁾.

ومدّ النظر في هذا الباب لا ينتهي، وما ذكر هنا أثرٌ على ما سبر غوره هؤلاء العلماء في هذا الباب فالتقطوا من خلاله نفائس التعبير بهذا الأسلوب.

(ب) الاعتراض⁽⁸⁾.

من طرق الإطناب التي بين المفسرون وشراح السنة ما فيها من تأكيد، فالزمخشري يقرر أن "الاعتراضات في الكلام لا تساق إلا للتوكيد"⁽⁹⁾. وإلى

(1) شرح النووي، ج 1، ص 348.

(2) انظر: الكشاف، ج 4، ص 77، البحر المحيط: ج 2، ص 493، ج 5، ص 198، نظم الدرر، برهان الدين البقاعي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط الأولى، 1415 هـ - 1995 م)، ج 2، ص 25، شرح النووي، ج 3، ص 74، فتح الباري: ج 1، ص 38، ج 11، ص 237.

(3) التفسير الكبير للرازي، ج 30، ص 710.

(4) سورة البقرة الآية: 159.

(5) البحر المحيط، ج 1: ص 453.

(6) صحيح البخاري، ج 1، ص 227، حديث 627.

(7) فتح الباري، ج 2، ص 139، وانظر: ج 4، ص 359 من نفس المصدر.

(8) الاعتراض: أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتة سوى دفع الإيهام، انظر: الإيضاح، ج 3، ص 214. مختصر المعاني، ص 179.

(9) الكشاف، ج 2، ص 131.

هذا أيضاً أشار صاحب عون المعبود حين ذكر أن الاعتراض يأتي على سبيل التوكيد⁽¹⁾.

وشواهد الاعتراض الدالة على التوكيد متعددة في القرآن والسنة وكلها تنطوي على دقائق وأسرار، وتنبئ عن قوة وبيان، وتحمل على الإصغاء وتكسب المعنى قوة وجمالاً.

فجملته (ولن تفعلوا) في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾⁽²⁾.

هذه الجملة " جملة اعتراضية بين فعل الشرط وجوابه لا محل لها من الإعراب وفيها من تأكيد المعنى ما لا يخفى، لأنه لما قال: " فإن لم تفعلوا " وكان معناه نفيًا في الماضي مخرجاً ذلك مخرج الممكن أخبر بقوله: ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ أي أن ذلك لا يقع وهو إخبار صدق فكان في ذلك تأكيد لا يعارضونه⁽³⁾.

وفي قوله عليه السلام: " من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب وإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربها لصاحبه كما يربي أحدكم فلوه، حتى تكون مثل الجبل"⁽⁴⁾.

يوضح ابن حجر أن قوله (ولا يقبل الله إلا الطيب) جملة معترضة بين الشرط والجزاء لتقرير ما قبله⁽⁵⁾.

وهكذا تمضي شواهد الاعتراض والتي لا يتسع المقام لذكرها هنا⁽⁶⁾، وفي الدراسة التطبيقية مزيد وفاء بهذا المطلب.

(ج) التذييل⁽⁷⁾:

- (1) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، ج7، ص263.
- (2) سورة البقرة آية: 24.
- (3) انظر الكشاف، ج 1، ص96، البحر المحيط، ج1، ص101.
- (4) صحيح البخاري، ج2، ص 511، حديث 1390.
- (5) فتح الباري، ج3، ص328 وانظر: ج1، ص39، من نفس المصدر.
- (6) انظر: الكشاف، ج 1، ص493، 494، إرشاد العقل السليم، ج7، ص241.
- (7) التذييل في اصطلاح البلاغيين: تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها للتوكيد " الإيضاح"، ج3، ص205، وسيأتي الكلام عنه في المبحث الثالث.

وجملة التذييل بما تضيفه على السياق من قوة وتقرير ترفد به المعنى وتحقق به المضمون، هذه الجملة لم تغب عن نظر المفسرين وشراح السنة.

وحيث كان التذييل من أكثر ألوان الإطناب تردداً في الآيات القرآنية فإن حظ المفسرين في البيان عنه والإشارة إليه يهد واسعاً وكبيراً.

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾⁽¹⁾.

يقول الزمخشري: "ومن أصدق من الله قيلاً" توكيد ثالث بليغ⁽²⁾: فإن قلت: ما فائدة هذه التوكيدات؟ قلت: معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة، وأمانيه الباطلة لقرنائه بوعد الله الصادق لأوليائه، ترغيباً للعباد في إيثار ما يستحقون به وعد الله على ما يتجرعون في عاقبته غصص إـ خلا ف مواعيد الشيطان"⁽³⁾.

ومن ذلك أيضاً ما ذكره الرازي حول قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَلِ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾⁽⁴⁾.

فالجمله في آخر الآية جاءت توكيداً لما قبلها ذلك: "أنه تعالى أكد ذلك القضاء مزيد تأكيد فقال وكان وعداً مفعولاً"⁽⁵⁾.

وتتكرر دلالة التذييل على التقرير والتأكيد عند المفسرين في غير موطن، ومنهم من يصرح بالمصطلح ومنهم كما سبق من يشير إليه دون ذكر المصطلح⁽⁶⁾، وسيأتي في الدراسة التطبيقية ما يكشف عن هذا.

وفيما يخص شراح السنة تظهر الإشارة في كتبهم إلى ما يفيد التذييل من التقرير للكلام السابق⁽¹⁾.

(1) سورة النساء الآية: 122.

(2) بعد التوكيد بالمصدرين "وعد الله، حقاً".

(3) الكشف، ج1، ص492، وانظر: إرشاد العقل السليم، ج2، ص235.

(4) سورة الإسراء الآية: 5.

(5) التفسير الكبير للرازي، ج20، ص302.

(6) انظر: الكشف، ج4، ص79، البحر المحيط، ج2، ص486، إرشاد العقل السليم، ج1، ص168، ج2،

ص50، روح المعاني، ج22، ص141.

(د) الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال:

يقول الزمخشري في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿١٦﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿١٧﴾ ﴾ (2).

"فإن قلت: "لي" في قوله: (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿١٦﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي) ما جدواه والكلام بدونه مستتب؟ قلت: قد أبهم الكلام أولاً فقيل: (اشرح لي ويسر لي) فعلم أن ثم مشروحا وميسراً ثم بين ودفع الإبهام بذكرهم ا فكان أكد لطلب الشرح والتيسير لصدرة وأمره من أن نقول: اشرح صدري ويسر أمري على الإيضاح الساذج لأنه تكريرٌ للمعنى الواحد من طريقي الإجمال والتفصيل" (3).

ويدخل في هذا الباب البديل، ففي البديل: "ضربان من التأكيد: أحدهما أن الإبدال تنثية للمراد وتكرير له، والثاني أن الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال إيراد له في صورتين مختلفتين" (4).

(هـ) ومن صور الإطناب: عطف العام على الخاص والعكس:

فقد يكون من أغراضه التوكيد، يشير إلى ذلك أبو السعود صريحاً حول قول الحق جل شأنه: ﴿ قُلْ إِنْ تُخَفُّوْا مَا فِي صُدُوْرِكُمْ أَوْ تَبْدُوْهُ يَعْلَمُهُ اللهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ... ﴾ (5).

يقول: "قوله تعالى ويعلم ما في السموات وما في الأرض هو من باب إيراد العام بعد الخاص تأكيداً له وتقريباً" (6).

وفي قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوْا أَنَّ اللهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌ ﴾ (1).

(1) عمدة القارئ، ج 23، ص 46، فتح الباري، ج 3، ص 148، ج 11، ص 260.

(2) سورة طه الآية: 26، 25.

(3) الكشاف، ج 3، ص 142، وانظر: ج 4، ص 608، من نفس المصدر.

(4) الكشاف، ج 1، ص 345، وانظر: ص 21 من نفس المصدر، البحر المحيط، ج 3، ص 2.

(5) سورة آل عمران الآية: 29.

(6) إرشاد العقل السليم، ج 2، ص 23.

فقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ تعميم بعد تخصيص للتأكيد⁽²⁾.
وفي ذكر الخاص بعد العام يشير البيضاوي إلى قوله تعالى: ﴿فَاغْفِرْ
لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾⁽³⁾.

فقوله: ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ تخصيص بعد تعميم أي واحفظهم عنه قال
البيضاوي "وهو تصريح بعد إشعار للتأكيد والدلالة على شدة العذاب"⁽⁴⁾.

(و) وقد يرد الإطناب بغير ما ذكر:

من ذلك أن يكون الإطناب بزيادة بعض القيود كالجار والمجرور وغيره
وهو نمط شائع في كثير من الآيات والأحاديث، والمفسرون وشراح السنة
يوضحون دائماً الغرض البلاغي لمثل هذا النوع، ويكشفون عن المزية التي
تعود على المعنى بسببه وأنه يدل على التوكيد.

ويكفي هنا عند المفسرين ما ذكر الرازي في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ
كَامِلَةٌ﴾⁽⁵⁾. قال: "التوكيد طريقة مشهورة في كلام العرب كقوله: ﴿ولكن تعمي
القلوب التي في الصدور﴾، وقال: ﴿ولا طائر يطير بجناحيه﴾، والفائدة منه أن
الكلام الذي يعبر عنه بالعبارات الكبيرة ويعرف بالصفات الكبيرة أبعده عن
السهو والنسيان من الكلام الذي يعبر عنه بالعبارة الواحدة.

والتعبير بالعبارات الكبيرة يدل على كونه في نفسه مشتملاً على مصالح
كثيرة ولا يجوز الإخلال بها، أما ما عبر عنه بعبارة واحدة فإنه لا يعلم منه
كونه مصلحة مهمة لا يجوز الإخلال بها، وإذا كان التوكيد مشتملاً على هذه
الحكمة كان ذكره في هذا الموضع دلالة على أن رعاية العدد في هذا الصوم
من المهمات التي لا يجوز إهمالها البتة⁽⁶⁾.

(1) سورة المائدة الآية: 97.

(2) روح البيان، ج2، ص446.

(3) سورة غافر الآية: 7.

(4) أنوار التنزيل، ج5، ص82.

(5) سورة البقرة: جزء من الآية 196.

(6) التفسير الكبير للرازي، ج5، ص175.

ونظراً لاستعمال القرآن الكريم لهذا الأسلوب وكونه يجري في كثير من الآيات، فقد بسط المفسرون الكلام حول هذا النوع من الإطناب، وأنه يأتي للتأكيد ورفع المجاز الذي كان يحتمله ظاهر اللفظ⁽¹⁾.

أما إشارات شراح السنة فقد بين ابن حجر ذلك في حديث ليلة القدر وفيه: فبصرت عيني رسول الله صلى الله عليه وسلم ونظرت إليه انصرف من الصبح ووجهه ممتلئ طيناً وماءً.

قال ابن حجر: "فذكر العين بعد البصر تأكيد لقوله أخذت بيدي، وإنما يقال ذلك في أمر مستغرب إظهاراً للتعجب من حصوله"⁽²⁾.

7- التعبير بلفظ الماضي عن المستقبل:

في كلام المفسرين وشراح السنة ما يؤكد على قيمة هذا الأسلوب في تأدية المعنى وتأكيد الحدث وتحقيق وجوده وكأنه وقع، فكثيراً ما يقع الماضي موضع المضارع في القرآن الكريم في أمور الآخرة لتحقيق وقوعها، وتقرير حدوثها، وهذا ما أشار إليه الرازي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾⁽³⁾. يقول: "لم قال (وَحَاقَ) على لفظ الماضي مع أن ذلك لم يقع؟ والجواب: قد مر في هذا الكتاب آيات كثيرة من هذا الجنس، والضابط فيها أنه تعالى أخبر عن أحوال القيامة بلفظ الماضي مبالغة في التأكيد والتقرير"⁽⁴⁾.

(1) انظر في هذا: "جامع البيان في تفسير القرآن"، محمد بن جرير الطبري، (بيروت، دار المعرفة، ب.ط، 1990م)، ج1، ص299. "الكشاف" ج1: ص147، ج2، ص585، المحرر الوجيز، ج1، ص196، البحر المحيط، ج1، ص268، ج3، ص102.

(2) فتح الباري، ج4: ص307، وانظر أيضاً في مثل هذا: ج11: ص451 من نفس المصدر، وعون المعبود" ج1: ص533، ج4، ص261.

(3) سورة هود: جزء من الآية 8.

(4) "التفسير الكبير للرازي" ج17، ص321.

ويقدر ابن عطية أنه: "إذا كان الخبر حقاً يؤكد المستقبل بأن يخرج في صيغة الماضي أي كأنه لوضوحه والثقة به قد وقع ويحسن ذلك في خبر الله تعالى لصدق وقوعه"⁽¹⁾.

ويبين شراح السنة أن الغرض من التعبير بالماضي عن المستقبل هو المبالغة في الإشارة إلى تحقيق وقوعه⁽²⁾.

8- الانتفات⁽³⁾:

يعد هذا الأسلوب من الأساليب البلاغية التي تضي على الكلام طرافة وتذهب عن النفس الملل، وتوقظ في المستمع الانتباه عن طريق الانتقال من صيغة إلى أخرى، ومن هنا فقد جاء هذا الأسلوب في القرآن الكريم كثيراً، وفي شعر العرب ونثرهم، ورأى فيه المفسرون ما يبعث على التأثير وعدوا من أغراضه التوكيد فقد أبان الزمخشري عن القيمة البلاغية لهذا الأسلوب بقوله: "إن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وإيقاظاً للإصغاء من إجراءاته على أسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوائد"⁽⁴⁾.

وإذا كان الزمخشري في كلامه السابق قد أشار إلى الفائدة العامة وبين الملحظ العام لوجه الحسن في الالتفات وأثره في السامعين وأن هذا هو الغالب فيه، فإنه من وجه آخر قد فتح الطريق لاستشراف فوائد أخرى توحى بها الآيات القرآنية وفق الدلالات التي يوحى بها السياق، وهذا ما جعل بعض المفسرين يقف عند ملحظ التوكيد المستفاد من هذا الأسلوب.

(1) المحرر الوجيز، ج3، ص377، وانظر في الكلام حول هذا الأسلوب عند المفسرين أيضاً: الكشف، ج2، ص429، ج4، ص425، التفسير الكبير، ج29، ص416.

(2) انظر: عمدة القارئ، ج15، ص101، فتح الباري" ج1، ص114، ج6، ص419.

(3) المشهور عند الجمهور أن الالتفات هو: "التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة (التكلم- الخطاب- الغيبة) بعد التعبير عنه بطريق آخر منها، الإيضاح، ج2، ص87.

(4) "الكشاف" ج1، ص19، 20، وانظر.. ج3، ص134 من نفس المصدر.

ففي قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْتَىٰ... ﴾ (1).

يقول أبو السعود: "والالتفات إلى التكمّل، والخطاب لإظهار كمال الاعتناء بشأن الاستجابة وتشريف الداعين بشرف الخطاب، والمراد تأكدها ببيان سببها والإشعار بأن مدارها أعمالهم التي قدموها على الدعاء لا مجرد الدعاء" (2).

وفي قوله تعالى: ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ (3).

يقول أبو السعود أيضاً: "العدول إلى الغيبة في قوله: ﴿ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ لتأكيد التوبيخ والتشنيع" (4).

وفي قوله تعالى: ﴿ أَمْ آتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ بِالْبَيِّنِ ﴾ (5).

يقول أيضاً: "فالالتفات من الغيبة إلى الخطاب لتأكيد الإلزام وتشديد التوبيخ" (6).

وفي موضع آخر يشير إلى ما في الالتفات من "تربية المهابة وتأكيد ما يتضمنه الكلام" (7).

إلى غير ذلك من الإشارات التي بين فيها المفسرون أن الالتفات يأتي ليخدم أغراضاً بلاغية من ضمنها التوكيد (8).

ولم أقف على شيء من إشارات شراح السنة حول اعتبار التوكيد في هذا الأسلوب.

(1) سورة آل عمران الآية: 195.

(2) إرشاد العقل السليم، ج2، ص133.

(3) سورة النور الآية: 12.

(4) المصدر السابق، ج6، ص161، وانظر: روح المعاني، ج18، ص521.

(5) سورة الزخرف الآية: 16.

(6) إرشاد العقل السليم، ج8، ص39.

(7) المصدر السابق، ج3، ص14.

(8) انظر: روح المعاني، ج4، ص861، روح البيان، ج10، ص119.

8- أساليب أخرى؛

منها التشبيه والتمثيل، فقد جاءت إشارة المفسرين فيما وقفت عليه من كلامهم توضح أثر التشبيه والتمثيل في الكشف عن المعنى وتصويره للأفهام وأنه إنما يهتد إلى التمثيل لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب⁽¹⁾. و"أن المقصود من ضرب الأمثال أنها تؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه، وذلك لأن الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد، فيتأكد الوقوف على ماهيته، ويصير مطابقاً للعقل، وذلك في نهاية الإيضاح، ألا ترى أن الترغيب إذا وقع في الإيمان مجرداً عن ضرب مثل له، لم يتأكد وقوعه في القلب كما يتأكد وقوعه إذا مثل بالنور، وإذا زهد في الكفر بمجرد الذكر لم يتأكد قبحه في العقول كما يتأكد إذا مثل بالظلمة"⁽²⁾.

وكذلك جاءت عبارة شراح السنة صريحة في اعتبار التوكيد غرضاً من أغراض التشبيه والتمثيل يقول ابن حجر: "وفائدة التمثيل التأكيد وجعل المعقول كالمحسوس"⁽³⁾، "وأنه يراد من التشبيه التقريب والتفهيم"⁽⁴⁾. وأن ضرب الأمثال لزيادة الأفهام وتصوير المعاني لترسخ في الذهن ولتحديد الفكر في النظر في حكم الحادثة"⁽⁵⁾.

ومن هذا الكلام يتضح أن التشبيه وإن كان يؤتي به لغرض تقديم المعنى بصورة فنية تقربه من ذهن المتلقي فإن هذا لا يمنع أن يستخدم من أجل أغراض أخرى فرعية كالدقوية والتوكيد.

ومن تلك الأساليب تأكيد المدح بما يشبه الذم فقد جاءت الإشارة إليه في أكثر من موضع⁽⁶⁾.

(1) انظر: الكشاف ج3، ص488.

(2) التفسير الكبير للرازي، ج3، ص311.

(3) "فتح الباري"، ج2، ص15.

(4) المصدر السابق، ج11، ص323.

(5) السابق، ج1، ص177.

(6) انظر: الكشاف، ج2، ص187، ج3، ص114، البحر المحيط، ج6، ص202، روح المعاني، ج9، ص3، التحرير والتنوير، ج9، ص52، فتح الباري، ج3، ص390، ج2، ص413.

وأشار المفسرون كذلك إلى ما يحدثه اختيار الكلمة واستخدامها في سياق خاص من دلالة على التأكيد والتشديد.

يقول الزمخشري في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ^ط وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾⁽¹⁾.

"القول عام يشمل السر والجهر فكان في العلم به العلم بالسر وزيادة فكان أكد في بيان الإطلاع على نجواهم"⁽²⁾.

وكلمة (كفر) حين ترد ولا يراد بها الإشراف بالله فهي إنما تدل على التفضيح والتأكيد من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾⁽³⁾.

"وضع (ومن كفر) موضع (من لم يحج) تأكيد لوجوبه وتشديد لتاركه أي من لم يحج مع القدرة عليه فقد قارب الكفر وعمل عمل من كفر بالحج"⁽⁴⁾.

ويلحظ المفسر أيضاً، ما يستفاد من هيئة الكلمة ودلالة معناها على التوكيد في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾⁽⁵⁾.

"فصيغة المبالغة لتأكيد هذا المعنى بإبراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في صورة المبالغة في الظلم"⁽⁶⁾.

كما أن المفسر يلحظ دلالة الكلمة بخصوص معناها على التوكيد، يقول الزمخشري في قوله تعالى: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ﴾⁽⁷⁾.

(1) سورة الأنبياء الآية: 4.

(2) "الكشاف" ج3، ص178. وانظر أنوار التنزيل، ج4، ص82.

(3) سورة آل عمران آية: 97.

(4) "إرشاد العقل السليم"، ج2، ص62، روح البيان، ج2، ص68.

(5) سورة آل عمران آية: 182.

(6) "إرشاد العقل السليم"، ج2، ص122، روح البيان، ج2، ص135.

(7) سورة طه الآية: 68.

"فيه تقرير لغلبته وقهره وتوكيد بالاستئناف وبكلمة التشديد وتكرير الضمير ولام التعريف وبلفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة وبالتفضيل"⁽¹⁾.

فكلمة العلو هنا أفادت التوكيد بمعناها ومبناها، ويظهر أيضاً كيف تتزاحم عناصر التوكيد في جملة واحدة.

ومن الأساليب التي يؤكد بها الكلام أحياناً أسلوب النداء، فالزمخشري يوضح أنه إذا استخدمت الأداة (يا) في مناداة القريب المدرك الواعي غير الغافل فذلك للدلالة على أهمية الخطاب الذي يتلو المنادى وللتأكيد بأنه معني به جداً"⁽²⁾.

ويزيد الزمخشري هذا الكلام بياناً في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ...﴾⁽³⁾.

"فقد استخدم الله جل جلاله في الآية الكريمة أداة النداء (يا) في مناداة مشركي مكة، وهو أقرب إليهم من حبل الوريد، وذلك لتأكيد الخطاب الموجه إليهم، وللدلالة على أهميته الكبيرة، وهذا الخطاب هو دعوتهم إلى الإيمان بالله الذي أنشأهم والذين من قبلهم، وإخلاص العبادة له"⁽⁴⁾.

وظاهرة أسلوب النداء بالياء خاصة كثر ورودها في القرآن وهو ما جعل المفسرين يفتقون عند هذه الظاهرة يقول الزمخشري: "وإنما كثر النداء على هذه الطريقة في القرآن لاستقلاله بأوجه من التأكيد وأسباب من المبالغة، لأن كل ما نادى الله له عباده من أوامره ونواهيهِ وعظاته، وزواجه ووعده ووعيده، واقتصاص أخبار الأمم الدارجة عليهم وغير ذلك م ما أنطق كتابه أمور عظام وخطوب جسام، ومعان عليهم أن يتيقظوا لها، ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها، وهم عنها غافلون، فاقتضت الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ"⁽⁵⁾.

(1) الكشف، ج3، ص 155.

(2) المصدر السابق، ج1، ص85.

(3) سورة البقرة الآية: 21.

(4) الكشف، ج1، ص85.

(5) انظر: الكشف، ج1، ص85، وانظر: روح المعاني"، ج1، ص182، أنوار التنزيل، ج1، ص215.

ويعني الزمخشري بأوجه التوكيد التي أشار إليها ما يشتمل عليه النداء بهذا الحرف من الإيضاح بعد الإبهام، والتأكيد بحرف التنبيه.

ويرى ابن حجر أن النداء حين يرد في الكلام فهو زيادة في التأكيد⁽¹⁾. وإذا استقصى الباحث مجال النظر إلى أسلوب التوكيد يجد أن شراح السنة تجاوزوا المنطوق والملفوظ إلى بيان أثر الإشارة وحركات الجسم، وهو ما يطلق عليه في الدرس النقدي الحديث بالتصوير بالحركة أو التعبير الإشاري⁽²⁾.

فابن حجر يقرر: "أن الذي يريد المبالغة في بيان أقواله يمثلها بحركاته ليكون أوقع في نفس السامع"⁽³⁾.

وفي حديث الكبائر ورد قول الراوي: "وكان متكئاً فجلس" فجلوسه صلى الله عليه وسلم لاهتمامه بهذا الأمر وهو يفيد تأكيد تحريمه وعظيم قبحه وأمره لأن مفسدة الزور متعدية إلى غير الشاهد بخلاف الشرك فإن مفسدته قاصرة غالباً على الشخص⁽⁴⁾.

وهذا بالطبع لا يدخل في مجال دراستنا التي نتعامل مع الصياغة اللفظية والأساليب الكلامية التي تبين عن المعنى.

ويدرك الباحث هنا أن لفظ التوكيد يتحرر كثيراً من المصطلح الذي يور في فلكه عند علماء اللغة والنحو والبلاغة.

وبعد فتلك صور من أساليب التأكيد التي وقفت على أسرارها البلاغية عند المفسرين وشراح السنة، وفي كتبهم ما يتضمن كثيراً مما غاب عني مما استطاع فيه العلماء أن يكشفوا عن أسرارهم غير أن طبيعة البحث لا تسمح بأكثر مما قدمت، ولعل ما أثبتته الباحث هنا يحقق الطريق إلى إدراك ألوان أخرى وأبواب أخرى جديرة بعناية خاصة في هذا المجال.

(1) فتح الباري، ج4، ص290.

(2) هذه من توجيهات أستاذي الدكتور: يوسف الأنصاري.

(3) المصدر السابق، ج10، ص464.

(4) شرح النووي، ج2، ص88.

المبحث الثاني

في آثار النقاد وشرح الشعر

يحمل الشعر في ألفاظه ومعانيه ثروة لغوية تسهم في حفظ كيان اللغة، وتثبيت معالمها، ودراسة مثل هذه الأشعار، والوقوف عليها، ورياضتها، مفتاح إلى كنوز هذه اللغة، وتعلم آدابها. وحين تتناول الدراسة آثار النقاد وشراح الشعر في مبحث واحد، فما ذلك إلا لأن مادة الشعر هي صناعتهم وميدان كلامهم في أغلب ما سطره في كتبهم، وحيث إن البلاغة العربية لم يتحقق انفصالها عن النقد الأدبي إلا بعد أن أخذت الفنون الأدبية في التوسع والازدهار، وأخذت البلاغة تحصر في مسميات ومصطلحات و تطلق على المباحث المعروفة، فقد كانت البلاغة قبل ذلك تدخل في نطاق النقد دخول الفرع في أصله ولا يستطيع الباحث التمييز بينهما فالبلاغي يعد ناقداً ، والناقد كذلك يعد بلاغياً.

فالبلاغة والنقد يتآزران في الكشف عن المعنى وسبيل وصوله وتمكنه من النفس البشرية، ومعالجة وجوه الجمال والقبح في العمل الأدبي، وإن انفصلاً فهو انفصال موصول العرى لأن نهر اللغة يجري بينهما وهذا وغيره جعل أفراد النقاد مع شراح الشعر من متطلبات البحث للوقوف على تناولهم الخاص في معالجة مسالك التوكيد، والمسائل البلاغية المتصلة به والدالة عليه والمؤدية إليه من خلال طريقتهم في فهم النصوص، واستخراج ما فيها من مسالك حملت المعنى إلى نفس المتلقي، وهو أمر ربما ضاقت دائرته كثيراً عند النقاد وشراح الشعر الذين اعتمدت الدراسة عليه م لأن فنون البلاغة لم تكن قد استوت على سوقها، وكان المصطلح البلاغي واسعاً ومضطرباً في بيانهم، إضافة إلى أن غايتهم كانت تتربو حول الكشف عن الخطأ في استعمال الألفاظ والمعاني، "ولم يكن يعينهم إلا أن يقيسوا الكلام بالمقاييس العربية الخالصة"⁽¹⁾.

وكانت دراساتهم في مجملها أحكاماً عامة تزود الأديب والناقد بجملة من المعارف والمقاييس.

(1) "البلاغة تطور وتاريخ"، د. شوقي ضيف، (مصر، دار المعارف، ط الثامنة، 1992م)، ص62.

وقد أخذت هذه الدراسة في تلمس إشاراتهم لأسلوب التوكيد ودواعيه بعض المصادر النقدية ككتاب عيار الشعر لابن طباطبا، ونقد الشعر لقدامة، والموازنة للآمدي، والوساطة للقاضي الجرجاني، بالإضافة إلى شروح الاختيارات الشعرية كشرح الحماسة للمرزوقي، وشرح الحماسة للتبري زي، وشرح المضمون به إلى غير أهله للعبيدي، وشرح المفضليات للأنباري، كما استندت الدراسة إلى شرح ابن جني وشرح الواحدي على ديوان المتنبي. ونظراً لكون هذا المبحث يدخل ضمن المقدمات العامة لموضوع البحث الأساسي، فقد اقتصرنا الدراسة على ما سبق بيانه حتى لا يتسع القول في هذا الباب.

وقبل الشروع في ذكر مسالك التوكيد يحسن هنا أن أبدأ بذكر القيمة العامة للتوكيد عند النقاد وشراح الشعر، وما يتصل بذلك من أهمية بلوغ المعنى نفس المتلقي وتأثيره فيه وتمكنه منه، وتلمس عنايتهم بالإشارة إلى ما يحقق للمعاني التمكن والإقناع، فقد كان شغلهم الشاغل أن يجد المعنى حظاً من القبول في النفس والتمكن من القلب.

وتأتي عبارة الآمدي واضحة جلية في هذا السياق تكشف عن مزية التوكيد، وأنه إذا أخذ موضعه المناسب نال الكلام به جودة وقوة يقول: " والتوكيد -لعمري- غير منكر ولكنه يكون في موضع أحسن منه في غيره"⁽¹⁾. والتوكيد أيضاً إذا لم يزد الكلام قيمة انحط المعنى وفسد.⁽²⁾ ويؤكد الآمدي في موضع آخر أن المعاني كلما دنت من الحقائق ونالت نصيبها من الاهتمام كانت "أحلى في النفس، وألوط بالقلب، وأولى بالاستجادة، وأن سوء التأليف يفسد المعنى، ولا يستقيم المقصود معه في قلب السامع، لأن إصابة الغرض المقصود وصحة التأليف من أسباب استقامة صناعة الشعر"⁽³⁾.

(1) "الموازنة بين شعر أبي تمام والبحثري"، الحسن بن بشر الآمدي، تحقيق: د. عبد الله حمد محارب، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط الأولى، 1410هـ-1990م)، ج3، ص95.

(2) انظر: المصدر السابق، ج3، ص695.

(3) انظر "الموازنة بين شعر أبي تمام والبحثري" للآمدي، تحقيق: السيد أحمد صقر، (القاهرة: دار المعارف، ط4، 1379هـ، 1960م)، ج1 ص197، 191، 425.

ويجعل القاضي الجرجاني التوكيد سبباً من الأسباب، ووسيلة من الوسائل التي تجعل الشاعر يتفرد بالفضيلة ويرتفع عن دائرة السرقات الشعرية حين يأتي الشاعر " بلفظة تستعذب، أو ترتيب يستحسن، أو تأكيد يوضع موضعه، أو زيادة اهتدى لها دون غيره... " (1).

وفي موضع آخر يشير الجرجاني إلى ما يحققه التوكيد من المبالغة في الكلام فيقول: " وكلما زاد الكلام تأكيداً كان أبلغ " (2).

وتراه أيضاً يشير إلى أهمية تحقيق المعنى وتوكيد الكلام بصورة غير مباشرة فيذكر في تعليقاته على بعض الأبيات أن الشاعر قد استوفى المعنى، وأجاد في الصفة، واستطاع الوصول إلى المراد، دون أن يذكر أسباب ذلك والمسالك التي أدت إليه (3).

ويقرب من هذا ما أشار إليه ابن طباطبا بأن المعنى ينال حضوراً في ذهن السامع ويتمكن من وجدانه إذا صادف عناية بتركيبه، وحسن العبارة عنه فالسامع عند ذلك "يبتهج لما يرد عليه مما قد عرفه طبعه، وقبله فهمه، فيثار بذلك ما كان دفيناً ويبرز به ما كان مكنوناً فينكشف للفهم غطاؤه فيتمكن من وجدانه بعد العناء في نشدانه" (4).

ويدرك الباحث في هذه الأقوال أن الكلام يجري من خلالها في مفهوم التوكيد، ويأخذ من نبع، لأن المقصود الأعظم لهذا الأسلوب هو إزالة الشك، وتحقيق المراد.

بعد بيان ما سبق أتناول الآن مسالك التوكيد وفق ما وجدته من نماذج تطبيقية عند النقاد وشراح الشعر، وحيث سبق القول إن الإشارات إلى هذا

(1) "الوساطة بين المتنبي وخصومة" القاضي علي عبد العزيز الجرجاني، تحقيق : محمد أبو الفضل، علي محمد البجاوي، (مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ب. ط، ب. ت)، ص186، وانظر أيضاً: ص214، من نفس المصدر.

(2) المصدر السابق، ص202.

(3) السابق، ص132، 252.

(4) "عيار الشعر"، ابن طباطبا : محمد بن أحمد العلوي، تحقيق : د. عبد العزيز المانع، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ب. ط، ب. ت)، ص202

الأسلوب لم تخرج كثيراً عن حدود النظر اللغوي والنحوي- وإن ظفر الباحث بإشارات لطيفة في مواضع معينة ستأتي الإشارة إليها في موطنها- ، فإن الدراسة ستكتفي بالبيان الموجز في مثل هذه المسالك التي غلبت عليها النظرة اللغوية والبحث النحوي متجاوزة ما ورد حول التوكيد المعنوي (1). لتعلقه بالبحث النحوي ولأنه يختص بتأكيد أحد طرفي الإسناد فقط.

وعلى هذا فإن من أهم مسالك التوكيد في آثار النقاد وشراح الشعر ما

يلي:

أولاً: التوكيد بالأداة:

1- (إن) و(اللام)

ومن أوضح الإشارات في هذا ما ذكره (العبيدي). في تعليقه على قول أبي فراس:

فإن يَجَّهْ في بعض الأمور فإنني لأشكر النعمى التي كان أودعا

فقد شرح العبيدي البيت ثم قال:

"فأكد الشكر بـ(إن واللام) ليدل على رد الإنكار"(2).

وهذا هو الضرب الثالث من أضرب الخبر عند البلاغيين، وهو ما يسمى بالضرب الإنكاري(3).

والشاعر هنا أراد بهذا التوكيد أن يرد على من ينكر وفاءه لمخاطب ه مثبتاً نبيل أصله وعمق وفائه وعدم كفرانه المعروف مهما تقاصر امتداده إليه، وهذا دليل على صدق مودته وحفاظه على الود القديم والعهد الكريم ولهذا

(1) انظر على سبيل المثال: "الموازنة" ج3، ص95، "شرح ديوان الحماسة"، أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، تحقيق: أحمد أمين وعبد السلام هارون، (بيروت: دار الجيل، ط الأولى، 1411هـ، 1991)، ج1، ص460، ج2، ص732، 833، ج3، ص1742.

(2) "شرح المضمون به على غير أهله" عبيد الله بن الكافي العبيدي، (بغداد: دار البيان، بيروت: دار صعب، ب. ط، ب. ت)، ص429.

(3) انظر: الإيضاح، ج1، ص71.

أكده بمؤكدین علی حسب ما تقتضیه درجة الإنكار في ذهن الشاعر، وواقع المخاطب⁽¹⁾.

ويشير إلى ذلك في قول الفرزدق يهجو جريراً:

فإنِّي للمَّوتُ الذي هو نازلٌ بنفسكَ فانظر أَيَّ شيءٍ يعادلُه

قال العبيدي:

"يقال: عادلت بين الشيئين إذا سويته بينهما، فأكد الجملة بإن واللام حتى حققه بأنه الموت، ثم قال: إذا كنت أنا الموت فانظر أي شيء يماثله ويتمكن من مقاومته"⁽²⁾.

فالمقام هنا استدعى لجوء الشاعر للتوكيد بأداتين لإثبات ما يهدف إليه من قوة نفسه وتخويف صاحبه بمنزلته وجليل خطره.

وتأتي إشارة الواحدي إلى لام التأكيد في شرحه على قول المتنبي:

صَحَّتْ كلُّ لَبِيرَةٍ وَلَمَّوتَ عَنْ لِكُنْهَ وَعَدَدْتَ سِنَّ غَلامِ

"فاللام في لكانه لام التأكيد وتدخل في ابتداء الكلام"⁽³⁾.

وإنما سميت هذه اللام بلام التأكيد لأنها "تؤكد مضمون الجملة التي تدخل عليها، فوجودها هو بمثابة تكرير للجملة نفسها"⁽⁴⁾.

ولام التأكيد هذه أطلق عليها النحاة أسماء تختلف في اللفظ، وتتفق في الهدف، وهو توكيد معنى الجملة المثبتة⁽⁵⁾، وقد ذكر العكبري في شرحه على ديوان المتنبي أن الشاعر "أدخل لام التأكيد على كأن، وهو قليل جداً، والقياس لا يمنع منه لأن كاف التشبيه تكون في صدر الكلام، وقولك: لَكُنَّ زيدا عمرو

(1) انظر: "البلاغة والنقد الأدبي في شروح الاختبارات الشعرية"، د. محمد بن سليمان الصيقل، (الرياض:

مكتبة التوبة، ط1، 1422هـ، 2002م)، ص72-73

(2) شرح المضمون به على غير أهله، ص476.

(3) "ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العلامة الواحدي"، تحقيق: د. عمر فاروق الطباع، (لبنان: بيروت:

دار الأرقم بن أبي الأرقم، ب.ط، ب.ت)، ج2، ص842.

(4) "أساليب التأكيد في اللغة العربية"، إلياس ديب، (بيروت: دار الفكر العربي، ط1993)، ص255.

(5) انظر: المصدر السابق، ص239، وانظر: "الكتاب"، ج1، ص120، 320.

مؤد عن قولك، كعمرو زيد، فجاز دخول اللام على الكاف، كما جاز في قولك لزيد أفضل من بكر⁽¹⁾.

أما الإشارة إلى هذه اللام في شروح الحماسة والمفضليات فقد جاءت متنوعة ومختلفة فتارة لا تتم الإشارة إليها رغم ظهورها في نص البيت، أو الإشارة إليها دون اعتبار التوكيد فيها⁽²⁾.

وتارة يشار إلى التوكيد فيها مع ذكر وجه آخر، ومن هذا ما ورد عند الأنباري في تعليقه على قول متمم بن نويرة.

صَدَمَتْ زُنَيْبَةً حَلَبًا مَنْ لَا يَقْطَعُ حَلَبَ الْخَلِيلِ وَاللَّامَ أَنْ تَفْجَعُ

حيث قال في شرح البيت: "واللام لام التأكيد: أي أنها تفجع أمانة نفسها أن قطعت حبلي كقولك: إنما تضر بنفسك أن فعلت ذاك، وهذه اللام لام توكيد. قال أبو بكر. وهي عندي لام اليمين"⁽³⁾.

2- نونا التوكيد:

يقول المرزوقي في قول الشاعر:

فإما تريني اليوم أصبحت بادنا لديك فقد ألقى على البزل مزحماً
"أكد الفعل المشترط به بالنون"⁽⁴⁾.

ويشير العبيدي إلى ذلك في قول تأبط شراً:

لِقَوْلِ عَنِّي عَلِيٍّ السِّنُّ مِنْ نَدَمٍ إِذَا تَذَكَّرْتَ يَوْمًا بَعْضَ أَخْلَاقِي

فـ"هذا خبر مؤكد بلام القسم ونون التوكيد الثقيلة، وإنما حمل الشاعر على ذلك سوء معاشره هذه المرأة له، وزهادتها في، ورضاها بمفارقتها فأخبر بهذا الخبر عنها، وأنها ستندم على اختيارها مفارقتها"⁽⁵⁾.

(1) شرح ديوان أبي الطيب المتنبى بشرح أبي البقاء العكبري المسمى التبيان في شرح الديوان " ضبط وتصحيح: مصطفى السقا، وزملاؤه، (لبنان: بيروت: دار المعرفة، ب. ت)، ج4، ص10.

(2) انظر على سبيل المثال: شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي، ج1، ص92-93، ج3، ص1173.

(3) "ديوان المفضليات شرح الأنباري"، (بورسعيد: مكتبة الثقافة الدينية، ط الأولى، 1420هـ، 2000م)، ص63.

(4) شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي، ج1، ص321، وانظر أيضاً: ج2 ص534. من نفس المصدر.

(5) شرح المضمون به على غير أهله، ص218.

3- القسم:

لعل المرزوقي أكثر من أشار إليه موضحاً : أنه يتضمن التحقيق والتثبيت في التقرير، وتأكيد المقرر على المخاطب، وأنه يخرج الكلام من أن يكون على سبيل التظني (1).

وفي مواضع أخرى أشار المرزوقي إلى جملة القسم دون اعتبار التوكيد فيها (2)، ولعل ذلك يعود لوضوح هذا المسلك في إفادة التوكيد، واللغوي كثيراً ما يبني على فهمه في تجاوز مثل هذه الإشارات والدلالة عليها.

4- الأحرف الزائدة:

الحديث أيضاً عن هذه الحروف جاء مقتضياً فقد يذكر الحرف الزائد دون الإشارة إلى فائدته المعنوية أو اللفظية.

فالأمدي والجرجاني أشارا إلى زيادة (لا) وذكرنا أنها تزداد في الكلام كثيراً (3).

أما الواحدي فقد أشار إلى زيادة اللام موضحاً غرض التوكيد فيها ومستنداً في كلامه على قول ابن جني، وذلك في قول المتنبي:

نَحْنُ مَنْ ضَرَبَ الزَّمَانَ لَهُ فِيهِ كَ وَخَانَ قُرْبَكَ الْأَيْمِ

فـ "اللام في له زائدة للتأكيد" (4).

كما أشار إلى زيادتها في قول المتنبي:

وسهقَ عليّ من مَعٍّ وغيَرها قَبْلَهُ لا تُعْطِي الْفِيَّ لِسَائِقِ

فقد "زاد اللام في لسائق زيادة للتوكيد" (5).

(1) انظر: شرح ديوان الحماسة" ج2، ص876، 878، وانظر أيضاً: ج2، ص534، ج3، ص1297.
(2) انظر مثلاً: "المصدر السابق" ج1، ص57، ص375، ج2، ص771، 835، 850، ج3، ص1235، 1238.

(3) انظر: "الموازنة" ج3، ص467، والوساطة" ص475.

(4) "ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العلامة الواحدي" ج2، ص566.

(5) المصدر السابق، ج2، ص805.

وتحدث ابن جني عن زيادة الباء ولم يذكر غرض التوكيد فيها (1)،
وتبعه في ذلك الواحدي (2).

وممن نص على اعتبار التوكيد في زيادتها المرزوقي (3).
كما نص على زيادة (إِنَّ) لتوكيد النفي (4). في قول أبي كبير الهذلي:
ما إن يمسُّ الأرض إلا جانبُ منه وحرفُ الساق طيُّ المَحْمَلِ
وكذلك زيادة "ما" للتأكيد في قول مجمع بن هلال:
إن أمس ما شريحاً كبيراً فطال ما عَمَرْتُ ولكن لا أرى العُمَرَ يَهْجَعُ
"قوله: (ما شيخاً) ما زائدة للتأكيد" (5).

وما تقدم ذكره ينبئ بوضوح أن هذه الأدوات لا تكاد تنفك من دائرتها
النحوية واللغوية، وأن الباحث لا يظفر بإشارات تمنح التوكيد أسراراً وأبعاداً
من الدواعي والمقتضيات تجعل البحث يحتفي ويتوسع في مثلها.

5- أدوات أخرى:

وهي أدوات جاء الحديث عنها عابراً دون النظر على اعتبار التوكيد
فيها ويبدو أن تواتر القول بالتوكيد فيها صرف حديث النقاد وشراح الشعر
عنها ومن تلك الأدوات: قد (6)، والسين (7)، وأما (8)، وأداة التنبيه ألا (9)،
ولكن (10).

(1) انظر: "ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي الفتح عثمان بن جني المسمى بالفسر"، تحقيق: د. صفاء
خلوجي، (بغداد: المؤسسة العامة للصحافة والطباعة مطبعة دار الجمهورية، ب . ط، 1389هـ،
1969م) ج1، ص192.

(2) انظر: "ديوان المتنبي بشرح العلامة الواحدي"، ج1، ص54.

(3) انظر على سبيل المثال: "شرح ديوان الحماسة" ج1، ص383، ج2، ص499، ص606، ص772،
ص830، ج3، ص1244، 1307.

(4) انظر: "شرح ديوان الحماسة" ج1، ص90.

(5) "المصدر السابق"، ج2، ص713.

(6) انظر: الموازنة، ج1، ص433، ج2، ص255.

(7) انظر "شروح ديوان الحماسة للمرزوقي" ج2، 1234.

(8) انظر: "ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العلامة الواحدي"، ج1، ص97.

(9) انظر: "شرح ديوان الحماسة للمرزوقي"، ج2، ص799، ج3، ص1242.

(10) انظر: المصدر السابق. ج2، ص803.

ثانياً: التوكيد بغير الأداة :

وسيكون الحديث عنه مبنياً على تلمس صريح عبارتهم في اعتبار هذه الأساليب من مسالك التوكيد، كما أننا سنقدم الحديث عن الأساليب الاصطلاحية، ثم نردف القول في مسالك أخرى جاء فيها شيء مما يتصل بالدراسة أو هي تفيد التوكيد ولها معان أخرى، على أن الكثير من هذه الأساليب كان المصطلح البلاغي فيها يشوبه كثير من الاضطراب، وما عول عليه الباحث في تسمية المصطلح يعود في بعض هذه الأساليب إلى اجتهاد فردي بعد النظر والمقارنة، فالمصطلح البلاغي عند النقاد لم يكن قد نال حظه من التدقيق والضبط، كما أن نظرهم كان قائماً على بيان المعنى وتلمس الجوانب الفنية بوجه عام أما شراح الشعر " فلعل لهم العذر في عدم التدقيق أو التأصيل في البحث البلاغي كما عرفت مصطلحات عند المتأخرين لأنهم شارحون لغويون أدبيون لا يعنيه البحث البلاغي الصرف، هذا من وجه، ومن وجه آخر: أن هذه المصطلحات لم تستقر ولم تتضح إلا في عصور متأخرة عن أكثر هؤلاء الشراح"⁽¹⁾.

ومع هذا فقد كان للنقاد وشراح الشعر من إدراك مرامي القول وفقه دلالات النظم ومعطيات التراكيب ما يجعل الدراسة تقف عند هذه الأساليب وتقيد بيانهم حولها ومن أهم هذه المسالك ما يلي:

(1) المصدر :

ومن أمثلته عند المرزوقي: قول قبيصة بن جابر:

لنا الحِصْنانِ من أجا وسلمى وشهْ قِلاَّ ما غيْ انتحـالِ
فانتصب غير على أنه مصدر أكد به ما قبله"⁽²⁾.

والمرزوقي يرى أن غير يجري مجرى حقاً وما أشبهه، ويؤكد به الكلام الذي قبله كقول دريد بن الصمة:

(1) انظر: "البلاغة والنقد في شروح الاختيارات الشعرية" ج1، ص53.

(2) شرح ديوان الحماسة" ج2، ص709.

فإنَّ لِلْحَمِّ السِّيفَ غَيْرَ نَكِيَّةٍ وَنُحْمُهُ حِينًا وَلَيْسَ بِنِي نُثْرٍ

فمن أعرب غيري حالاً للحم في رواية غير نكيرة فليس بجيد، لأن القصد إلى تأكيد الكلام بهذا المصدر⁽¹⁾.

أما المصدر المؤكد للفعل المصرح به فقد أشار إليه المرزوقي في قول
دريد بن الصمة:

أَمَرْتُهُمْ أَمْرِي بِمَنْعِ جِ اللُّوِيِّ فَلَمْ يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ

"فقلوه: (أمري) يجوز أن يكون مصدر أمرت، وجاء به لتأكيد
الفعل"⁽²⁾.

(2) توكيد الضمير بالضمير:

للشراح حول توكيد الضمير بالضمير كلام جيد إشارتهم إليه توضيحية
بإيراد القاعدة، فابن جني ذكر قول المتنبي:

تَطِيعُ الحَاسِدِينَ وَأَنْتَ مَرءٌ جُعْتُ فِدَاءَهُ وَهَمُّ فِدَائِي

ثم قال: "(وهم) عطف على التاء في (جعلت) وحسن العطف وإن لم
يؤكد لطول الكلام بفداء"⁽³⁾.

ويقول المرزوقي: "وعطف الظاهر على المضمرة المرفوعة ضعيف حتى
يؤكد"⁽⁴⁾.

ويشير إلى ذلك في قول عقيل بن علفة:

وَلَيْتُ أَكَيْسَ الْكَيْبَرِيِّ إِذَا لُوْتُ فِيهِمْ وَإِنْ كُنْتَ فِي الْحَمَقِيِّ فَكُنْ أَنْتَ أَحْمَقُ

قال المرزوقي: "كن أنت" أنت توكيد للضمير في "كن"⁽⁵⁾.

(1) انظر: "المصدر السابق" ج2، ص825.

(2) المصدر السابق، ص815.

(3) شرح ديوان المتنبي لأبي الفتح ابن جني، ج1، ص66.

(4) شرح ديوان الحماسة، ج1، ص235، 490.

(5) شرح ديوان الحماسة ج3، ص1145.

(3) الجملة الاسمية:

ذكر العبيدي أنها تحقق الثبوت والاستمرار وذلك في شرحه على قول الشاعر:

سلام عليكم علمكم باشتياقن نوب لكم عن شرحه في الرسائل
يقول: "سلام: مبتدأ، وعليةم : خبره، والمبتدأ نكرة تختص بنسبته إلى
السلم إذ أصله: سلمت سلاماً، ثم حذفوا الفعل، فبقي سلاماً عليكم ثم عدل عن
النصب إلى الرفع لغرض الثبوت، لأنه إذا كان مرفوعاً يكون جملة اسمية،
والجملة الاسمية تدل على الثبات، بخلاف الفعلية فإنها لا تدل على الثبات"⁽¹⁾.
وروح البحث البلاغي ظاهرة في هذا النص.

(4) القصير:

جاءت دلالتهم على هذا الأسلوب وما يفيد من التخصص بين والتوكيد
دلالة فحوى تفهم من مضمون الكلام ومؤداه.

فمن ذلك ما أشار إليه المرزوقي في شرحه لقول الشاعر:

وإنما أولادنا بعيننا أكبادنا تمشي على الأرض

يقول: "قوله" إنما يدخل لتحقيق الشيء على وجه مع نفي غيره عنه"⁽²⁾.
وفي طريق النفي والاستثناء يمكن أن تكون إشارة الواحد الأكثر
وضوحاً، ففي قول المتنبي:

وما أنا إلا عاشقٌ كلُّ عاشقٍ أعقُّ خليليه الصفيين لايمه

قال الواحدي: "أخبر عن نفسه بالعشيق بلفظ مؤكّد لهذا الوصف ولو
قال: أنا عاشقٌ جاز؛ ولكن هذا أبلغ وأتم"⁽³⁾.

(1) شرح المصنوع به على غير أهله، ص549.

(2) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، ج1، ص288.

(3) "ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العلامة الإمام الواحدي" ج2، ص556.

(5) الإطناب وأنواعه:

عبر النقاد والشراح عن مصطلح الإطناب بالإطالة في الكلام لغرض التوكيد، وهذا القيد هو الذي يخرج الإطناب عن التطويل غير المفيد وهو ما صرح به التبريزي عندما شرح قول الأحنس بن شهاب:

لابنة حطان بن عوف منازلٌ كما رقتش العنوان في الرق كاتبٌ

"فالشاعر لجأ إلى الإطناب في الكلام لغرض التوكيد، وذلك حين قال : كما رقتش لأن قوله كما رقتش في موضع مصدر مؤول من ما والفعل أي كترقتش فيكون الكلام "كعنوان مرقش من يد كاتب في الرق" ثم قال التبريزي بعد ذلك: "ومثل ما فعله الأحنس من تطويل الكلام تأكيداً قول امرئ القيس:

لها منتان خظانت كما أكب على ساعديه النمّره⁽¹⁾.

والمراد: لأنّ عليها نهراً باركاً لإشرافها، فقال : كما أكب على ساعديه"⁽²⁾.

ويقرب مما سبق في الدلالة على التوكيد ويمكن أن يكون من باب الإيضاح بعد الإبهام أو التفصيل بعد الإجمال وهو أحد أنواع الإطناب . ما ذكره أيضاً التبريزي في قول تابط شراً:

لا شيء في ربيها إلا نعامتها منها هزيمٌ ومنها قائمٌ باقي⁽³⁾.

"قوله: (منها هزيم) تفصيل لقوله: نعامتها... يقول: لا شيء في أعالي هذه القلة إلا خشبات الطلائع؛ فهي من بين قائم وساقط فأعاد قوله : منها عند

(1) المنتان: جنبتا الظهر، خطاتا: أراد خطاتان فحذف النون استخفافاً، والخطا: المكتنز كثير اللحم والذي

ركب لحمه بعضه بعضاً وهو هنا يصف الفرس، انظر: لسان العرب، مادة متن، خطا.

(2) "شرح اختيارات المفضل" الخطيب التبريزي، تحقيق: فخر الدين قنادة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1407هـ، 1987هـ)، ج2، ص922، وحاشيتها، ص923، وانظر: البلاغة والنقد الأدبي في شروح الاختيارات الشعرية"، ص268، 269.

(3) النعامة: خشبات تآون في أعلى الجبل يستظل بها الرجل، والهزيم : المتكسر المتقطع، الرّيد وجمعه ريود وهي حروف الجبل المشرفة على الهواء، ونعامتها شخصها، وشخص كل شيء نعامة، يقول تلك النعامة منها متكسر ومنها باق. انظر: شرح المفصليات، ص17.

التبيين على طريق التأكيد، ولو لم يأت به لجاز، وفي القرآن "منها قائم وحصيد"، وفي موضع آخر: فمنهم شقي وسعيد"(1).

وعند الواحدي إشارات يمكن أن تدخل في التفسير ب عد الإبهام، والتفصيل بعد الإجمال(2).

والتكرار من أكثر أنواع الإطناب التي جاءت عبارة النقاد وشرح الشعر صريحة وواضحة في بيان قيمته واعتباره من مسالك التوكيد، فالتوكيد يأتي مصاحباً للكثير من أغراض التكرار، والباحث في التراث النقدي يرى كيف احتفى النقاد بهذا الأسلوب وعدوه من مظاهر الفصاحة والبيان ولاسيما إذا استدعاه المقام، وفرضته دواع نفسية.

وإذا كان مفهوم البيان يقوم عند الجاحظ على الإفهام وكشف المعنى حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله، فإن التكرار بهذا الاعتبار يعد وسيلة قوية في بلوغ هذا المراد ولهذا نبه الجاحظ في هذا السياق إلى ضرورة الأخذ به في بعض المقامات " لأن الناس قد تعودوا المبسوط من الكلام، وصارت أفهامهم لا تزيد على عاداتهم إلا بأن يعكس عليها ويؤخذ بها..."(3).

ويوضح صاحب كتاب البرهان كثيراً من مزايا التكرار وغايته العظيمة فيقول: "وأما الإطالة ففي مخاطبة العوام، ومن ليس من ذوي الإفهام، ومن لا يلتقي من القول بيسيره، ولا ينفدق ذهنه إلا بتكريره، وإيضاح تفسيره، ولهذا استعمل الله عز وجل في مواضع من كتابة تكرير القصص، وتصريف القول ليفهم من بعد فهمه، ويعلم من قصر علمه"(4).

(1) شرح اختيارات المفصل " ج1، ص128، وحاشيتها.

(2) انظر: "ديوان أبي الطيب المتنبّي بشرح العلامة الواحدي". ج2، ص829، 837.

(3) "الحيوان" الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، (بيروت: المجمع العربي الإسلامي، ط3، 1388هـ)، ج1، ص90.

(4) "البرهان في وجوه البيان" تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، (ط الأولى)، ص103.

وقد أسهم شراح الشعر بصفة خاصة في بيان الغرض البلاغي للتكرار وأثره في التعبير وتوكيد المعاني، فمن ذلك ما أشار إليه المرزوقي في قول الشاعر:

فهلا أعدوني لمثلي نفلقُدُوا إذا الخِصمُ أبوى مائل الرأس أُنكِبُ
وه لا أعدوني لمثلي تفاقدوا وفي الأرض مَبْثُوثٌ شُرْجَاعٌ وَعُقُوبٌ⁽¹⁾.

فقد كرر الشاعر الشطر الأول وإنما "كرر ما كرره على وجه التأكيد وتفضيلاً للأمر"⁽²⁾.

ويرى ابن الأنباري أن تكرر (أودي) في قول سلامة بن جندل:

أودى الشبابُ حميداً ذو التعَّاجِبِ أودى ودلِكَ شأوَ غيرِ مَطْلُوبِ
إنما جاء لنكته التصحيح والتوكيد⁽³⁾.

ويبين التبريزي السر البلاغي للتكرار في قول علقمة بن عبدة:

فلا تعدلي بيني وبين مُغَمَّرٍ سقنك روايا المَزْنِ حين نَصُوبِ
سقاك يمانِ نو حَبِيٍّ وعارِضٍ تروحُ به جِنَحِ العِشِيِّ جَهَّوبِ⁽⁴⁾.

(1) تفاقدوا: دعاء أي فقد بعضهم بعضاً، والذَيْرَى : تأخر العجز، والنكب : شبه الميل في المشي، ومنه الأنكب من الإبل وهو الذي يمشي في شق، والمبثوث : المنتشر، والشجاع : الحية، وكنى بالعقرب وبه عن الأعداء والشر . والمراد: هلا جعلوني عدة لرجل مبتلى وقد جاءهم الخصم متأخر العجز مائل الرأس منحرفاً، وهذا تصوير لحال المقاتل إذا انتصب في وجه مقصوده، وهلا جعلوني عدة لرجل مبتلى في البأس، وقد انتشر في الأرض أعداء كثيرة، وأنواع من الشر فظيعة، انظر : شرح الحماسة للمرزوقي، ج1، ص214، 215.

(2) "شرح ديوان الحماسة للمرزوقي" ج1، ص214، 215.

(3) انظر "شرح المفصليات"، ص224.

(4) المغمَّر: الذي لم يجرب الأمور، والمزن : سحاب أبيض يأتي في قبل الصيف وهو أحسن السحاب، وروايا المزن ما حمل فيه الماء، يمان أي من شق اليمن، والحبِيّ: القريب من الأرض من السحاب والعارض السحاب، جنح العشي أي حين تجنح الشمس أي تدنو من المغيب، وخص العشي، لأن مطر العشي أحمد من مطر الغداة عند العرب، وخص الجنوب لأنها تؤلف السحاب وتمرية ويكون بها المطر والحياة والخصب، انظر: شرح المفصليات، ص770، 771..

فقول: "قال مكرراً (سفاك) استدامة للسقيا وتأكيذاً: للدعاء" (1).

وتتعدد إشارتهم إلى غرض التوكيد في التكرار، وأغلب كلامهم في هذا الباب يدور حول التكرار اللفظي المشهور عند النحاة، وإرادة التوكيد فيه واضحة (2).

كما جاءت الإشارة إلى التوكيد المعتبر في الجمع بين لفظين مترادفين (3) ومن ضروب الإطناب: التذييل:

وهو من أكثر طرق الإطناب دلالة على التوكيد، ومن شواهدهم قول المتنبي:

وَلَجُدْتُ حَتَّى لُئِيتَ تَبَجَلُ حَائِلًا لَلْمُنْكَأَى، وَمِنَ السَّرُورِ بَكَاءُ

فقوله: (ومن السرور بكاء) يؤكد المعنى السابق إذا تناهى الإنسان في السرور بأى، وهذا تذييل يجري مجرى المثل (4).

أما المرزوقي ومن تبعه من شراح الاختيارات الشعرية فتأتي إشارتهم إلى التذييل أحياناً عارضة دون ذكر الغرض البلاغي (5)، وأحياناً تأتي إشارتهم إلى فن آخر يطلقون عليه ما يجري مجرى الالتفات، وشواهدهم عليه تصلح أن تكون من ضرب التذييل الجاري مجرى المثل، من ذلك ما ذكره المرزوقي في قول الشاعر:

دَاوِ ابْنَ عَمِّ السَّرِّءِ بِالنَّأْيِ وَالغِنَى لِنَفْسٍ بِالغِنَى وَالنَّأْيِ عَنْهُ مُدَاوِيَا

"فقول الشاعر (كفى بالغنى والنأى عنه مداويا) وهذا يجري مجرى الالتفات وهو تنبيه على أنهما الغاية فيما يحسم به شره، ويدفع به ضيره...،

(1) شرح اختبارات المفضل، ج3، ص1580، وحاشيتها.

(2) انظر في هذا: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، ج 1، ص224، 225، ص314، ج2، ص584، ج3، ص1151، 1277، وشرح المضمون به على غير أهله، ص498.

(3) انظر: الموازنة، ج3، ص195، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، ج1، ص222

(4) شرح ديوان المتنبي، للعكبري، ج1، ص29. وانظر: "ديوان المتنبي شرح أبي الفتح ابن جني" ج1، ص99.

(5) انظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، ج1، ص148. وشرح اختبارات المفضل " ج3، ص1522، وحاشيتها.

والكلام يجري أيضاً مجرى التأكيد فيما دعا إليه، والتحقيق لعناء ما أشار به⁽¹⁾.

فالشاهد كما ذكر المرزوقي يحتمل أن يكون من باب الالتفات لأن الشاعر انتقل من صيغة الخطاب في الشطر الأول إلى صيغة الإخبار في الشطر الثاني، وهي صيغة تحتمل الغيبة ومن هذا الوجه ساغ أن يطلق عليه المرزوقي مصطلح ما يجري مجرى الالتفات⁽²⁾.

أما دلالاته على التذييل فواضحة وهو ما يذهب إليه الهاحث لاتفاق هذه الصيغة مع كثير من سمات فن التذييل لاسيما وقد رأى المرزوقي أن العبارة تفيد التأكيد للجملة السابقة.

ومن هذا أيضاً ما ذكره حول قول الشاعر:

مَنْ الْجَانِبِ الْأَقْصَى وَإِنْ كَانَ ذَا غِنَى جَزِيلٍ وَلَمْ يَجْهِوْكَ مِثْلَ مُجْرَبٍ
قال المرزوقي: "وقوله: ولم يخبرك مثل مجرب" يجري مجرى الالتفات وهو توكيد للخبر الذي أورده، وتحقيق لما أنبأ به وشرحه، وأن ما قاله قاله عن تجربة وخبرة، لا عن سماع وخبر"⁽³⁾.

وما سبق يؤكد ما أشرنا إليه من تداخل المصطلحات، ويؤكد خصوصاً أن الالتفات أكثر اتساعاً مما أقره جمهور البلاغيين.

وقد يتحقق التوكيد أيضاً بالإيغال⁽¹⁾. فقد تحدث عنه قدامة بن جعفر وعده من باب ائتلاف القافية مع سائر البيت وعرفه بقوله: "الإيغال أن يأتي

(1) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي "ج 1، ص 292، 293.

(2) انظر: "البلاغة والنقد في شروح الاختيارات الشعرية" ص 121، 122.

(3) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، ج 1، ص 359، وانظر: شرح المصنفون به على غير أهله، ص 86، 87، ولعل مفهوم الالتفات الذي أشار إليه المرزوقي يتعلق بالمفهوم العام للالتفات، وهو = الانتقال من معنى إلى معنى أي بمفهومه عند الأصمعي (التفاتات جرير)، أو الالتفات الذي أشار إليه قدامة بن جعفر بقوله: "ومن نعوت المعاني الالتفات، وبعض الناس يسميه الاستدراك، وهو أن يكون الشاعر آخذاً في معنى فكأنه يعترضه إما شك فيه، أو ظن بأن راداً يرد عليه قوله، أو سائلاً يسأله عن سببه، فيعود راجعاً على ما قدمه، فإما أن يؤكد أو يذكر سببه أو يحل الشك فيه... انظر: نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق: كمال مصطفى، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط الثالثة، 1398هـ - 1978م). ص 146-147، وانظر: معجم المصطلحات البلاغية، ج 1، ص 295-297.

الشاعر بالمعنى في البيت تماماً من غي أن يكون للقافية فيما ذكره صنع، ثم يأتي بها لحاجة الشعر في أن يكون شعراً إليها فيزيد بمعناها في تجويد ما ذكره في البيت كما قال امرؤ القيس:

كَأَنَّ عَيْونَ الوَحشِ حَوْلَ خَيْبَتِنَا وَأَرْجُلَهَا الجَزَعُ الَّذِي لَمْ يَثُوبِ

فقد أتى امرؤ القيس على التشبيه كاملاً قبل القافية وذلك أن عيون الوحش شبيهة بالجزع، ثم لما جاء بالقافية أوغل بها في الوصف ووكده وهو قوله: الذي لم يقب، فإن عيون الوحش غير مثقبة وهي بالجزع الذي لم يقب أدخل في التشبيه⁽²⁾.

وقد ظل هذا الشاهد حاضراً في كتب البلاغيين المتأخرين، وفي كلامهم ما يؤيد أن المعنى يزيد بهذا الأسلوب وضوحاً وتوكيداً، وسيأتي بيان هذا في المبحث الثالث بإذن الله.

ومن هنا فقد أشار أيضاً المرزوقي إلى ما يرد من لفظة في نهاية البيت لتأكي التشبيه⁽³⁾.

وإذا استند الباحث أيضاً إلى ما ذكره قدامة في تعريف التتميم باعتباره من أنواع الإطناب عند البلاغيين، فسيلحظ دلالة هذا الأسلوب على التوكيد حيث قال "التتميم: وهو أن يذكر الشاعر المعنى فلا يدع من الأحوال التي تتم بها صحته وتكمل معها جودته شيئاً إلا أتى به"⁽⁴⁾.

ففي ضوء هذا التعريف وما ذكره أيضاً أبو هلال العسكري في كتابه⁽⁵⁾. تأتي بعض شواهد النقاد وشراح الشعر حاملة معها دلالة هذا الأسلوب على التوكيد، من ذلك ما أورده القاضي الجرجاني حول قول أبي دهب الجمحي:

(1) الإيغال: ختم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها. الإيضاح، ج3، ص202.

(2) نقد الشعر، ص169، 170.

(3) انظر: "شرح ديوان الحماسة للمرزوقي"، ج3، ص1153، 1154.

(4) "نقد الشعر" ص137.

(5) الصناعتين، تحقيق: علي محمد الجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار الفكر العربي، ط2، ب.

ت)، ص404.

وكيف أنسك لا أيديك واحدةً عندي ولا بالذي أوليت من قدم
حيث بين القاضي أن أبا دهب: "جمع كلام غيره في قوله : (لا أي ديك
واحدة عندي) ثم أضاف إليه (ولا بالذي أوليت من قدم) فتم المعنى وأكده
أحسن تأكيد لأن الأمور العظيمة قد تنسى إذا طال أمدها، وتقادم عهدا فنفي
عنه وجوه النسيان كلها"⁽¹⁾.

وتراه يذكر في أكثر من موضع أن الشاعر كلما ذكر المعنى ولم
يغادره حتى يستوفيه حقه كان ذلك أبلغ وأكد للمعنى⁽²⁾.

ويشير المرزوقي إلى ذلك في قول المساور بن هند:

ولنا قناةٌ من رديئة صرقةٌ زوراءَ حاملها كذلك أزور⁽³⁾.

"الشاعر لم يرض بذكر القناة وما جرت العادة من وصف أعوجاجها
حتى عقبه بقوله: "حاملها كذلك أزور" فزاد على من تقدم، وإنما أراد التأكيد
والمبالغة وتبيين قوة الامتناع على من يطلب اقتسارهم"⁽⁴⁾.

ويمكن أن يدخل في هذا ما ذكره الآمدي حول قول أبي تمام:

الودُّ للقربي ولكن عرفه للأبج الأوطان دون الأقرب

فقوله: "دون الأقرب) توكيد يوجب إخراج الأقارب من العر
وتخليصه للأبعدين"⁽⁵⁾.

ومن أنواع الإطناب الاعتراض: وقد نال هذا الأسلوب إشارة واضحة
وصريحة في اعتباره مسلماً من مسالك التوكيد فـ (الجمل المعترضة بين
أنواع الكلام تفيد فيها التأكيد وتحقيق معانيها"⁽⁶⁾.

(1) الوساطة، ص189.

(2) انظر: المصدر السابق، ص202، 237، 252، 311.

(3) رديئة: أي من رماح ردينية، وهي امرأة تبيع الرماح، والصدقة: الصلبة، انظر: شرح ديوان الحماسة،
ج1، ص463.

(4) شرح ديوان الحماسة، ج1، ص463.

(5) انظر: الموازنة، ج1، ص177، 179.

(6) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ج3، ص1054.

ومن هنا جاءت شروحهم تفيض بقدر كبير من بيان الاعتراض وعمق دلالاته على بلاغة المعنى وقوته وأثره في رسوخ الفكرة ووضوحها.

ففي قول عمرو بن معد يكرب:

ليس الجَمال بمئزر فلعلم وإن رُدِّيتَ بؤداً

قال المرزوقي: "فاعلم) اعتراض تأكد به الكلام" (1)، وقد استشهد المرزوقي في هذا الموطن بآيات عدّها البلاغيون من صور الاعتراض.

وأشار إلى ذلك أيضاً في قول إبراهيم بن كنيف النبهاني:

فإن تكن الأيام فينا تبدلت ببوسى ونجوى والحوادث بفعل

فما ليّنت من قرأة صليبةً ولا ذلّلت للذي ليس يحمّل

قال المرزوقي: "قوله (والحوادث تفعل) يسمى اعتراضاً، ومثل هذا من

الاعتراض يزيد القصة تأكيداً وهو هاهنا حائل بين الجزاء وجوابه، لأن جواب إن تكن قوله: (فما ليّنت من قرأة صليبةً)، وحسن الكلام به جداً إذا كان تأكيداً لما يقتضيه من تحول الأحوال، وتحقيقاً لما شكاه من ريب الزمان، وبعثنا على التسلي وأخذ النفس بالتأسي فيقول: إن كانت الأيام دارت فينا بالنعماء مرة وبالأساء أخرى - وهذا عادة الدهر وحوادثه - فما غيرت منا شيئاً" (2).

وهذا نص حافل بالعطاء الأدبي وهو "كلام رجل بليغ متذوق يعرف كيف يتعامل مع النصوص وبفقه دلالات النظم ومعطيات التراكيب في ثقة وبصيرة" (3).

وكذلك ما أشار إليه في قول بعض بني فقعس:

فهلا أعدوني لمبئي نفلق دوا إذا الخصرم أبوى مائل الرأس أنئب

يقول المرزوقي: قوله " (تفاقدوا) دعاء، وقد اعترض بين أول الكلام وآخره ولكنه أكد ما يقتضيه فصلح لذلك" (4).

(1) المصدر السابق، ج 1، ص 174.

(2) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، ج 1، ص 259.

(3) البلاغة والنقد الأدبي في شروح الاختيارات الشعرية، ج 1، ص 311.

(4) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، ج 1، ص 214.

وهكذا أيضاً يشير التبريزي إلى بلاغة الاعتراض ودلالته على التوكيد في قول عبدة بن الطيب:

وببر والدكم وطاعة أمره إن الأبرّ من البنين الأطوع
إن الكبير إذا عصاه أهله ضاقت يداه بأمره ما يصنع
ودعوا الضعفة لا تكن من شأنكم إن الضعيفة للقرابة توضع

"فقول الشاعر: (إن الكبير إذا عصاه أهله) اعتراض وليس من الوصاة، لكنه تتأكد به القصة"⁽¹⁾.

وتتكرر الإشارة إلى غرض التوكيد القائم في أسلوب الاعتراض في كتب شراح الشعر كثيراً⁽²⁾.

وقد يكون التوكيد متحققاً في الإطناب بغير ما ذكر وهو ما يأتي في الكلام لزيادة التأكيد، ومن ذلك ما ذكره ابن جني في قول المتنبي:

أطعها بالقناة أضربها بالسيف ججاجها مسهدها

حيث قال في شرحه: (أطعها بالقناة، أضربها بالسيف) توكيد وهكذا قوله عز اسمه: (ولا طائر يطير بجناحيه)، وكما يقال: مشيت برجلي وكلمته بفعلي، ورأيتة بعيرني⁽³⁾.

وواضح توافق هذا الكلام مع ما يذكره البلاغيون⁽⁴⁾.

-
- (1) شرح اختيارات المفضل، ج2، ص690، وحاشيتها، 691.
(2) انظر: شرح ديوان الحماسة، ج1، ص489، 490، شرح المصنوع به على غير أهله، ص362، " شرح اختيارات المفضل، ج1، ص332.
(3) انظر: ديوان المتنبي شرح أبي الفتح ابن جني، ج2، ص291، وديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العلامة الواحد، ج1، ص62، شرح ديوان أبي الطيب المتنبي للعكبري، ج1، ص306.
(4) انظر في هذا: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين محمد بن محمد ابن الأثير تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية، ب، ط، 1420هـ-1999م)، ج2، ص121، الطراز، ج2، ص236، الإيضاح، ج3، ص221.

(8) تأكيد المدح بما يشبه الذم :

من الشواهد التي يستظهرها الباحث في دلالة هذا الأسلوب على التوكيد
كلام المرزوقي على قول النابغة الجعدي:

فتى كان فيه ما يسر صديقه على أن فيه ما يسوء الأعدايا

فتى كملت خيراته غير أنه جواد فما يبقى من المال باقيا

قال المرزوقي: "قوله (فتى كملت خيراته غير أنه جواد) هذا استثناء في نهاية الحسن؛ فهو كالتأكيد لأول الكلام؛ لأن كونه جواداً لا يكون عيباً فيخرجه من قوله: (كملت خيراته)، لكنه إذا كان عيبه المستثنى من الخيرات الجود الذي هو مؤثر عند الله تعالى وعند الناس فخصاله المحمودة الباقية ماذا توى تكون، فهو استثناء منقطع من الأول؛ كأنه قال: كملت خيراته لكنه جواد، وإذا تأملت وجدت البيت الثاني مثل البيت الأول، في أنه اتبع ثناء بثناء، وأردف مديحاً بمديح، فعجز كل واحد منهما يؤكد صدره، ويزيده مبالغة معنى، وتظاهر مبدأً أو منتهى"⁽¹⁾.

والمرزوقي في كلامه السابق يلتقي مع القزويني في كلامه على هذا
الشاهد⁽²⁾.

تلك هي أهم الإشارات حول التوكيد عند النقاد وشرح الشعر، والتي حاولت الدراسة أن تستجلي فيها بيانهم حول بعض المسالك، والتي تتفاوت وتختلف في الدلالة على التوكيد فمنها مسالك ظاهرة الدلالة، ومنها مسالك جاء اعتبار التوكيد فيها لا من حيث الأسلوب وإنما من حيث عطاءات هذا الأسلوب وما يحمل في طياته من دلالة يؤكد بها المعنى الذي يحمله سياق العبارة كاملة كأساليب الإطناب وغيرها من أساليب بلاغية تكون الدلالة فيها إشارية لزومية حين يدل معناها على التوكيد.

وهناك إشارات أخرى بعد هذا ويرك الباحث في النظر إليها أنها كانت انطباعية أو شعورية ولا تمثل المصطلح الدقيق للتوكيد وذلك مثل الإشارات

(1) شرح ديوان الحماسة، ج2، ص969، 970.

(2) انظر الإيضاح، ج6، ص76. ورواية البيت عنده: فتى كملت أخلاقه غير أنه...

المتعددة التي كانت تنص على أن المعنى في بيت ما تأكيد للبيت السابق،
فالأمدي حين تناول قول أبي تمام:

وداني الجدا تأتي عطاياهُ من علٍ ومنصبه وعَرُّ مَطَالِعُهُ جُرْدُ
فقد نَهَلَ المرتلُ منه بما جـ مواهبهُ غَوْرُ وسوْدَدُهُ نَجْدُ

ذكر أن قول الشاعر داني الجدا تأتي عطاياهُ من عل مكرر ومؤكّد
بقوله مواهبه غور وسوّدده نجد⁽¹⁾، والشاعر يريد أن عطاياهُ دانية من
المتناول وأنها تأتي من عل لعلو قدره، أو أراد أنها تأتي كما يأتي السيل من
ارتفاع إلى هبوط، فيكون أغرز لها، وأسرع، وجداه دان قريب ممن يريده،
ومنصبه بعيد المرام ممن يريد التعلق به أو المساواة له، فمطالع ه جرد: جمع
أجرد، أي ملس لا يتعلق به شيء.

والواحدي حين ذكر قول المتنبي:

فما الحداثةُ من حِلْمٍ بمانعةٍ قد يَجِدُ الحِلْمُ في الشبْلانِ والشَّربِ
تَوَاعَرَ الملكُ الأستاذُ مُكْتَمَةً لَّا قِيلَ اكْتِهَالِ أديباً قِيلَ تَأديبِ

بين أن: "البيت الثاني تأكيد للذي قبله"⁽²⁾.

وهكذا يتوّدّد هذه العبارة في أكثر من موضع حتى وإن كان البيت
معطوفاً على سابقه⁽³⁾.

كما أنها تتحول إلى توكيد الغرض أحياناً بوجه عام وهذا مما ليس
للبحث به صلة.

ومما يتصل بهذا ما ورد أيضاً من إشارات النقاد وشراح الشعر حول
صور البيان وأن الشاعر حين يستجلب التشبيه في شعره إنما يزيد المعنى
توكيداً ومن ذلك ما ذكروه الأمدي حول قول البحتري:

نَآوَيْتُ من لَيْلَى بَلَيْلَى فما شَفَى بماء الزُبَى من بات بالماء يَهْوَقُ

(1) انظر: الموازنة، ج3، ص235، 236.

(2) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العلامة الواحدي، ج2، ص904.

(3) انظر على سبيل المثال: ديوان المتنبي شرح أبي الفتح ابن جني، ج1، ص70، ديوان أبي الطيب

المتنبي بشرح العلامة الواحدي، ج1، ص124، 98، 72، ج2، ص61، ص915، ص946، شرح ديوان
الحماسة، ج2، ص1182.

قال الأمدي: "إنما أراد أن يؤكد بقاء حبه أي لا يكون برئي من حبها أن أتداوى منها بها كما لا يدفع الماء شروق من شروق بالماء"⁽¹⁾.

ويشير إلى ذلك في قول أبي تمام:

طَلَّ وَقَفْتُ عَلَيْهِ أَسْأَلُهُ إِلَى أَنْ كَادَ يَصْبِحُ رِبْعِي لِي مَسْجِدًا

فقوله: "إلى أن كاد يصبح ربعه لي مسجداً" كأنه أراد أن يؤكد طول وقوفه في الربع كما يقف المصلى في المسجد، وربما طال الوقوف"⁽²⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿مِثْلُ نَوْءِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّي...﴾⁽³⁾.

فقد أراد جل اسمه أن يؤكد شدة النور وعظمته، لأنه إذا كان في شيء يضمه كان أغلب وأشد بضيائه منه إذا كان ضاحياً منتشراً، وهذا معلوم، ومعرفته قائمة في النفوس"⁽⁴⁾. إلى غير ذلك من إشارات متفرقة حول التشبيه⁽⁵⁾.

ونرى الأمدي يشير أيضاً إلى الاستعارة وإن لم يصرح باسمها وما نضيف على المعنى من توكيد ففي قول أوس بن حجر:

تَوَى الْأَرْضَ مِنْ بِالْفِضَاءِ مَرِيضَةً مُعْزَلَةً مَنَا بِجَيْشٍ عَرْمَرَمٍ

يقول الأمدي "فقوله: (معزلة) من قولهم: عضلت المرأة عند الولادة، إذا نشب ولدها في بطنها، وعسر خروجه، يؤكد بذلك كثرة الجيش، وأن الأرض الفضاء قد ضاقت به"⁽⁶⁾.

وهذه الإشارات وغيرها تؤكد أن المعنى يكتسب قوة حين يأخذ مسلكه الصحيح، وهذا هو مناط دراسة هؤلاء العلماء حتى وإن أخذت هذه الإشارات امتداداً بعيداً عن أسلوب التوكيد فإن الغاية التي يدركها الباحث أن جهود

(1) انظر: الموازنة، ج2، ص161.

(2) المصدر السابق، ص518.

(3) سورة النور الآية: 35.

(4) انظر: الموازنة، ج3، ص83.

(5) انظر في هذا: المصدر السابق، ج3، ص66، ص414، شرح ديوان الحماسة، ج1، ص299.

(6) الموازنة، ج3، ص276.

هؤلاء العلماء في العناية بمسالك بناء المعنى كانت حاضرة معهم في التنظير والتطبيق.

ويمكن هنا أن ندرك أيضاً في نهاية هذا المبحث أن دواعي التوكيد عند هؤلاء العلماء من خلال ما تقدم تدور حول تحقيق المراد وتثبيت الأمر وبيان قوة الإقناع، والدلالة على صدق المتكلم فيما يرمي إليه ويتحدث عنه للتأثير في نفس المتلقي.



المبحث الثالث

في آثر البلاغيين

تناول البلاغيون أسلوب التوكيد في ضوء نظرة أعمق وأكثر دقة ونزعة إلى التحليل والتعليل، مستمدين ذلك من خلال ترديدهم النظر في الشواهد القرآنية، والنصوص الشعرية والنثرية، والتي كانت سبيلهم إلى الفهم والاستنباط المعتمد على ذوق أدبي، وفقه بأسرار اللغة.

ويجد الباحث في تتبع هذا الأسلوب عند البلاغيين، أنهم تلمسوا المعاني التي تدور حول هذا الأسلوب، وفاعليته في النفس، ومن هنا اتسع مفهوم التوكيد في بيانهم، وتعددت طرق وأساليبه: (فكل أسلوب نلحظ فيه تقوية للمعنى، وتثبيتاً للغرض، هو في الحقيقة يستقي من ورد التوكيد، ويغرف من منبعه)⁽¹⁾.

وعلى هذا فقد احتفى البلاغيون بالتوكيد، وأشاروا إلى أهميته وأثره، فهذا أبو هلال العسكري وهو يوضح ما يحتاجه الكاتب في مكاتباته يشير إلى ذلك بقوله: (واعلم أن المعاني التي تنشأ الكتب فيها من الأمر والنهي، سبيلها أن تؤكد غاية التوكيد بجهة كيفية نظم الكلام، لا بجهة كثرة اللفظ، لأن حكم ما ينفذ عن السلطان في كتبه شبيه بحكم توقيعاته، من اختصار اللفظ وتأکید المعنى)⁽²⁾. ثم يبين بعد ذلك أن المقام إذا اقتضى غير ذلك كان المستحسن فيه الإطالة، وبسط الكلام، ولا يقتصر على ذلك حتى يؤكد ويكرر لتأكيد الحجة على الأمور به، موضحاً أن الغرض من ذلك: (ليرتاح قلب المطيع، وينبسط أمله، ويرتاع قلب المسيء، ويأخذ نفسه بالارتداع)⁽³⁾.

وفي كلام العسكري دليل على أن الأوامر والنواهي تحتاج إلى التوكيد، وأن الإيجاز والإطناب يتفاوتان في الدلالة على التوكيد كل حسب مقامه وموضعه، فالمقام الذي يستدعي حضور ذهن السامع ويتطلب استيعابه للأمور العظيمة يجب أن ينال الكلام فيها حظه من التوكيد والتقريب والإقناع.

(1) بلاغة التوكيد في القرآن الكريم : د. عبد الفتاح محمد سلامة، (مجلة القافلة، شوال، 1413هـ -

مارس/ إبريل 1993م)، ص 22.

(2) الصناعتين، ص 162.

(3) المصدر السابق.

ويحدد ابن الأثير أن التوكيد "لا يؤتي به في اللغة العربية إلا لمعنيين : أحدهما: أنه يرد أبداً فيما استقري بألفاظ محصورة نحو نفسه وعينه وكل، وما أضيف إليها مما استقري، وهو مذكور في كتب النحاة، وقد كفيت مؤنثها. الآخر: أنه يرد على وجه التكرير، نحو: "قام زيد قام زيد" كرر اللفظ في ذلك تحقيقاً للمعنى المقصود: أي توكيداً"⁽¹⁾.

وعبارة ابن الأثير أنه يرد على وجه التكرير تفتح الباب لإدراك أساليب التوكيد، فملح التوكيد ناشئ في الكثير منها عن التكرار كذكر الخاص بعد العام وغيره مما سيأتي بيانه.

ويشير العلوي إلى مفهوم التوكيد وفائدته فيقول : (اعلم أن التأكيد تمكين الشيء وتقوية أمره، وفائدته إزالة الشكوك، وإماطة الشبهات عما أنت بصدده)⁽²⁾.

والبلاغيون قرروا في أسلوب التوكيد: أن الخبر يؤكد بحسب حال المخاطب "فإن كان المخاطب خالي الذهن من الحكم والتردد فيه استغنى عن مؤكدات الحكم، وإن كان المخاطب متردداً فيه: أي في الحكم طالباً له حسن تقويته بمؤكد، وإن كان المخاطب منكرراً للحكم حاكماً بخلافه وجب توكيده : أي الحكم بحسب الإنكار قوة وضعفاً...

ويسمى الأول: ابتدائياً، والثاني طلبياً، والثالث: إنكارياً"⁽³⁾.

وكتب البلاغة تذكر في هذا السياق القصة المروية عن ابن الأنباري عن الكندي المتفلسف مع أبي العباس المبرد حين قال الكندي: إني لأجد في كلام العرب حشواً! فقال له أبو العباس: في أي موضع وجدت ذلك؟ فقال: أجد العرب يقولون: "عبد الله قائم"، ثم يقولون: "إن عبد الله قائم"، ثم يقولون: "إن عبد الله لقائم"، فالألفاظ متكررة والمعنى واحد، فقال أبو العباس: بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ، فقولهم: "عبد الله قائم"، إخبار عن قيامه،

(1) المثل السائر، ج1، ص353.

(2) الطراز، ج2، ص176.

(3) الإيضاح، ج1، ص71.

وقولهم: "إن عبد الله قائم"، جواب عن سؤال سائل، وقولهم: "إن عبد الله لقائم" جواب عن إنكار منكر قيامه، فقد تكررت الألفاظ لتكرار المعاني. قال فما أحرار المتفلسف جواباً⁽¹⁾.

وعلى هذا فوظيفة الخبر لا تتحقق إلا من خلال إدراك التعامل مع هذا الأسلوب، فحين تكون وظيفة الخبر هي: "تثبيت المعنى في تلك النفس الراضة له، فلا مفر من أن تكون قوة العبارة ووثاقيتها ملائمة لحال النفس قادرة على الإقناع"⁽²⁾.

وأكثر الشواهد حضوراً عند البلاغيين قوله تعالى: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾⁽³⁾.

حيث قال في المرة الأولى: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾ لما أنكروا وكذبوا، وفي الثانية: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ تأكيداً بحرفين لما ازداد إنكارهم وتكذيبهم⁽⁴⁾.

وهكذا أوضح البلاغيون الفروق الدقيقة في طريقة إلقاء الخبر للمخاطب ولهذا قال الإمام تعليقاً على قصة الكندي مع أبي العباس: "واعلم أن هاهنا دقائق لو أن الكندي استقرى وتصرف وتبع مواقع (إن) ثم ألطف النظر، وأكثر التدبر لعلم علم ضرورة أن ليس سواء دخولها، وأن لا تدخل"⁽⁵⁾.

فصياغة الجملة الخبرية، وتحديد تركيبها يتوافق مع حال المخاطب، تبعاً لتصور المتكلم فيخرج الكلام وفق القاعدة البلاغية: (لكل مقام مقال)، أي مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

(1) دلائل الإعجاز، عبد القاهر بن عبدالرحمن الجرجاني، ت: محمود شاكر، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط الثالثة، 1410هـ-1989م)، ص315، وانظر: الإيضاح، ج1، ص69-71.

(2) خصائص التراكيب، د. محمد محمد أبو موسى، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط الخامسة، 1421هـ-2000م)، ص80.

(3) سورة يس الآية: 13-16.

(4) انظر: الطراز، ج3، ص253، والإيضاح، ج1، ص70.

(5) دلائل الإعجاز، ص315.

وهذه الاعتبارات التي أشار إليها البلاغيون في أضرب الخبر تمثل نظرة عميقة لمسوغات الاستعمال، وأن بناء الكلام فيها على هذه الوجوه من المؤكدات، إنما تؤكد أن المتكلم ليس غايته التكرار والتتويج في الأشكال، وإنما هي دلالة على كيفية إلقاء الكلام، وتوظيف هذه المؤكدات تو ظيفاً دقيقاً يمنح الكلام قوة وبيانا، ويزيده حجة ووضوحاً معبرة أجمل تعبير عن فطنة المتكلم وذكائه، ومدى إدراكه لأحوال المخاطب.

وتعكس بصورة واضحة ذلك التلاحم العضوي بين اللغة والحالة النفسية يهتله جوهر الشكل البلاغي، أو الأسلوب اللغوي للتعبير ... فيتلون بتلون الصور الدلالية التي يعبر عنها، ويتماوج بتماوج النفس وأحوالها المتنوعة وعلى هذا فالتجربة البلاغية تجربة لغوية جمالية- بهذا التصور - وهي تجسد طاقات نفسية وفكرية واجتماعية ... كثيرة، ويبرز في الوقت نفسه قدرة المتكلم على الإقناع والإبداع⁽¹⁾.

ويلحظ البلاغيون أيضاً في هذا الباب أن الكلام قد يجري على خلاف الأصل من موافقة ظاهر حال المخاطب إلى الخروج على خلاف مقتضى الظاهر (أي أن المتكلم لا يعتد بهذا الواقع في صياغته، وإنما يجري على أمور اعتيادية تنزيلية، يلحظها هو ويعتبرها مقامات يصوغ عبارته على مقتضاها)⁽²⁾.

فمن ذلك تنزيل غير المنكر منزلة المنكر أو العكس، وتنزيل غير المتردد في الحكم منزلة المتردد فيه، وتنزيل العالم بالحكم منزلة الجاهل به إذا بدت عليه أمارات التفريط فيما يعلم⁽³⁾.

(1) انظر: جمالية الخبر والإنشاء دراسة بلاغية جمالية نقدية، د . حسين جمعة (دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ب.ط، 2005م) ص82، 84.

(2) خصائص التراكيب، ص84.

(3) انظر في هذا على سبيل المثال: مفتاح العلوم، السكاكي: أبو يعقوب يوسف بن محمد، ت: د. عبدالحميد هنداوي، (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، 1420هـ، 2000م)، ص259-263، والإيضاح، ج1، ص72-76.

وهي مسائل تكرر عرضها في دراسات وبحوث، وكتب سابقة ومعلومة تغني عن إعادتها هنا، ويمكن فقط أن تشير الدراسة إلى ما قاله علماء البلاغة عن هذه الطريقة، وأنها شعبة من البلاغة، فيها دقة وغموض وأن الكلام على هذه السبيل إذا: " وقع موقعه استهش الأنفس، وأنق الأسماع، وهز القرا نَح، ونشط الأذهان....، وهو فن لا تلين عريكته ولا يتقاد قرونه بمجرد استقراء صور منه، بل لأبد من ممارسات لها كثيرة، ومراجعات فيها طويلة، مع فضل إلهي من سلامة فطرة، واستقامة طبيعة، وشدة ذكاء، وصفاء قريح ة، وعقل وافر" (1).

ويتصل بالكلام في توكيد الخبر ما ذكره الإمام عبد القاهر أن هناك دواعياً للخبر تأتي في صورة مؤكدة لا لما سبق من النظر إلى حال المخاطب لكن لاعتبارات بلاغية تستشف من سياق الكلام، وقرائن الأحوال، (فقد يكون التوكيد للإشارة إلى أن الذي كان لم يكن على وفق ظن المتكلم فكأن نفس المتكلم تتكره فيؤكده لها) (2).

قال عبد القاهر (3): " واعلم أنها أي (إنّ) قد تدخل للدلالة على أن الظن قد كان منك أيها المتكلم في الذي كان أنه لا يكون. وذلك قولك للشيء هو بمرأى من المخاطب مُسمع: (إنه كان من الأمر ما ترى، وكان مني إحسان ومعروف، ثم إنه جعل جزائي ما رأيت، فتجعلك كأنك ترد على نفسك ظنك الذي ظننت، وتبين الخطأ الذي توهمت، وعلى ذلك - والله أعلم -، قوله تعالى حكاية عن أم مريم -رضي الله عنها-: ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾ (4).

وكذلك قوله عز وجل حكاية عن نوح -عليه السلام-: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذِبُونَ ﴾ (5).

(1) مفتاح العلوم، ص263، والإيضاح، ج1، ص73.

(2) خصائص التراكيب، ص97.

(3) دلائل الإعجاز، ص327.

(4) سورة آل عمران: الآية 36.

(5) سورة الشعراء: الآية 117.

وإذا تقرر ما سبق وهو أن الخبر يلقي مؤكداً وغير مؤكد؛ فإن هذا يتطلب بيان ودراسة أدوات التوكيد ومسالكه، وحسب الدراسة هنا أن تشير إلى ما نص عليه العلماء في هذا المجال، وعليه فستكون الإشارات عابرة إلى بعض هذه الأدوات والعناصر لنتمكن من إلقاء الضوء عليها بصورة أوسع وأوضح في الدراسة التطبيقية على آيات حقوق المرأة بإذن الله.

وقد لمست من خلال البحث تعدد الإشارات وتنوعها في الدلالة على مسالك التوكيد التي تفيد الكلام تقويةً وتثبيتاً، فالتوكيد يشتمل على أساليب كثيرة لا يمكن استقصاؤها أو حصرها: "فإن كثيراً من طرق بناء الكلام تعطيه تقوية ووكادة، فالذكر قد يفيد توكيداً، والحذف قد يفيد توكيداً، والوصل والفصل، والتكرار، والاعتراض والالتفات، وصور التشبيه، والاستعارة وأنواع المجاز، والكناية، كل هذه وغيرها تفيد أنواعاً من التوكيد والمبالغة في تثبيت المعنى أو نفيه"⁽¹⁾.

وتجنباً للإعادة والتكرار، سوف اقتصر على ما وردت الإشارة إليه في كتب البلاغيين من طرق التوكيد، لأن الغرض هو ذكر آثارهم في هذا الباب مع بيان براعتهم في تحليل الشواهد واستنباط ما فيها من دقائق ولطائف، ولأن من هذه المسالك والطرق ما تناوله المفسرون وهي أكثر صلة بالبحث النحوي، وحسب الدراسة أن تشير إلى أهم هذه المسالك على النحو التالي:

أولاً: التوكيد بالأداة:

1- التوكيد: بـ(إن، أن):

تختص هاتان الأداتان بالجملة الاسمية، يقول التتوخي: "ومعنى (إن) التحقيق وتوكيد الخبر المفهوم من اسمها وخبرها، ومعنى (أن) كمعناها من التحقيق والتأكيد، والفرق بينهما أن (أن) واسمها وخبرها في تأويل مصدر، وليست (إن) كذلك"⁽²⁾.

(1) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، وأثرها في الدراسات البلاغية، ص 417.

(2) "الأقصى القريب في علم البيان"، محمد بن محمد بن عمر التتوخي، (السعادة، ط الأولى، ب.ت) ص 7.

ولم تعد (أن) عند بعضهم من المؤكدات لأن ما بعدها في حكم المفرد،
والتأكيد المقصود هو تأكيد النسبة لا المسند ولا المسند إليه⁽¹⁾.

أما (إنّ) مكسورة الهمزة ومشددة النون: فهي أمّ الباب، وقد نص الإمام
عبد القاهر أنها للتأكيد بقوله: "ثم إن الأصل الذي ينبغي أن يكون عليه البناء
الذي دون في الكتب من أنها للتأكيد"⁽²⁾، وذكر أنها تزدد حسناً إذا كان الخبر
بأمر يبعد مثله في الظن، ولشيء قد جرت عادة الناس بخلافه، كقول أبي
نواس.

عليك باليأس من الناس إن غنى نفسك في اليأس

فقد ترى حسن موقعها، وكيف قبول النفس لها، وليس ذلك إلا لأن
الغالب على الناس أنهم لا يحملون أنفسهم على اليأس، ولا يدعون الرجاء
والطمع ولا يعترف كل أحد، ولا يسلم أن الغنى في اليأس، فلما كان كذلك
كان الموضع موضع فقر إلى التأكيد فلذلك كان من حسنها ما ترى⁽³⁾.

وذكر عبد القاهر أيضاً أن الجمع بينها وبين (اللام) نحو "إن عبد الله
لقائم" يزيد الكلام تقوية وتوكيداً وذلك أنك أحوج ما تكون إلى الزيادة في
تثبيت خبرك، إذا كان هناك من يدفعه وينكر صحته.

وإلى مثل هذا أشار ابن الأثير في المثل السائر⁽⁴⁾.

وكثيراً ما يشير البلاغيون إلى إفادة إن للتأكيد في ثنايا أبواب البلاغة
يقول العلوي في تعليقه على قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ...﴾⁽⁵⁾.

(1) "أساليب بلاغية"، د. أحمد مطلوب، (الكويت: وكالة المطبوعات، ط الأولى، 1979م. 1980م)، ص 94،

وانظر: "فن البلاغة" د. عبد القادر حسين، (بيروت: عالم الكتب، ط الثانية، 1405هـ - 1984م)، ص 225.

(2) دلائل الإعجاز، ص 325.

(3) انظر: المصدر السابق، ص 327.

(4) انظر: ج 2، ص 51. وهذه هي الصورة الثالثة من صور أضرب الخبر التي سماها البلاغيون فيما

بعد بالإنكاري.

(5) سورة الأعراف الآية، 54.

"صدر الجملة الابتدائية، بإن المؤكدة، لتدل على إيضاح الجملة وتحقيقها في مبتدأ الأمر ومطلعه"⁽¹⁾.

كما ذكر أن التأكيد بـ(إنّ) المشددة أكد من التأكيد بـ (إن) المخففة وأنها إنما ترد على جهة التأكيد للجملة الابتدائية⁽²⁾.

وقد ورد التأكيد بـ(إنّ) كثيراً في كتاب الله تعالى، وفي كلام رسوله صلى الله عليه وسلم، وفي كلام العرب على وجه العموم؛ لما تتميز به هذه الأداة من خصائص تحدث عنها الإمام عبد القاهر وغيره من البلاغيين⁽³⁾.
كما تناولت الدراسات الحديثة أسرار التعبير بهذا الحرف ودواعي التأكيد به⁽⁴⁾.

2- التوكيد باللام:

من مؤكدات الجملة الاسمية التي أشار إليها البلاغيون لام الابتداء:
فقد ذكر ابن الأثير أن "مما يجري هذا المجرى في التوكيد لام الابتداء المحققة لما يأتي بعدها، كقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا...﴾⁽⁵⁾ فاللام في (ليوسف) لام الابتداء، وفائدتها تحقيق مضمون الجملة الواردة بعدها: أي إن زيادة حبه إياهما أمر ثابت لا مرأى فيه"⁽⁶⁾.
ويدخل في هذا اللام المرحلقة وهي أصلاً لام الابتداء لأنها دخلت على نحو (إنّ) فهي تجري مجرى التوكيد ولا تأتي: "إلا لضرب من المبالغة وفائدته أنه إذا عبر عن أمر يعز وجوده أو فعل يكثر وقوعه جيء باللام تحقيقاً لذلك"⁽⁷⁾.

(1) الطراز، ج1، ص139.

(2) انظر المصدر السابق، ج2، ص165، 202.

(3) انظر: دلائل الإعجاز، ص317-321، والطراز، ج2، ص220.

(4) انظر: من أسرار التعبير بالحروف المشبهة بالفعل في القرآن الكريم، ص53-61.

(5) سورة يوسف: الآية 8.

(6) المثل السائر، ج2، ص53.

(7) المصدر السابق، ج2، ص52.

ومن شواهد ما قوله تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ (1).

وقوله تعالى في سورة يوسف: ﴿ قَالُوا يَا بَنِي آدَمَ إِنَّا نَأْمُرُكَ أَنْ تَلْبَسَ عَلَى يَاسِينَ وَتَقُولَ لِلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ سَلَامًا وَتَقُولَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ سَلَامًا وَتَقُولَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ سَلَامًا وَتَقُولَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ سَلَامًا ﴾ (2).

فمجيء هذه اللام في قول المنافقين وفي قول إخوة يوسف لزيادة التوكيد في تصديق ما أظهره لأنهم كانوا يخفون خلفه، وأما في قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ فهي لتصديق رسالته، ولتكذيب المنافقين فيما كانوا يظهرون خلافه (3).

3- التوكيد بنوني التوكيد:

يقول ابن الأثير: "وكذلك فاعلم أن النون الثقيلة - متصلة بهذا الباب، فإذا استعملت في موضع فإنما يقصد بها التأكيد" (4).

ثم أورد أبيات البحري في الفتح بن خاقان مستشهداً بالبيت الأول منها:

هل يجلبن إليّ عطفك موقف ثبت لديك أقول فيه وتسمع

فقوله: "هل يجلبن إليّ عطفك موقف" النون جاءت قصداً للتأكيد، وهو في هذا المقام متمن، فأحب أن يؤكد الأمنية، وكل ما يجيء من هذا الباب فإنه واقع هذا الموقع، وإذا استعمل عبثاً لغير فائدة تقتضيه فإنه لا يكون استعماله إلا من جاهل بالأسرار المعنوية، وأما ما يمثل به النحاة من قول القائل: والله لأقومنّ، وأكده، كان ذلك لغواً، لأنه ليس في قيامه من الأمر العزيز ولا من الأمر العسير ما يحتاج معه إلى التأكيد، بل لو قال: والله لأقومن إليك، مهدداً له، لكان ذلك واقعاً في موقعه فافهم هذا وقس عليه" (5).

(1) سورة المنافقون: الآية 1.

(2) سورة يوسف: الآية 10-11.

(3) انظر المثل السائر، ج2، ص52.

(4) المصدر السابق، ج2، ص54.

(5) السابق، ص55.

وهذا تغلغل في أسرار التوكيد ودواعيه ، وتعويل على مقتضى الحال والمقام، دون مراعاة للقاعدة النحوية التي ترى: "أن النون واجبة في كل مضارع إذا كان مثبتاً، مستقبلاً، واقعاً في جواب القسم، متصلاً باللام"⁽¹⁾.
ونون التوكيد بشقيها مما يختص بالجملة الفعلية، "ونون التوكيد الثقيلة بمنزلة ذكر الفعل ثلاث مرات، ونون التوكيد الخفيفة بمنزلة ذكر الفعل مرتين"⁽²⁾.

4- التوكيد بالأحرف الزائدة:

من أوائل من أشار إلى زيادة الحرف وبين فائدته: أبو عبيدة في مجاز القرآن في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾⁽³⁾. قال: ثواباً وجزاءً، و "اللام" المفتوحة تزداد توكيداً"⁽⁴⁾.

والقول بالزيادة عند أبي عبيدة لم يرد كثيراً ومذهبه في هذا (مضطرب من جوانب عدة، وأبرز ما فيه جعله الزيادة إما رديفاً لإلقاء الكلام وطرحه، وأن الحرف لا ينفع ولا يضر، وإما لمعنى هو التوكيد نفيًا أو إثباتاً، وإما للوجهين معاً في كلام واحد وهو متدافع، وحكمه في أول الكلام بزيادة الحرف ثم عودته عنه في آخره نفي الزيادة"⁽⁵⁾.

وأشار ابن رشيق إلى زيادة (لا) في سياق الكلام ناقلاً كلام ابن قتيبة⁽⁶⁾. في المسألة دون بيان رأيه فيها⁽⁷⁾.

-
- (1) الكتاب، ج2، ص149، وانظر ج1، ص456، من نفس المصدر.
(2) فن البلاغة، ص230.
(3) الأعراف الآية: 130.
(4) مجاز القرآن، أبو عبيدة: معمر بن المثنى، علق عليه: د.محمد فؤاد سزكين، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ب. ط، 1374هـ-1954م)، ج1، ص225.
(5) زيادة الحروف بين التأييد والمنع، ص40.
(6) يقوم مذهب ابن قتيبة على القول بالزيادة غالباً دون الإشارة إلى فائدة التوكيد، وأحياناً تراها يشير إلى الأصالة معتمداً على قراءة أخرى، أو وجه من وجوه النظر كالتضمنين مثلاً، انظر: (زيادة الحروف)، ص263.
(7) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بدون بيانات)، ج2، ص278.

وأما الإمام عبد القاهر فقد بنى كلامه في هذا الموضوع على "أن الزيادة متى أفادت سميت مجازاً لأنها تعني انتقال الحرف من دلالة أو إيحائه الأصلي إلى دلالة أو إيحاء ليس بأصل، كما أنه لا يرتضي الزيادة غير المفيدة ولا يعدها مجازاً"⁽¹⁾.

ففي قوله تعالى ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾⁽²⁾.

قال: "إن كون (ما) تأكيداً نقل لها عن أصلها ومجاز فيها وكذلك أقول : إن كون الباء المزيدة في (ليس زيد بخارج) لتأكيد النفي مجاز في الكلمة، لأن أصلها أن تكون للإصاق، فإن ذلك على بعده لا يقدر فيما أردت تصحيحه، لأنه لا يتصور أن تصف الكلمة من حيث جعلت زائدة بأنها مجاز، ومتى ادعينا لها شيئاً من المعنى، فإننا نجعلها من تلك الجهة غير مزيدة"⁽³⁾.

وأما ابن الأثير⁽⁴⁾ فمذهبه قائم في المسألة على إنكار مصطلح الزيادة ما دام الحرف يدل على معنى مهماً كالتوكيد مثلاً، ولهذا رد على النحاة رداً قوياً وشديداً في اعتبارهم الحرف زائداً وأن المعنى معه وبدونه سواء، بانيا كلامه على حوار جرى بينه وبين رجل من النحويين حول زيادة (أن) في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾⁽⁵⁾. وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَنَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾⁽⁶⁾. موضحاً أنها جاءت دالة على معنى هو أن الفعل بعدها كان على وجه التراخي والإبطاء، وأن القول بزيادتها قدح في كلام الله تعالى ونفي للإعجاز الذي جاء به لأن من شروط الإعجاز عدم التطويل فيما لا حاجة إليه.

ولم يقتصر حديث ابن الأثير عن زيادة الحروف في الآيتين السابقتين اللتين تناولهما خلال ضربه أمثلة للفرع الثاني من التكرير المفيد كما ذكر

(1) زيادة الحروف بين التأنيج والمنع، ص 271.

(2) سورة آل عمران الآية: 159.

(3) أسرار البلاغة: عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، ت: محمود شاكر (القاهرة: مطبعة المدني، ط الأولى، 1412هـ-1991م)، ص 419.

(4) انظر المثل السائر، ج 2، ص 152، 153.

(5) سورة القصص الآية: 19.

(6) سورة يوسف الآية: 96.

ذلك أحد الباحثين⁽¹⁾. وإنما أشار إلى هذه الزيادة⁽²⁾ أيضاً في حديثه عن الاستعارة والمجاز معترضاً على الغزالي في عده الزيادة في الكلام لغير فائدة من أقسام المجاز كقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾⁽³⁾. فما هنا زائدة لا معنى لها: أي فبرحمة من الله لنت لهم، فابن الأثير لا يرى هذا الكلام صواباً لأن المجاز هو دلالة اللفظ على غير ما وضع له في أصل اللغة، وهذا غير موجود في الآية؛ وإنما هي دالة على الوضع اللغوي المنطوق به في أصل اللغة، ولو سلمت أن ذلك من المجاز لأنكرت أن لفظة "ما" زائدة لا معنى لها، ولكنها وردت تفخيماً لأمر النعمة التي لان لها رسول الله صلى الله عليه وسلم له، وهي محض الفصاحة، ولو عَرِيَ الكلام منها لما كانت له تلك الفخامة.

إلى أن قال: ومن ذهب إلى أن في القرآن لفظاً زائداً لا معنى له فإما أن يكون جاهلاً بهذا القول، وإما أن يكون متمسحاً في دينه واعتقاده.

وفي كلام ابن الأثير عن الآيتين السابقتين وعن الآية الأخيرة موضع نظر ولو تجاوز الباحث أن كلامه عن النحاة جاء مبنياً على حوار مع رجل منهم وما يتبع ذلك من تساؤلات عن هذا الرجل ونص كلامه وكيف لم يظهر حجته في هذا الباب، لو تجاوز ذلك إلى شدة التشنيع على النحاة ومن والاهم من القائلين بزيادة الحروف لوجد أن هذه الشدة بلغت مبلغاً لا يتناسب مع ما ذهبوا إليه وهم أهل دين وغيره على كتاب الله، وأن حجته في هذا واضحة لكل متأمل لأنها "إنما سميت زائدة، لأنه لا يتغير بها أصل المعنى، بل لا يزيد بسببها إلا تأكيد المعنى الثابت وتقويته، فكأنها لم تفد شيئاً، لما لم تغاير فائدتها العارضة الفائدة الحاصلة قبلها"⁽⁴⁾، و"الإطباقهم على أن الزائد يؤكد معنى ما جاء به لتوكيده"⁽⁵⁾.

(1) انظر: زيادة الحروف بين التأييد والمنع، ص343، 346.

(2) انظر: المثل السائر، ج1، ص358.

(3) سورة آل عمران الآية:159.

(4) شرح الرضي على الكافية، ج4، ص433، 432، وانظر: الكتاب، ج1، ص358، ج2، ص305.

(5) مغني اللبيب، ج1، ص35.

وفي يقيني أن مثل هذا الكلام يحزر شيئاً من مساحة الخلاف بين الفريقين حول موضوع زيادة الحروف، وأن احتمال العذر لمن قالوا بالزيادة يجب أن يكون حاضراً عند كل من يمنع ذلك فهي حروف زائدة وليست مزيدة، ومعنى زائد أنه زاد في معنى العبارة فهو مصطلح ناظر فيه إلى عطاء العبارة وليس معناه أنه لم يأت بجديد وأنه يمكن الاستغناء عنه.

5- القسم:

يذكر البلاغيون من وسائل التوكيد "القسم" إذا اقتضى المقام ذلك، كقولك لمن يباليغ في إنكار صدقك: "والله إني لصادق على هذا"⁽¹⁾.

فالقسم "إنما يرد في موضع يؤكد به المعنى المراد، إما لأنه مما يشك فيه أو مما يعز وجوده أو ما جرى هذا المجرى"⁽²⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾⁽³⁾.

يقول العلوي: "فامتن الله وأكد امتنانه بما قرره من القسم"⁽⁴⁾.

6- أدوات أخرى:

من ذلك أداة التنبيه "ألا" فقد ذكر أبو عبيدة أنها قد تصدر الجملة الاسمية أو الفعلية فتفيد التنبيه والتوكيد، قال: "العرب تدخل (ألا) توكيداً وإيجاباً وتنبيهاً"⁽⁵⁾. قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَبَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾⁽⁶⁾.

وقال جل ثناؤه: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾⁽⁷⁾، وأشار إلى ملحظ التوكيد والتنبيه في هذه الأداة الإمام عبد ال قاهر في تعليقه على قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا خُنُّنَا مُصْلِحُونَ﴾⁽⁸⁾ أَلَا إِنَّهُمْ

(1) مفتاح العلوم، ص260، 259.

(2) المثل السائر، ج2، ص72.

(3) سورة الذاريات الآية: 23.

(4) الطراز، ج3، ص154.

(5) مجاز القرآن، ج1، ص266، 285.

(6) سورة الأعراف الآية: 131.

(7) سورة هود الآية: 8.

هُمُ الْمَفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١﴾. فقد أكد الأمر في تكذيبهم والرد عليهم بالجمع بين (ألا) الذي هو للترئية، وبين (إن) الذي هو للتأكيد فقال (ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون)⁽²⁾

ومن هذه الأدوات "لكن" فمع إفادتها الاستراك تفيد أيضاً التوكيد، وهي مع التضعيف أكد منها مع التخفيف⁽³⁾.

وكذلك "لن" فهي لتأكيد النفي في المستقبل⁽⁴⁾.

وتحدث الإمام عبد القاهر عن "كأن" وما تشتمل عليه من التشبيه المؤكد⁽⁵⁾؛ لأنها مركبة من كاف التشبيه وإن المؤكدة فهي بذلك من أهم أدوات أدوات التشبيه وأكدها عند جمهور النحويين والبلاغيين⁽⁶⁾ فمع إفادتها التشبيه التشبيه فهي تفيد التوكيد.

وواضح ما تقدم ذكره من أدوات، أن البلاغيين لم يهتجوا هذا الضرب من التوكيد فضل عنايتهم باستثناء الأداة "إن" لشيوعها في الكلام، ولاهتمامهم بالأساليب التي تمنح الكلام قوة وتأثيراً، وبيانا وجمالاً، ولأن أكثر الأدوات السابقة متعلقة بالدرس النحوي⁽⁷⁾ ومضانها في كتبهم موجودة ومن أجل هذا فقد اقتصرت دراستي على بيان الأهم منها، كما أن التأكيد فيها لا يتناول تأكيد الإسناد في الجملة وإنما يقتصر على تأكيد المسند أو المسند إليه.

(1) سورة البقرة الآية: 11، 12.

(2) انظر: دلائل الإعجاز، ص 358، وانظر: الطراز، ج 1، ص 151، المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، سعد الدين سعود بن عمر النفتازاني، تحقيق: د. عبد الحميد الهنداوي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط الأولى، 1422هـ-2001م)، ص 400.

(3) انظر: الطراز، ج 2، ص 165، الأقصى القريب، ص 73.

(4) انظر: الطراز، ج 2، ص 208.

(5) انظر: دلائل الإعجاز، ص 258، 425.

(6) من أسرار التعبير بالحروف المشبهة بالفعل، ص 69.

(7) ومن ذلك التوكيد اللفظي والمعنوي، انظر: الصناعتين، ص 200، دلائل الإعجاز، ص 279، والإيضاح، ج 1، ص 43.

ثانياً: التوكيد بغير الأداة :

1- توكيد الضمير بالضمير:

توسع ابن الأثير من بين البلاغيين في بيان هذا الأسلوب، موضحاً أنه يتجاوز في عرضه ما أورده النحاة في ذكر عدد الضمائر وأنواعها بإيراد ما هو خارج عن الأمر النحوي، وأن وراء ذلك فصاحة وبلاغة، وهو من أسرار علم البيان، ثم بين الغرض من توكيد الضمائر بعضها ببعض في قوله: "إذا كان المقصود معلوماً ثابتاً في النفوس فأنت بالخيار في توكيد أحد الضميرين بالآخر، وإذا كان غير معلوم، وهو مما يشك فيه، فالأولى حينئذ أن يؤكد أحد الضميرين بالآخر في الدلالة عليه، لتقرره وتثبتته"⁽¹⁾.

ثم ساق شواهد متعددة على مختلف الصور في توكيد الضمائر، وهي شواهد كثر مجيئها عند علماء النحو واللغة والتفسير، كقوله تعالى: ﴿قَالُوا يَمْوَسَىٰٓ اِمْآٓ اَنْ تُلْقَىٰ وَاِمْآٓ اَنْ نُّكُوْنَ نَحْنُ الْمُلْكِيْنَ﴾⁽²⁾، فعدول السحرة عن مقابلة خطابهم موسى بمتله إلى توكيد ما هو لهم بالضميرين اللذين هما نكون ونحن دليل على أنهم يريدون التقدم عليه، والإلقاء قبله⁽³⁾.

ومن ذلك توكيد المتصل بالمنفصل نحو قوله تعالى: ﴿فَاَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ۗ قُلْنَا لَا تَخَفْ اِنَّكَ اَنْتَ الْاَعْلَىٰ﴾⁽⁴⁾.

فتوكيد الضميرين هاهنا في قوله: ﴿اِنَّكَ اَنْتَ الْاَعْلَىٰ﴾ أنفى للخوف من قلب موسى، وأثبت في نفسه للغلبة والقهر⁽⁵⁾.

وهكذا يمضي ابن الأثير يعدد الصور، ويوضح الأسرار وراء ذلك وتبعه على هذا العلوي في الطراز⁽⁶⁾، مع اختلاف في تقديم هذه الصور

(1) المثل السائر، ج2، ص17.

(2) سورة الأعراف الآية: 115.

(3) انظر المثل السائر، ج2، ص17.

(4) سورة طه الآية: 67، 68.

(5) المثل السائر، ج2، ص18.

(6) انظر: ج2، ص145، وما بعدها

وتتازع بينهما في الأسرار البلاغية⁽¹⁾.

2- ضمير الشأن:

هو "ضمير تستهل به جملة خبرية، ويستعمل لاسترعاء الانتباه إلى شأن (مهم) سيرد في الجملة الخبرية التي تليه"⁽²⁾.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾⁽³⁾. فقد ذكر البلاغيون أن هذا الضمير في (إنه) يفيد التفضيم والتوكيد⁽⁴⁾، ووجه التأكيد به ذكر الإيضاح بعد الإبهام، أو بعبارة أخرى تتناسب مع عبارة الكوفيين هو تفصيل ما أجمله ضمير المجهول فيتمكن الخبر بعده من النفس، ويقع موقعه⁽⁵⁾، فهو يثير النفس، ويدفعها إلى معرفة المراد منه، فإذا جاء تفسيره استقر هذا التفسير في النفس، وتأكد فيها"⁽⁶⁾.

3- المصدر:

يستعمل المصدر في "الأمر التي يتوهم فيها المجاز، فيأتي المصدر لرفع هذا التوهم"⁽⁷⁾، كقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾⁽⁸⁾.

وقد أشار ابن الأثير إلى المصدر في حديثه عن حذف الفعل وإقامة المصدر مقامه فقال: "وإنما يفعل ذلك لضرب من المبالغة والتوكيد، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾⁽⁹⁾.

(1) انظر في هذا: "من مباحث البلاغة والنقد بين ابن الأثير والعلوي"، د. نزيه عبد الحميد فراج (القاهرة

: مكتبة وهبة، الأولى، 1417هـ-1997م)، ص74-81.

(2) أساليب التأكيد في اللغة العربية، ص89.

(3) سورة المؤمنون: الآية 117.

(4) انظر: دلائل الإعجاز، ص132، 133، والطراز، ج2، ص142، والإيضاح، ج2، ص81، 82.

(5) خصائص بناء الجملة القرآنية، ص109.

(6) من بلاغة القرآن، ص117، 118.

(7) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم، تحقيق: السيد أحمد صقر (القاهرة: مكتبة التراث،

ط الثانية، 1393هـ-1973م)، ص82.

(8) سورة النساء الآية: 164.

(9) سورة محمد الآية: 4.

قوله: ﴿فَضْرِبِ الرِّقَابَ﴾ أصله فاضربوا الرقاب ضرباً؛ فحذف الفعل وأقيم المصدر مقامه، وفي ذلك اختصار مع إعطاء معنى التوكيد المصدري⁽¹⁾.

4- دلالة الكلمة وصياغتها:

يلحظ بعض البلاغيين أن التوكيد قد يستفاد من الكلمة التي تضيف باختيارها دون سواها وبصيغتها إلى المعنى عنصراً يزيد به المعنى توكيداً.

يقول الخطابي في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾⁽²⁾.

"إن معنى أداء الزكاة وكونه فعلاً لهم مضافاً إليهم يعرفون به فهم له فاعلون هذا المعنى لا يستفاد على الكمال إلا بهذه العبارة، فهي إذاً أولى العبارات وأبلغها في هذا المعنى"⁽³⁾.

كما أن التعبير بصيغة معينة تعد من وسائل التوكيد، ذلك أن قوة المعنى ناتجة عن قوة اللفظ، لأن: (اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر أكثر منه فلا بد أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولاً، لأن الألفاظ أدلة على المعاني، وأمثلة للإبانة عنها، فإذا زيد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني"⁽⁴⁾.

ويستشهد ابن الأثير على هذا بقوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَا مِنْهُمُ آخِذًا مِّنْ عِزِّهِمْ مُّقْتَدِرٍ﴾⁽⁵⁾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ سُبْحٌ تَوَّابٌ وَرَحِيمٌ مُّطَهِّرٌ﴾⁽⁶⁾.

موضحاً أن مقتدر أبلغ من قادر لما فيه من تفخيم الأمر وشدة الأخذ الذي لا يصدر إلا عن قوة الغضب، وأن تواب أبلغ من التائب لما فيه من

(1) المثل السائر، ج2، ص89-90

(2) سورة المؤمنون الآية: 4.

(3) بيان إعجاز القرآن، الخطابي: أبو سليمان حمد بن محمد، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ت: محمد خلف الله ود. محمد زغلول (القاهرة: دار المعارف، ط4، ب.ت)، ص45.

(4) المثل السائر، ج2، ص56.

(5) سورة القمر الآية: 42.

(6) سورة البقرة الآية: 222.

دلالة تكرار التوبة مرة على مرة....، ثم يقول بعد ذلك: " وهذا وما يجري مجراه إنما يعمد إليه لضرب من التوكيد"⁽¹⁾.

5- ضمير الفصل:

ضمير الفصل يفيد تأكيد الحصر المستفاد من تعريف الجزأين مع أنه رابطة مفيدة لتأكيد النسبة⁽²⁾.

وقد ذكر الإمام عبد القاهر أن الفرق بين "زيد المنطلق"، و"زيد هو المنطلق" أنهم إذا أرادوا تأكيد هذا الوجود (وهو انطلاق زيد) أدخلوا الضمير المسمى (فصلاً) بين الجزأين فقالوا: زيد هو المنطلق⁽³⁾.

ومن شواهد قوله تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾⁽⁴⁾. وقوله تعالى: ﴿وَلَيْكُنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾⁽⁵⁾. "فما ورد من الضمائر على هذه الصفة فإنها مفيدة للتأكيد، لأن الكلام مع ذكرها أبلغ، فأنت لو قلت والكافرون الظالمون، ولكن كانوا الظالمين، وأسقطت هذه الضمائر فإنك تجد فرقاً بين الحالتين في التأكيد وعدمه....⁽⁶⁾.

6- الجملة الاسمية:

تفيد الثبوت والاستمرار، بعكس الفعلية، وهو فرق أشار إليه الإمام عبد القاهر بقوله: " فرق لطيف تمس الحاجة في علم البلاغة إليه، وبيانه أن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجده شيئاً بعد شيء، وأما الفعل فموضوعه على أن يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً فشيئاً"⁽⁷⁾.

(1) المثل السائر، ج2، ص57.

(2) انظر: عروس الأفراح، ج1، ص332.

(3) انظر: دلائل الإعجاز، ص178، وانظر: الإيضاح، ج2، ص49.

(4) سورة البقرة الآية: 254.

(5) سورة الزخرف الآية: 76.

(6) الطراز، ج2، ص144، 145.

(7) دلائل الإعجاز، ص174.

وإذا تقرر هذا فإن الثبات والاستمرار من عناصر القوة والتوكيد⁽¹⁾.
وقد نص ابن الأثير⁽²⁾. أنه: إنما يعدل عن أحد الخطابين (يعني الفعلية أو الاسمية) إلى الآخر لضرب التأكيد والمبالغة، موضحاً أن الخطاب بالجملة الاسمية فيه زيادة تأكيد وتثبيت للمعنى يدركه من له قدم راسخة في علم الفصاحة والبلاغة، مستشهداً بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ...﴾⁽³⁾. كيف خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية الفعلية تكلفاً وإظهاراً للإيمان، وخاطبوا إخوانهم بالعبرة المؤكدة التي تخبر عما في نفوسهم من الثبات على اعتقاد الكفر.

ومن هنا يمكن القول إنه: يؤتى بالجملة الفعلية عند قصد مجرد الإخبار فإذا أريد التأكيد أتى بالجملة الاسمية لتمكين المعنى في نفس السامع بحيث لا يخالجه فيه ريب، ولا يعتريه شك، والدلالة على المبالغة والتأكيد⁽⁴⁾.

على أن ملحظ التوكيد في الجملة الاسمية يأتي "إذا انضم إليه شيء آخر من مؤكدات القول، أو دعا المقام إلى لمح شيء من التأكيد فيه"⁽⁵⁾.

7- التقديم:

ذكر عبد القاهر: أن من الأساليب المستخدمة في توكيد الكلام وتحقيقه أسلوب التقديم لبعض أجزاء الكلام، أي: تقديم ما حقه التأخير منها، ذلك لأنه: "لا يؤتى بالاسم معرى من العوامل إلا لحديث قد نوى إسناده إليه، فإذا قلت: (عبد الله) فقد أشعرت قلبه بذلك أنك قد أردت الحديث عنه، فإذا جئت بالحديث فقلت مثلاً (قام أو قلت خرج) أو قلت: (قدم) فقد علم ما جئت به، وقد وطأت له، وقدمت الإعلام فيه، فدخل على اللب دخول المأنوس به، وقبله قبول المهيأ له، المطمئن إليه، وذلك لا محالة أشد لثبوتته، وأنفى للشبهة،

(1) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، ص418.

(2) انظر: المثل السائر، ج2، ص51.

(3) سورة البقرة الآية: 14.

(4) انظر: الطراز، ج2، ص31، 26، وحاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص، الدسوقي : محمد بن

أحمد (مصر: مطبعة السعادة، ط2، 1342)، ج1، ص220.

(5) من البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، ص418.

وأمنع للشك وأدخل في التحقيق، لأن ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام في التأكيد والإحكام⁽¹⁾.

والتقديم الذي ينص عليه علماء البلاغة وجعلوه من وسائل التوكيد هو : تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي.

فتقديم المسند إليه على الفعل المثبت يفيد تقوية الحكم وتأكيده وتمكينه في نفس السامع، نحو قولك: " هو يعطي الجزيل، وهو يحب الثناء، "لا تريد أن تزعم أنه ليس هنا من يعطي الجزيل، ويحب الثناء غيره، ولا أن تعرض بإنسان وتحطه عنه، وتجعله لا يعطي كما يعطي، ولا يرغب كما يرغب، ولكنك تريد أن يحقق على السامع أن إعطاء الجزيل، وحب الثناء دأبه، وأن تمكن ذلك في نفسه"⁽²⁾.

وقد عدد الإمام شواهد على ما ذكر كقوله تعالى: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾⁽³⁾. معقباً عليها أن الغرض من التقديم تحقيق الأمر وتأكيده، موضحاً ومدعماً كلامه بالواقع وأن مما يدل على أن تقديم المسند إليه على الفعل يقتضي تأكيد الكلام وتحقيقه أننا نجده يستخدم في المواطن التي يكون الكلام فيها موضع شك أو إنكار⁽⁴⁾. وهي مقامات كثيرة ليس هنا مجال القول فيها⁽⁵⁾.

وكما يفيد تقديم المسند إليه على خبره الفعلي في حال الإثبات كذلك الحال مع المنفي كقولك: "أنت لا تحسن هذا"

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾⁽⁶⁾.

(1) دلائل الإعجاز، ص132.

(2) المصدر السابق، ص129.

(3) سورة الفرقان الآية : 3.

(4) انظر: دلائل الإعجاز، ص129، 137.

(5) انظر: في هذا : خصائص التراكيب، ص220-227، و " دراسات بلاغية"، د. بسيوني عبد الفتاح

فيود (القاهرة: مؤسسة المختار، ط الأولى، 1419هـ-1998م)، ص68-70.

(6) سورة المؤمنون: 59.

"يفيد من التأكيد في نفي الإشراك عنهم، ما لو قيل: "والذين لا يشركون بربهم" أو "بربهم لا يشركون" لم يفد ذلك"⁽¹⁾.

ومن المواضيع التي أشاروا فيها إلى التقديم المفيد للتوكيد تقديم المفعول به في باب الاشتغال، إذا قدر المحذوف مقدماً على المفعول وإلى هذا أشار السعد بقوله: "وأما نحو: زيداً عرفته فتأكيد إن قدر الفعل المحذوف المفسر بالفعل المذكور قبل المنصوب، أي عرفت زيداً عرفته"⁽²⁾.

8- الفصل والوصل:

لحظ البلاغيون في علاقات الجمل بعضها مع بعض سبيلاً إلى تمكن المعاني في النفوس من خلال البحث عن أسباب الاتصال والانفصال بين هذه الجمل.

فقد جعل البلاغيون من مقتضيات الفصل بين الجمل أن تتصل الجملتان بشكل وثيق بحيث تكون الثانية بمعنى الأولى أو جزءاً منها، وفي هذه الحالة لا تحتاج إلى الربط ويترك العطف؛ لأن الجملة الثانية توكيد وتحقيق للجملة قبلها، لأنها تتصل بها اتصالاً داخلياً فكما لا يجوز أن يعطف التوكيد على مؤكده كذلك هو حال هذه الجملة من التي قبلها.

نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾⁽³⁾.

فقوله: "لا يؤمنون" تأكيد لقوله: "سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم" لأن معنى الجملتين واحد، وقوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ تأكيد ثان أبلغ من الأول، لأن من كان حاله إذا أنذر مثل حاله إذ لم ينذر، كان في غاية الجهل، وكان مطبوعاً على قلبه لا محالة"⁽⁴⁾.

(1) دلائل الإعجاز: ص138.

(2) مختصر المعاني، ص111.

(3) سورة البقرة الآية : 6.

(4) دلائل الإعجاز : ص228.

وكقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَرَأَى مَستَكْبِرًا كَان لَمْ يَسْمَعَهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾⁽¹⁾.

فجملته (كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا) تأكيد لقوله (كَأَنَّ لَمْ يَسْمَعَهَا)، لأن المراد من التشبيهين واحد، وهو أن ينفي أن يكون لتلاوة ما تلي عليه من الآيات فائدة معه، ويكون لها تأثير فيه⁽²⁾.

وهكذا تجري معظم الشواهد في هذا الباب عند البلاغيين والتي يكتسب المعنى معها تقوية وتقريراً، وهم يجعلون من هذه الجمل قسمين:

قسم تنزل فيه الثانية من الأولى منزلة التوكيد اللفظي، وهو ما يكون مضمون الجملة الثانية مؤكداً لمضمون الأولى، وقسم تنزل فيه الثانية من الأولى منزلة التوكيد المعنوي، وهو أن يختلف مفهوم الجملتين، ولكن يلزم من تقرير معنى إحداهما تقرير معنى الأخرى⁽³⁾.

وإذ نص البلاغيون على "ما تستفيده المعاني من تقوية وتقرير حين تكون الجملة الثانية مؤكدة لما قبلها متواصلة معها داخلياً، فإن الجمل التي تمثل البدل والبيان في هذا السياق لا تخلو أيضاً من التوكيد؛ لأن في كل تكريراً للمعنى وتحقيقاً⁽⁴⁾.

9- القصر:

ذكر السكاكي: أن القصر ما هو إلا تأكيد للحكم على تأكيد⁽⁵⁾.

ويوضح ذلك قائلاً: ألا تراك متى قلت لمخاطب يردد المجيء الواقع بين زيد وعمرو: زيد جاء لا عمرو، وكيف يكون قولك: زيد جاء، إثباتاً

(1) سورة لقمان الآية: 7.

(2) انظر دلائل الإعجاز، ص 229.

(3) انظر في هذا المصدر السابق، ص 228، 230، الطراز، ص 46-47، الإيضاح ص 148، 149، دلالات التراكيب، ص 295-303.

(4) دلالات التراكيب، ص 304.

(5) مفتاح العلوم، ص 403، وانظر: في اعتبار التوكيد في القصر، المطول، ص 392.

للمجيء لزيد صريحاً، وقولك: لا عمرو، إثباتاً ثانياً للمجيء لزيد ضمناً...⁽¹⁾.
وقد تحدث الإمام عبد القاهر قبل هذا عن طرق القصر في مواضع من كتابه "دلائل الإعجاز"، فتحدث عن "القصر بطريق التقديم"، في حديثه عن "التقديم والتأخير"، وتحدث عن القصر بطريق تعريف الطرفين، في حديثه عن الخبر، بالإضافة إلى بيانه الشافي والكافي في الحديث عن (إنما) والفروق بينها وبين النفي والاستثناء وطرق القصر المختلفة.

وهو في كل هذا يوضح ما في هذا الأسلوب من أسرار تجعل منه مرتبة عالية بين المؤكدات؛ لأن التوكيد سر من أسرارهِ⁽²⁾، ولهذا يقول الدكتور صباح دراز "ومن الواضح أننا لو رتبنا أساليب التوكيد وأدواته ترتيباً تصاعدياً حسب قوة التأكيد لكان القصر قمة وغاية، وذلك أنه تأكيد فوق تأكيد، لأنه يشتمل على جملتين، فهو تركيز شديد في الأسلوب"⁽³⁾.

10- الإطناب:

في تعريف الإطناب اللغوي والاصطلاحي ما يجعل هذا الأسلوب من وسائل التوكيد التي تمنح المعنى تحقيقاً في نفس السامع.

فالإطناب في اللغة: مصدر أطنب في كلامه، إذا بالغ فيه وطول ذبوله لإفادة المعاني، واشتقاقه من قولهم: أطنب بالمكان، إذا طال مقامه فيه⁽⁴⁾.
فمادة الكلمة "أطنب" في جميع استعمالاتها تفيد: القوة والشدة والمبالغة والتثبيت والتمكين.

أما في الاصطلاح فيعرفه البلاغيون بـ "زيادة اللفظ على المعنى لفائدة"⁽¹⁾.

(1) مفتاح العلوم، ص 403.

(2) انظر في هذا دلائل الإعجاز: 124، 125، 128، 143، 178، 328-358.

(3) أساليب القصر في القرآن الكريم، د. صباح دراز، (مصر، مطبعة الأمانة، ب. ط، 1406هـ-1986م)، ص 9.

(4) لسان العرب، مادة طنّب "معجم مقاييس اللغة"، أبو الحسين أحمد بن فارس، ت: عبد السلام هارون، (بيروت: دار الجيل، ط 1411هـ-1991م)، ج 3، ص 426. وانظر: "القاموس المحيط"، الفيروز أبادي محمد بن يعقوب، (بيروت: المؤسسة العربية للطباعة والنشر، ب. ت)، ج 1، ص 101-102.

والفائدة التي تضمنها التعريف اللغوي والاصطلاحي عليها مدار التوكيد الذي يتضمنه الإطناب بصوره المختلفة التي سيأتي بيانها.

وفي ضوء هذا نجد البلاغيين يشيرون إلى فضيلة الإطناب، فهذا ابن سنان يستحسن كلام الرماني⁽²⁾. عنه، والذي ينص فيه على أن الإطناب هو طول الكلام في فائدة وبيان، وإخراج للمعنى في معاريض مختلفة وتفصيل له ليتحققه السامع، ويستقر عنده فهمه⁽³⁾.

وتأتي عبارة ابن الأثير واضحة في اعتبار التوكيد في الإطناب يقول: "وبعد أن أنعمت نظري في هذا النوع الذي هو الإطناب وجدت ضرباً من ضروب التأكيد التي يؤتي بها في الكلام قصداً للمبالغة، ألا ترى أنه ضرب مفرد من بينها بؤاسه لا يشاركه فيه غيره"⁽⁴⁾.

وإلى مثل هذا أشار السبكي بقوله: "والفائدة التأكيدية معتبوة في الإطناب، كما ستراه في غير ما موضع"⁽⁵⁾.

وهذه إضاءة كافية تفتح للباحث السير في تلمس جوانب التوكيد في الإطناب بجميع أنواعه، سواء أكان بال تكرار أم بالإيضاح بعد الإبهام، أو بالتذييل أو بالاعتراض، أو بالتنمिम أو بالتنقييد... إلخ.

وسأتناول هذه الأساليب متوخياً الإيجاز قدر الإمكان، فعبارة العلماء في هذا الشأن تضيق بها هذه الصفحات، وحسب الدراسة الإشارة إلى وجه التأكيد المعتمد في هذه الأساليب.

(1) المثل السائر، ج2، ص120، الإيضاح، ج3، ص173.

(2) ينظر: "النكت في إعجاز القرآن"، الرماني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن. ص78، 79.

(3) سر الفصاحة، ابن سنان: عبد الله بن محمد الخفاجي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ب.ت)، ص211.

(4) المثل السائر، ج2، ص119.

(5) عروس الأفراح، ج3، ص98.

فمن صور الإطناب التي تفيد التأكيد:

• التكرار:

ارتبط هذا الأسلوب كثيراً بالدراسات القرآنية فنجد علماء الإعجاز من أوائل من أشاروا إليه يقول أبو عبيدة:

"ومن مجاز المكرر للتوكيد قال سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾⁽¹⁾. أعاد الرؤية وقال تعالى: ﴿أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ﴾⁽²⁾ أعاد اللفظ"⁽³⁾.

ونال هذا الأسلوب على يد ابن قتيبة تقدماً واهتماماً إذ رأى فيه وسيلة من وسائل التوكيد والإعجاز يقول: "فقد أعلمتك أن القرآن نزل بلسان القوم وعلى مذهبهم، ومن مذاهبهم التكرار إرادة التوكيد والإفهام"⁽⁴⁾، وإلى مثل هذا أشار الخطابي⁽⁵⁾.

ونبه أبو هلال العسكري⁽⁶⁾ إلى أن الفصحاء استعملوا التكرار ليتأكد به به القول للسامع، وأنه أسلوب جاء في القرآن وفصيح الشعر م نه شيء كثير، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾⁽⁷⁾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿⁽⁷⁾، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾⁽⁸⁾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿⁽⁸⁾. فيكون للتوكيد، كما يجعل ابن رشيق من المقامات التي تستدعي التكرار التقرير والتوبيخ⁽⁹⁾.

(1) سورة يوسف الآية: 4.

(2) سورة القيامة الآية: 24.

(3) مجاز القرآن، ج1، ص12.

(4) تأويل مشكل القرآن، ص235.

(5) انظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص53.

(6) انظر: الصناعتين، ص199.

(7) سورة التكاثر الآية: 3-4.

(8) سورة الشرح الآية: 5-6.

(9) العمدة، ج2، ص75.

ويشير ابن الأثير إلى الغرض البلاغي من التكرار فيقول: "والمفيد من التكرير يأتي في الكلام تأكيداً له، و تشويهداً من أمره، وإنما يفعل ذلك للدلالة على العناية بالشيء الذي كررت فيه كلامك"⁽¹⁾.

ثم يقول: "ومما ورد في القرآن مكرراً قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ﴿١٦٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾"⁽²⁾.

فكر قوله "فاتقوا الله واطيعوا" ليؤكدده عندهم ويقرره في نفوسهم⁽³⁾.

ويتسع مفهوم التكرار عند ابن الأثير فيدخل فيه التكرار في المعنى دون اللفظ: "كقول حاطب بن أبي بلتعة في غزوة الفتح: "وما فعلت ذلك كفراً، ولا ارتداداً عن ديني، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام"⁽⁴⁾، فكرر في اعتذاره قصداً للتأكيد والتقرير لينفي عنه ما رمي به"⁽⁵⁾.

وهو ما يعرف بتأكيد الشيء بنفي ضده وهكذا أيضاً عطف النواهي على الأوامر كقولنا: اسكت ولا تتكلم، واطعني ولا تعصني فقد عد ابن الأثير مثل هذا الأسلوب من أنواع التكرار وذكر أنه يرد لتثبيت الأمر في نفس المخاطب⁽⁶⁾.

ونجد العلوي في حديثه عن هذا الأسلوب يأخذ من ابن الأثير، وتضطرب عنده المصطلحات وتختلط فهو ينفي أن يكون التأكيد الذي هو (التكرار) عنده أن يكون من الإطناب، ثم يعود ليستشهد بأ مثله في باب التكرار تدخل في الإطناب كذكر الخاص بعد العام، والإيضاح بعد الإبهام، ويرى أنها جارية مجرى التأكيد⁽⁷⁾.

(1) المثل السائر، ج2، ص147.

(2) سورة الشعراء الآيات: 106، 107، 108.

(3) المصدر السابق، ص149.

(4) صحيح البخاري، ج3، ص59-60، ج4، ص1855، حديث 4770.

(5) انظر: المثل السائر، ج2، ص161.

(6) المصدر السابق، ص162.

(7) انظر في هذا "الطراز"، ج2، ص176-184.

وتتجاوز الدراسة هنا كثيراً من المسائل والقضايا المتعلقة بهذا الأسلوب
ذكرها ابن الأثير وغيره من العلماء ليس هنا مجال النظر فيها، كالفرق بين
التكوار والتأكيد، وهل الترادف من التكرار، وغير ذلك⁽¹⁾، وكل ما يمكن قوله
إن أسلوب التكرار يسري ويجري في كلام الخاصة والعامة، وإرادة التوكيد
فيه ظاهرة تتجلى في استدعاء الانتباه والاستجابة وإدراك المقصود، وهو يدل
على امتلاء نفس المتكلم بالمعنى الذي يريد بيانه والإفصاح به بما يمثل
وصلة شعورية بينه وبين المتلقي تدعوه إلى الإحساس بقيمة ما يقال، وأنه
أمر ذو بال، ويكفي القول إن التوكيد والتكرير مصطلحان يحل بعضهما مكان
الآخر عند بعض العلماء.

• الإيضاح بعد الإبهام:

فإن فيه من التأكيد والتمكين ما فيه لأن "المعنى إذا ألقى على سبيل
الإجمال والإبهام تشوقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل
والإيضاح فتوجه إلى ما يرد بعد ذلك، فإذا ألقى كذلك تمكن فيها فضل تمكن
وكان شعورها بها أتم"⁽²⁾.

ونستحضر هنا ما قاله الإمام عبد القاهر في قيمة الإيضاح بعد الإبهام
حين قال: "ليس إعلامك الشيء بغبة غفلاً مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه،
والتقدمة له، لأن ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام في التأكيد والإحكام ومن
ها هنا قالوا: إن الشيء إذا أضمر ثم فسر، كان ذلك أفخم له من أن يذكر من
غير تقدمه إضمار"⁽³⁾.

ويدخل في هذا الباب ما سماه ابن الأثير التفسير بعد الإبهام⁽⁴⁾.

(1) انظر في هذا: التكرار بلاغة، د. إبراهيم محمد الخولي، (الشركة العربية للطباعة والنشر، ب. ط،

1993م)، ص 10-24، من مباحث البلاغة والنقد بين ابن الأثير والعلوي، ص 94-97.

(2) الإيضاح، ج 3، ص 196.

(3) دلائل الإعجاز، ص 132.

(4) انظر: المثل السائر، ج 2، ص 24.

ويقترب من ذلك أيضاً ما يأتي على وجه التفصيل بعد الإجمال كقوله تعالى: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِن قَبْلِهِ وَمَا نَحْنُ بِمُشْرِكِينَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ قَدِ افْتَرَيْنَاهُ قَبْلَ هَذَا وَمَا كُنَّا بِمُعْجِزِينَ لَكَ يَوْمَ الدِّينِ﴾ (1).

"فهذا وما شاكله فيه تفصيل بالغ وتعدد لمن يجب الإيمان به من الأنبياء وما أوتوا من الكتب المنزلة على أتم وجه وأبلغه، ولو أثر إيجازه لقال: قولوا آمنا بالله وبجميع رسله وما أوتوا، لكنه بسطه على هذا البسط العجيب لما فيه من وفائه بالإيمان بالله وبرسله، وما اشتمل عليه من ذكر هذه الزوائد المؤكدة" (2).

وجعل السكاكي منه قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَسْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ (3). "بزيادة الي" لاكتساء الكلام معها من تأكيد الطلب لانشرح الصدر ما لا يكون بدونها، ألا تراك إذا قلت: صدري عدت مفصلاً، والمقام مقتض للتحديد للإرسال المؤذن بتلقي المكاره والشدائد" (4).

• ذكر الخاص بعد العام:

"ففيه ضرب من التوكيد الناشئ من التكرير لأن السابق مشتمل عليه" (5). فقد يتطلب المقام لتأكيد الكلام وتقديره ذكر الخاص بعد العام رغبة في التنبيه على فضله" (6) وإشارة لمكانته.

كقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (7). فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر داخل ضمناً في الدعوة إلى الخير، وإنما خص بالذكر للدلالة على أهميته، والتنبيه على مكانته حتى

(1) سورة البقرة الآية: 136.

(2) الطراز، ج3، ص318، 319، وانظر أيضاً: ج2، ص245، 252.

(3) سورة طه الآية: 25.

(4) المفتاح، ص395، والإيضاح، ج3، ص197.

(5) انظر: "من أسرار التعبير القرآني دراسة تحليلية لسورة الأحزاب"، د. محمد محمد أبو موسى

(القاهرة، مكتبة وهبة، ط2، 1416هـ-1996م)، ص56.

(6) الإيضاح، ج3، ص200.

(7) سورة آل عمران الآية: 104.

يؤخذ بعين الاعتبار ولما يترتب عليه من المصالح الكبرى في حياة المسلمين وشؤون حياتهم ومعظم شواهد العلوي التي أوردتها في تكرار المعنى دون اللفظ داخله في هذا الباب عند البلاغيين فقد علق على آية آل عمران السابقة بقوله: " وإنما كرر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على جهة التأكيد والمبالغة" (1).

• التذييل:

من أساليب الإطناب التي وقف عندها البلاغيون وعالجوها في كتبهم باعتباره عنصراً من عناصر التوكيد تكتسب به الجملة تقريراً وتوكيداً . فالتذييل: "تعقيب الجملة التامة نظماً كانت أو نثراً بجملة تشتمل على معناها لتوكيد منطوقها أو مفهومها، ليظهر المعنى لمن لم يفهمه، ويتقرر عند من فهم" (2).

وعن الخطيب تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها للتوكيد (3).

ولهذا جاءت عبارة العلماء صريحة في أنه "ضرب من التأكيد" (4).

وأن له في الكلام "موقع جليل، ومكان شريف خطير؛ لأن المعنى يزاد به انشراحاً، والمقصد اتضاحاً، ويظهر المعنى لمن لم يفهمه، ويتأكد عند من فهمه، وينبغي أن يستعمل في المواطن الجامعة، والمواقف الحافلة، لأن تلك المواطن تجمع البطيء الفهم، والبعيد الذهن، والثاقب القريحة والجيد الخاطر، فإذا تكررت الألفاظ على المعنى الواحد توكد عند الذهن اللقن، ووضح للكليل البليد" (5).

(1) انظر الطراز، ج2، ص184.

(2) أنوار الربيع في أنواع البديع، ابن معصوم : علي بن أحمد محمد، ت : شاکر هادي شکري (النجف الأشرف: مطبعة النعمان، ب.ط، 1388هـ-1968م)، ص39.

(3) الإيضاح، ص191.

(4) إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي، تحقيق: سيد أحمد صقر، (مصر: دار المعارف، ط الثالثة، ب.ت)، ص102.

(5) انظر: الصناعتين، ج3، ص205.

وهذا نص يستشف منه القارئ ما كان يحرص عليه هؤلاء العلماء من توفير العناية بأسباب بلوغ الكلام أقصى درجات البلاغة والتأثير ومطابقتها لحال المخاطب.

ويقسم البلاغيون التذييل إلى ضربين: (1).

1-ضرب لا يخرج مخرج المثل لعدم استقلاله بإفادة المراد، وتوقفه على ما قبله، كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ (2).

2-ضرب يخرج مخرج المثل، ومن أمثله قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (3). تذييل جاء لتوكيد منطوق الكلام وقد يأتي لتأكيد مفهومه. كقول النابغة:

ولست بمستيق أحأ لا تلمه على شعث أي الرجال المهذب

• الاعتراض:

يأتي هذا الأسلوب من أساليب الإطناب أيضاً ليمنح الكلام قوة بما فيه من إضافة وزيادة في المعنى، فكثيراً ما تساق الجملة المعترضة للتوكيد والتقريب كما يقول الزمخشري (4)، وهو المفسر البلاغي، وكذلك نص ابن الأثير على أن: "الاعتراض المفيد جار مجرى التوكيد" (5). وتابعه العلوي في ذلك (6).

وقد عرف الخطيب (7) الاعتراض بقوله: "هو أن يؤتي في أثناء الكلام، أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتة

(1) انظر: الإيضاح، ج3، ص205، 206.

(2) سورة سبأ الآية: 17.

(3) سورة الإسراء الآية: 81.

(4) الكشاف، ج2، ص57.

(5) المثل السائر، ج2، ص172-173.

(6) انظر: الطراز، ج2، ص169.

(7) الإيضاح: ج3، ص214.

غير دفع الإبهام، كزيادة التأكيد في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ
وَهُنَّا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلُهُ فِي عَمِينَ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾⁽¹⁾.

وسياتي الحديث عن هذه الآية في الدراسة التطبيقية بإذن الله.

والبلاغيون حين تحدثوا عن الاعتراض تناولوا إلى جانبه اسم الحشو كطريق من الطرق التي تجافي البيان إلا ما حسن منه ولهذا قال عنه الإمام عبد القاهر: "وأما الحشو فإنما كرهه وذم وأنكر ورد، لأنه خلا من الفائدة، ولم تحل منه الفائدة، ولو أفاد له لم يكن حشواً، ولم يدع لغواً، وقد تراه مع إطلاق هذا الاسم عليه، واقع من القول أحسن موقع، ومدركاً من الرضى أجزل حظ، وذاك لإفادته إياك، على مجيئه مجيء مالا معول في الإفادة عليه، ولا طائل للسامع لديه، فيكون مثله مثل الحسنة تأتيك من حيث لم ترتقبها، والنافعة أتتك ولم تحتسبها"⁽²⁾.

والفائدة التي قد تأتي من الحشو أحياناً والتي يأخذ الاعتراض منها كثيراً، أشار إليها من قبل ابن رشيق في حديثه عن الحشو "بكلمات يكره الشاعر تناولها إلا أن تقع موقعها ككلمة حقاً في قول الأخطل:

فأقسم المجد حقاً لا يحالفهم حتى يحالف بطن الراحة الشعر

فإن قوله هاهنا "حقاً" زاد المعنى حسناً وتوكيداً ظاهراً"⁽³⁾.

ولعل هذا مما يدخل في التتميم الذي سياتي الحديث عنه.

• ومن أقسام الإطناب الإيغال:

يقول عنه: أبو هلال العسكري: "هو أن تستوفي معنى الكلام قبل البلوغ إلى مقطعه، ثم تأتي بالمقطع فتزيد معنى آخر يزيد به وضوحاً وتوكيداً وحسناً"⁽⁴⁾.

(1) سورة لقمان الآية:14.

(2) أسرار البلاغة، ص19.

(3) العمدة، ج2، ص71.

(4) الصناعتين، ص395.

ثم يقول مستشهداً على ما سبق: "وممن زاد المعنى توكيداً امرؤ القيس حيث يقول:

كَأَنَّ عَيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ خَبَائِئِهَا وَأَرْحُلُنَا الْجَزَعُ الَّذِي لَمْ يُتَّقَبْ

قوله: "لم يتقّب" يزيد التشبيه توكيداً، لأن عيون الوحش غير مثقبة⁽¹⁾. والإيغال بمعناه اللغوي يشعرك بما أومأنا إليه من التوكيد فهو لغة: السير السريع والإمعان فيه، وتوغل في الأرض إذا سار فيها وأبعد⁽²⁾. والمعنى الاصطلاحي الذي قصده علماء البلاغة لوحظ فيه هذا المعنى اللغوي.

ويقترّب من الإيغال أيضاً التثملي والاحتراس والتثمي م حيث تأتي إشارات متفرقة تتصل بما سبق كقول الباقلاني:

"ومن البديع التكميل والتميم، وهو أن يأتي بالمعنى الذي بدأ به بجميع المعاني المصححة المتممة لصحته المكملة لوجودته من غير أن يخل ببعضها ولا أن يغادر شيئاً منه"⁽³⁾.

والقزويني يحدد من خلال تعريف التكميل والاحتراس الفائدة منهما: "وهو أن يؤتي في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه" كقول طرفة:

فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهمي⁽⁴⁾.

أما التثمين فهو ما يأتي في كلام لا يوهم خلاف المقصود لفضله تفيد نكته كالمبالغة في قوله تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾⁽⁵⁾. أي مع حبه،

(1) المصدر السابق، ص396، وانظر: الطراز، ج3، ص132، والإيضاح، ج3، ص202.

(2) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، (بيروت: دار الفكر، ط. ب. ت)، ص729.

(3) إجاز القرآن، ص95.

(4) البيت بهذا اللفظ منسوب للمرقش الأصغر، انظر: "ديوان المرقشين"، ت: كارين صادر، (بيروت: دار صادر، ط الأولى، 1998م)، ص104، أما بيت طرفة فهو:

فسقى ديارك غير مفسدها ... صوب الغمام وديمة تهمي

انظر: ديوان طرفة، مراجعة أحمد فرهود، (حلب: دار القلم العربي، ط1420، 1هـ-1999م)، ص177

(5) سورة الإنسان الآية: 8.

والضمير للطعام أي مع استشهائه والحاجة إليه⁽¹⁾.

وهي أساليب تتصل بما سبق من أنواع الإطناب وإن تباينت في غرضها وتفاوتت في درجات تقوية المعنى بينها، وقد تناول شراح التلخيص هذه المسائل وفصلوا القول فيها⁽²⁾.

وإن كان من رأي هنا فيمكن القول: إن ملامح التوكيد المعترف في مثل هذه الأساليب أعني الإيغال والتنمिम والاحتراس إنما يأتي من خلال لفت القارئ أو السامع عند ملاحظة موطن التنمिम أو التكميل أو الاحتراس إلى ربط المعنى في العبارة بعضه ببعض، وأن يتبع حركة المعنى ذهاباً وإياباً حتى يتقوى المعنى لديه، ويتحقق الفهم عنده، كما أن الكلام يكتسب قيمة فنية تمكنه من التأثير والإقناع.

وقد يكون في الإطناب من وسائل التوكيد غير ما ذكر، فقد يشتمل الكلام على ألفاظ لا يكون الغرض منها إلا توكيد الكلام وتحقيقه وهو ما يذكر كثيراً في متعلقات الفعل كتقوي الفعل بمفعول ونحوه من المتعلقات والقيود فقد ذكر الخطيب أن ذلك يكون لتربية الفائدة أي تكثيرها⁽³⁾.

ومما تعنيه تربية الفائدة تقرير المعنى وتأكيده⁽⁴⁾، وهذا باب واسع بل لربما أفرد بدراسات خاصة حول التقييد وبلاغته فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾⁽⁵⁾.

"فقد علم أن القلب لا يكون إلا في الجوف، ولكن الغرض المبالغة في الإنكار بأن يكون للإنسان قلبان أكد ذلك بقوله" في جوفه"⁽⁶⁾.

(1) الإيضاح، ج3، ص208-213.

(2) انظر على سبيل المثال: عروس الأفراح، ج3، ص128-132، حاشية الدسوقي على مختصر السعد، تحقيق: د. خليل إبراهيم خليل، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط الأولى، 1423هـ-2002م)، ج2، ص763-779.

(3) الإيضاح، ج3، ص221.

(4) خصائص التراكيب، ص318.

(5) سورة الأحزاب الآية: 4.

(6) الطراز، ج2، ص236.

وكذلك ما يجري على الحقيقة مثل قولهم : رأيتُه بعيني، وقبضته بيدي، ووطنته بقدمي، وذقته بفتي... فهذا يقال في كل شيء يعظم مناله، ويعز الوصول إليه فيؤكد الأمر فيه على هذا الوجه دلالة على نيته والحصول عليه" (1).

وهكذا تجري الأمثلة في هذا السياق وإنما كان كل ذلك توكيداً لتضمنه معنى ما سبق كالوصف فمن الصفة كما ذكر الإمام عبد القاهر " صفة لا يكون فيها تخصيص ولا توضيح، ولكن يؤتى بها مؤكدة لقولهم (أمس الدابر) وكقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ (2) "أتى بالصفة لنفخة لتكون مؤكدة لها" (3)، وذلك لأن الوصف الذي يكون متضمناً لمعنى الموصوف كأن فيه تكراراً له، والتكرار يعطي مزية التقرير والتأكيد" (4). ومما يدخل في هذا أيضاً ما أشار إليه ابن الأثير من ذكر الشيء على سبيل النفي ثم ذكره على سبيل الإثبات والغرض منه تأكيد ذلك المعنى المقصود (5). كقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَعِدُّنَا الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ (6) إِنَّمَا يَسْتَعِدُّنَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ (6). فالمعنى في الجملة المنفية والمثبتة واحد، إلا أنه في الثانية زاد قوله: ﴿وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون﴾. ولولا هذه الزيادة لكان حكم هاتين الآيتين حكم التكرير (7).

11- الإظهار في موضع الإضمار:

يأتي هذا الأسلوب في الكلام للتنبيه والتعظيم، وقد يكون الداعي له زيادة التمكين في ذهن السامع وهو الغالب (8). ولهذا رأى البلاغيون أن وضع

(1) المثل السائر، ج2، ص121.

(2) سورة الحاقة الآية: 13.

(3) دلائل الإعجاز، ص38، وانظر: المثل السائر، ج2، ص123.

(4) فن البلاغة، ص212-214.

(5) المثل السائر، ج2، ص126.

(6) سورة التوبة: الآية: 44.

(7) المصدر السابق.

(8) فن البلاغة، ص277.

وضع المضمرة في موضع الظاهر لا يوازي إعادة الظاهر في إشباع المعنى واستقامته وتوكيده" وأن قدراً كبيراً من التأثير يظل الاسم الظاهر محتفظاً بها، ولا يستطيع الضمير حملها نيابة عنه"⁽¹⁾.

من ذلك ما تجده في قوله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾⁽²⁾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾⁽³⁾.

"فقد كان لإعادة اللفظ من الحسن والبهجة، ومن الفخامة والنبيل، مالا يخفى موضعه على بصير، وكان لو ترك فيه الإظهار إلى الإضمار فقيل: "وبالحق أنزلناه وبه نزل" و"قل هو الله أحد هو الصمد" لعدمت الذي أنت واجده الآن"⁽⁴⁾.

ويزيد الشريف الرضي الأمر إيضاحاً حين يصرح بدلالة هذا الأسلوب على التوكيد بقوله معلقاً على قوله تعالى: ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾⁽⁵⁾، يقول:

"فإن قيل ما معنى تكرير اسم الله تعالى في هذه الآية، وكان ذكره في الموضوع الأول يغني عن إعادته فيما بعد، وكان وجه الكلام أن يقول: ﴿والله ما في السموات والأرض وإليه ترجع الأمور﴾، قيل له: إنما أعيد اسم الله هاهنا للتفخيم والتأكيد"⁽⁶⁾.

ونختم هنا بكلام الدكتور: (محمد أبو موسى) في حديثه عن هذا الأسلوب حيث قال: "وخذ المصحف وقرأ فيه من أي موضع تشاء تجد هذا الأسلوب وكأنه أصل من أصول البلاغة القرآنية، تجد أسماء الله الحسنى وخصوصاً هذا الاسم الأعظم يقع هذا الموقع في كثير من الجمل القرآنية، لينساب نورها الغامر في القلوب وتشيع مدلولاتها فتتمكن من النفوس زيادة تمكن، وتنقرر

(1) خصائص التراكيب، ص248.

(2) سورة الإسراء الآية: 105.

(3) سورة الإخلاص الآية: 1، 2.

(4) دلائل الإعجاز، ص170، 557.

(5) سورة آل عمران الآية: 109.

(6) حقائق التأويل في مشابه التنزيل، الشريف الرضي شرح: محمد الرضا آل كاشف الغطاء، (منتدى النشر، ب. ط، 1355هـ، 1936م)، ج5، ص192، 193.

في السرائر أحسن قرار، وبذلك تتربي مهابة الحق وحده في الأمة التي يربحها القرآن، فلا يكن في صدرها خشية إلا لله وللحق⁽¹⁾.

12- التعبير عن المستقبل بصيغة الماضي:

لتنشيط الثقة في نفس السامع بأن المراد من الك لام محقق الوقوع. يقول ابن الأثير: "وأما الإخبار بالفعل الماضي عن المستقبل فهو عكس ما تقدم ذكره، وفائدته أن الفعل الماضي إذا أخبر به عن الفعل المستقبل الذي لم يوجد بعد كان ذلك أبلغ وأؤكد في تحقيق الفعل وإيجاده؛ لأن الفعل الماضي يعطي من المعنى أنه قد كان ووجد، وإنما يفعل ذلك إذا كان الفعل المستقبل من الأشياء العظيمة التي يستعظم وجودها"⁽²⁾.

وذلك كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾⁽³⁾

فإنه إنما قال: "فزع" بلفظ الماضي بعد قوله "ينفخ" وهو مستقبل للإشعار بتحقيق الفزع، وأنه كائن لا محالة؛ لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعاً به"⁽⁴⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١٠١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾⁽⁵⁾.

يقول العلوي: "وإنما جاء بلفظ الماضي مبالغة فيه وتوكيداً، وكأنه لشدة تحققه وثبوته كأنه قد مضى وتفضى فأشبهه الماضي في تقريره"⁽⁶⁾.

وهذا مرتبط بسياق المعنى، وما يتطلبه المقام، فالمتأمل يجد أن للفعل الماضي إشارات تختلف باختلاف موقعه في الجملة، والغرض الذي من أجله أوتر الماضي ليكون مكان المضارع.

(1) خصائص التراكيب، ص 247.

(2) المثل السائر، ج 2، ص 15.

(3) سورة النمل الآية: 87.

(4) المثل السائر، ج 2، ص 16.

(5) سورة الفتح الآية: 1.

(6) الطراز، ج 2، ص 269.

13- الالتفات:

الالتفات من فنون البلاغة الجميلة، وله أثر كبير في النفس، وهو باب ذو أهمية كبيرة لذا كثر البحث حوله، وتعددت آراء البلغاء فيه، وليس من شأن الدراسة هنا الخوض في هذا، لأن تناولنا للالتفات مقصور على ما ورد حوله من إشارة ترى فيه لمسة من لمسات التوكيد، وقد كان المفسرون أكثر إشارة إلى غرض التوكيد في هذا الأسلوب، وهو ما دعى الباحث هنا لتقييد ما يدخل من عبارة البلاغيين في هذا السياق، والمشهور عند جمهور البلاغيين أن الالتفات هو: "التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة (الخطاب، التكم، الغيبة) بعد التعبير عنها بطريق آخر منها"⁽¹⁾.

وهذا التعبير ينطق بما يضيفه هذا الأسلوب على الكلام من روعة تذهب الملالة، وتوقظ الانتباه، ولهذا يلجأ إليه المتكلم لما له من أثر كبير على السامعين وهذه الفائدة العامة ملحوظة على جمال هذا الأسلوب، تنطوي تحتها صور أخرى من الفوائد يفصح عنها السياق، ويشير إليها ابن الأثير حيث قال بعد تعريفه إن ذلك "لا يكون إلا لفائدة اقتضته، وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب، غير أنها لا تحد بحد، ولا تضبط بضابط، لكن يشار إلى مواضع منها ليقاس عليها غيرها؛ فإننا قد رأينا الانتقال من الغيبة إلى الخطاب قد استعمل لتعظيم شأن المخاطب، ثم رأينا ذلك بعينه وهو ضد الأول قد استعمل في الانتقال من الخطاب إلى الغيبة، فعلمنا حينئذ أن الغرض الموجب لاستعمال هذا النوع من الكلام لا يجري على وتيرة واحدة، وإنما هو مقصور على العناية بالمعنى المقصود"⁽²⁾.

فهذا يؤكد عمق الصلة بين الالتفات والمعنى حين يمنح هذا الأسلوب المتلقي مزيداً من التفاعل مع ما يرمي إليه المتكلم في كلامه فيستقر بذلك المعنى في نفسه.

(1) الإيضاح، ج2، ص87.

(2) المثل السائر، ج2، ص4.

وإشارة ابن الأثير السابقة جاءت اعتراضاً على كلام الزمخشري حول هذا الأسلوب وما فيه من تطرية ونشاط، فهذا لا يكفي عند ابن الأثير، والغريب أن عبارة الزمخشري تحتوي على ما أراد ابن الأثير إضافته، ولكنها كانت عبارة دقيقة كما هي عادة هذا البحر (الزمخشري) فكثيراً ما تحتاج عبارته إلى مفاتيح من الفهم والإدراك، ونص عبارته في هذا هي: "وذلك على عادة افتتاحهم في كلامهم، وتصرفهم فيه، ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك تطرية لنشاط السامع وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجراءاته على أسلوب واحد، وقد تختص مواقع بـفوائد" (1).

فقوله "وقد تختص مواقع بـفوائد" تختزل ما ذهب إليه ابن الأثير في عبارة موجزة دقيقة.

صور البيان :

أشار البلاغيون إلى ما تؤديه أساليب البيان من أثر في المعنى وما تحققه من تأكيد في نفس السامع؛ فهي تعد وسائل إيقاظ بالغة التأثير لما فيها من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المقصود وتصويره تصويراً رائعاً يجعله كالعيان.

وحسبي هنا أن أشير إلى صريح عبارتهم في اعتبار التوكيد غرضاً من أغراض صور البيان .

فالتشبيه الذي يعرفه البلاغيون بأنه "الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى" (2)، يتحدث أبو هلال العسكري عن بلاغته فيقول: "والتشبيه يزيد المعنى وضوحاً، ويكسبه تأكيداً، ولهذا أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه، ولم يستغن أحد منهم عنه" (3).

وقد ذكر العسكري هذا الكلام بعد أن ساق جملة من الشواهد على التشبيه بكافة صورته وأنواعه، وحدد ابن الأثير فائدة التشبيه بقوله: "وأما فائدة

(1) الكشاف، ج1، ص19، 20.

(2) الإيضاح، ج4، ص16.

(3) الصناعتين، ص249.

التشبيه من الكلام فهي أنك إذا مثلت الشيء بالشيء فإنما تقصد به إثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به أو بمعناه، وذلك أوكد في طرفي الترغيب فيه، أو التفسير عنه، ألا ترى أنك إذا شبهت صورة بصورة هي أحسن منها كان ذلك مثبتاً في النفس خيلاً حسناً يدعو إلى الترغيب منها، وكذلك إذا شبهتها بصورة شيء أقبح منها كان ذلك مثبتاً في النفس خيلاً قبيحاً يدعو إلى التفسير عنها، وهذا لا نزاع فيه⁽¹⁾.

ولا يقتصر عبارتهم في الإشارة إلى غرض التوكيد من التشبيه أثناء الحديث في باب التشبيه بل تأتي عبارتهم عن ذلك في ثنايا تحليلهم للنصوص في أبواب أخرى، وهذا دليل على إيمانهم بهذه الفكرة من الكلام، ففي تعليق العلوي في حديثه عن صور الإطناب على قول البحري:

تردد في خلقي سـودد سماحاً مـرجى وبأساً مهيباً
فكالسيف إن جئته صارخاً وكالبحر إن جئته مـسـتثيباً

يقول: فالبيت الأول دال على نهاية المدح، لكن البيت الثاني موضح ومبين لمعناه، لأن البحر للسماح، والسيف للناس المهيب، مع اختصاصه بالتشبيه الفائق الذي يكسب الكلام رونقاً وجمالاً، ويزيده قوة وكمالاً، وله وقع في البلاغة وتأكيد في المعنى⁽²⁾.

وتتكرر هذه الإشارة في مواضع متفرقة من كتابة حول التشبيه وأن يقرر المعاني في النفس ويمكنها في القلب وأنه ضرب من التأثير والقوة والتأكيد⁽³⁾.

وهكذا تأتي أيضاً عبارة السكاكي في هذا السياق⁽⁴⁾.

وعلى هذا وذاك يمكن القول إن هذا الفن البلاغي (التشبيه) يؤتي به لغرض تقديم المعنى بصورة فنية تقربه من ذهن المتلقي، وهذا لا يجعله يبتعد

(1) المثل السائر، ج1، ص378.

(2) الطراز، ج2، ص240.

(3) انظر المصدر السابق: ج1، ص252-273، ج3، ص327.

(4) انظر: المفتاح، ص448.

عن أغراض فرعية يستخدم من أجلها التشبيه وعلى رأسها التوكيد، فمن يتتبع شواهد التشبيه يجد أن "تلك الشواهد تصويرٌ رائعٌ للعقول بالمحس لتقوية المعنى وتأكيدِه في النفس"⁽¹⁾.

وإذا انتقل الباحث إلى التمثيل باعتبار القول الذي يفرق بينه وبين التشبيه يجد أن كلام الإمام عبد القاهر يغني ويكفي في الدلالة على ما تقبده الدراسة هنا من تقرير التمثيل للمعاني يقول في ذلك: "واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه، أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صيبا به وك لها، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا"⁽²⁾.

وهذا نص احتفى به الكثير ممن عرض لأثر التمثيل في المعنى، على أن الإمام يزيد من بيان تمكن المعنى بالتمثيل من خلال تعليقه على شواهد كقول الباحثي :

دان على أيد العفاة وشاسع عن كل ند في الندى وضريب

كالبدر أفرط في العلو وضوءه للعصبة السارين جد قريب

يقول عبد القاهر: "وفكر في حالك وحال المعنى معك، وأنت في البيت الأول لم تنته إلى الثاني ولم تتدبر نصرته إياه، وتمثيله فيما يملي على الإنسان عيناه، ويؤدي إليه ناظراه، ثم قسمها على الحال وقد وقفت عليه، وتأملت طرفيه، فإنك تعلم بعد ما بين حالتك، وشدة تفاوتهما في تمكن المعنى لديك، وتحببه إليك، ونبله في نفسك، وتوقيره لأنسك..."⁽³⁾.

(1) البيان في ضوء أساليب القرآن، د. عبد الفتاح لاشين، (القاهرة: دار الفكر العربي، ب. ط، 1420هـ -

2000م)، ص 61.

(2) أسرار البلاغة، ص 115.

(3) أسرار البلاغة، ص 116.

وهكذا يمضي في سرد الشواهد والتعليق عليها موضحاً قيمة التشبيه والتمثيل بما تعجز الصفحات عن نقله هنا.

وإذا كان كل من الحقيقة والمجاز من وسائل التعبير لا تغني إحداهما عن الأخرى في نقل المعنى أو رسم الصورة، فإن ما ورد من تفضيل المجاز على الحقيقة إنما هو راجع بالدرجة الأولى إلى ما يفيد المجاز من تأكيد الإثبات للمعنى وتقريره وليس إلى ما يفيد في زيادة أصل المعنى⁽¹⁾.

وهي مزية كشف عنها الإمام عبد القاهر بفهمه الثاقب حين حدد وظيفة المجاز في أداء المعنى بقوله: "ليست المزية التي تراها لقولك" " رأيت أسداً " على قولك " رأيت رجلاً لا يتميز عن الأسد في شجاعته وجرأته " أنك قد أفدت بالأول زيادة في مساواته الأسد، بل إنك أفدت تأكيداً وتشديداً وقوة في إثباتك له هذه المساواة، وفي تقريرك لها، فليس تأثير الاستعارة إذن في ذات المعنى وحقيقته، بل في إيجابه والحكم به، وهكذا الكناية إذا قلنا: إن الكناية أبلغ من التصريح "فليس المعنى أنك لما كُنيت عن المعنى زدت في ذاته، بل المعنى أنك زدت في إثباته فجعلته أبلغ وأكد وأشد"⁽²⁾.

وكذلك الحال والقياس مع التمثيل عند الإمام عبد القاهر، فالتعبير عن المعاني بهذه الأساليب يزيدتها تأكيداً وتقريراً، ويمنحها قوة وجلاء. ومن أجل هذا سبق أبو هلال العسكري إلى بيان الغرض من الاستعارة وأن من أغراضها "تأكيد المعنى والمبالغة فيه"⁽³⁾. مستشهداً بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾⁽⁴⁾. وأنه أبلغ وأحسن مما قصد له من قوله لو قال: " يوم يكشف عن شدة الأمر، وإن كان المعنيان واحداً، ألا ترى أنك تقول لمن تحتاج إلى الجد في أمره، شمر عن ساقك فيه، وأشد حيازيمك له، فيكون هذا القول منك أوكد في نفسه من قولك: "جد في أمرك"⁽⁵⁾.

(1) انظر: البيان في ضوء أساليب القرآن، ص 283.

(2) دلائل الإعجاز، ص 71-82.

(3) الصناعتين، ص 274.

(4) سورة القلم الآية: 42.

(5) الصناعتين، ص 274، مما يلزم ذكره هنا أن مذهب أهل السنة والجماعة إثبات أسماء الله وصفاته

كما أثبتتها لنفسه في كتابه أو أثبتتها له رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته من غير تحريف ولا =

ومن أجل هذا أيضاً نجد ابن الأثير يشير إلى أن الغرض من المجاز :
إثبات الغرض المقصود في نفس السامع بالتخيل والتصوير حتى يكاد ينظر
إليه عياناً⁽¹⁾.

ويشير أيضاً إلى ذلك في حديثه عن الإرداف⁽²⁾ حين يقول القائل: مثلك
إذا سئل أعطى "وأنه" إنما يأتي تنبيهاً للأمر وتوكيداً⁽³⁾.

وواضح مما تقدم شدة الصلة بين هذه الأساليب والتوكيد، وأن التوكيد
من أهم الأغراض التي تأتي صور البيان من أجلها، ومنه تستمد مكانتها
وقيمتها الفنية وتأثيرها، والدراسة هنا حاولت أن تلتقط شيئاً من عبارتهم بعيداً
عن تحرير المصطلحات وتحقيق القول في مسائل تتعلق بهذا الباب، وه
ي عبارات تغني في بيان ما تهدف إليه الدراسة عن التفصيل الذي يجده طالبه
في مظانه من كتب البلاغة قديماً وحديثاً.

15- تأكيد المدح بما يشبه الذم:

ويقابله توكيد الذم بما يشبه المدح، ووجه التوكيد فيه من جانبين⁽⁴⁾:

أولاً: أنه كالإدعاء للشيء ببيارة .

ثانياً: رسوخه في النفس بعد الاستثناء الموهوم خلاف السابق.

ومن شواهد عند البلاغيين:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم **بهن فلول من قراع الكتائب**⁽¹⁾.

= تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل، وعلى هذا فهم يثبتون له ساقاً على الوجه اللائق به كما ورد في هذه
الآية لا يشبهها شيء.

(1) المثل السائر، ج1، ص78.

(2) مصطلح بلاغي عرفه قدامة بقوله: هو أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ
الدال على ذلك المعنى، بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه و تابع له، فإذا دل على التابع أبان عن
المتبوع؛ "نقد الشعر، ص156، 157، ومن البلاغيين من يفرده بالحديث، ويدخله في باب البديع،
ومنهم من يتحدث عنه مع الكناية والتعريض ومنهم من يفرق بينه وبينها، انظر في هذا : "معجم
المصطلحات البلاغية وتطورها"، د. أحمد مطلوب، (مطبعة المجتمع العلمي العراقي، 1403هـ-
1983م). ج1، ص87-91.

(3) المثل السائر، ج2، ص189.

(4) انظر الإيضاح، ج6، ص75.

"أي إن كان فلول السيف من قراع الكتائب من قبيل العيب فأثبت شي نأ من العيب على تقدير أن فلول السيف منه، وذلك محال، فهو في المعنى تعليق بالمحال"⁽²⁾.

وقد جعل التتوخي من استعمالاته قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا إِلَّا قِيلًا سَلَمًا سَلَمًا﴾⁽³⁾.

يقول في تعليقه على الآية: "استثنى "سلاماً سلاماً" الذي هو ضد اللغو والتأثيم فكان ذلك مؤكداً لانتفاء اللغو والتأثيم"⁽⁴⁾.

16- تجاهل العارف.

إخراج ما يعرف صحته مخرج ما يشك فيه ليزيد بذلك تأكيداً⁽⁵⁾.

وقد سماه السكاكي "سوق المعلوم مساق غيره"⁽⁶⁾ تأدباً مع كتاب الله، وتناوله البلاغيون⁽⁷⁾ موضحين ما فيه من نكت بلاغية كالتوبيخ والمبالغة في المدح والبذل في الحب والتحقير والتعريض وقصد التعجب والتقدير، ومن شواهد قول زهير.

وما أدري وسوف أخال أدري أقوم آل حصن أم نساء⁽⁸⁾.

وهكذا تباينت عناصر التوكيد في الدلالة عليه، وقد كان الغرض هو تلمس ما تتطوي عليه أساليب البلاغة من قدرة على تمثل المعاني وتحقيقها في النفوس، ومن هنا تعددت طرق التوكيد، وتنوعت صور ه، وكان بحق من أهم خصائص اللغة، ولا يؤتي به إلا لأغراض وأسباب جاءت في سياق

(1) ديوان النابغة، ابن السكيب، تحقيق: شكري فيصل، (بيروت: دار الفكر، ب. ط، 1388هـ-1968م)، ص60.

(2) الإيضاح، ج6، ص75.

(3) سورة الواقعة الآية: 25، 26.

(4) انظر: الأقصى القريب، ص97، وانظر: معجم المصطلحات البلاغية، ج2، ص14.

(5) الصناعتين، ص412.

(6) مفتاح العلوم، ص537.

(7) انظر: الطراز، ج3، ص80، الإيضاح، ج6، ص84.

(8) ديوان زهير، (بيروت: دار الأفق الجديدة، ط الأولى، 1390هـ-1970م)، ص136.

الحديث عن هذه الأساليب ومن أهم تلك الأغراض : مراعاة أحوال المخاطبين، وتقدير المعنى وتثبيتته في النفس، والترغيب والترهيب، وإزالة الشكوك والشبهات، والعناية بالأمر وكأنه واقع لا محالة، والدلالة على قوة الاقتناع بالفكرة، وزرع الثقة في نفس السامع، وقد يكون مجيء الكلام على خلاف ظن المتكلم، فيأتي التوكيد ليرد على نفسه ظنه ليستقر النبا الجديد فيها، كما أن من أغراضه التي جاءت بيان شعور المتكلم إزاء المخاطب، هذا مجمل ما مر في الصفحات السابقة، وهناك مقتضيات ودواع أخرى بالإضافة إلى ما سبق تناولتها بعض الدراسات وأشجعت القول فيها⁽¹⁾.

وفي طرق التوكيد التي جرى الحديث عنها عند البلاغيين فيما سبق بيانه في هذه الطرق متسع للأديب ليستفيد منها حسب ما يقتضيه المقام ليحقق كلامه بعدا، ويكسبه تأثيراً في المتلقي لأن المعاني هي سبيل التوكيد ولهذا حرص علماء البلاغة على التنبيه إلى أهميته، وتلمس مواطن قوته، وبيان طرقه وأساليبه.



(1) انظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، ص 419، من أسرار التعبير بالحروف المشبهة بالفعل، ص12-54، خصائص بناء الجملة القرآنية، 53-61.

المبحث الرابع

موازنة بين مناهج العلماء في
دراسة مسالك التوكيد ومقتضياتها

يكشف هذا المبحث عن الاتجاهات التي سلكها علماءنا ممن سبق الحديث عنهم في معالجة أسلوب التوكيد، والمسائل البلاغية المتصلة به، والدالة عليه، كما يهدف إلى تتبع طرق تفهمهم في فهم النصوص، واستخراج ما فيها من مسالك، ومعرفة مصادرهم في ذلك.

وإذا كان المنهج يعني في أوسع تعريفاته وأكثرها دقة ووضوحاً "الخطوة المنظمة التي تسير في مجموعة من الخطوات بقصد تحقيق هدف معين"⁽¹⁾. وهذا يعني أن المنهج يتطلب "الالتزام بموقف فكري معين، أمام العمل الفني في فهمه وتذوقه، والكشف عن أسرارهِ"⁽²⁾.

إذا كان المنهج كذلك فإن إدراك هذا المفهوم في مثل هذه الجزئية من البحث لا يتأتى بالصورة المطلوبة، ومحاولة تحقيق ذلك يحتاج إلى دراسة مستقلة تمنح الموضوع حقه من النظر، وتوفيه غرضه من التحقيق.

ويعود هذا إلى اعتماد دراسة الباحث هنا في تقييد الشواهد على الانتقائية دون الأخذ بسبيل الاستقصاء الإحصائي، وهذا يحول دون تكوين صورة شاملة ومنضبطة عن هذه المناهج.

ومن هنا فإن الموازنة التي تحاول الدراسة أن تقيّمها تمثل أكثر ما تمثل الانطباعات والسمات العامة التي رصدها الباحث أثناء حديثه عن كل طائفة من هؤلاء العلماء.

فالباحث يأخذ في الاعتبار أن هذه الموازنة تقوم بين طوائف تختلف اتجاهاتهم، وحتى يتم استيعاب سمات كل منهج فلا بد من امتلاك أدوات النظر العلمي البصير القائم على استنطاق النصوص وما فيها من رؤية تمثل منهج العالم واتجاهه والتي قد تكون متباينة داخل الرؤية الواحدة (المفسرون مثلاً). فضلاً عن الرؤية المتعددة (المفسرون، النقاد، البلاغيون).

(1) "البحث الاجتماعي قواعده وإجراءاته مناهجه وأدواته"، دكتور عبد الحميد سعيد، (القاهرة: مكتبة نهضة الشرق، 1981م)، ص23.

(2) "مناهج في تحلي النظم القرآني"، د. منير سلطان، (الإسكندرية: منشأة معارف، ب.ت)، ص243.

وهذا وغيره يجعل الوقوف عند حدود السمات العامة أمراً يفرض نفسه هنا.

ومهما تكن هذه المناهج مختلفة فإن الجامع بين هؤلاء العلماء هو ما يتمتعون به من حس وتذوق وبصر باللغة، يضاف إلى ذلك أن " المنهج ليس ثوابت صارمة لا يمكن التصرف فيه، أو على أقل تقدير من الخطأ التصرف فيها، وليس هناك مناهج تصلح لكل شيء وإنما هناك مبادئ عامة"⁽¹⁾.

وفي ضوء هذا يمكن للباحث هنا أن يستظهر شيئاً من تلك السمات العامة والخاصة بين هؤلاء العلماء .

وأول تلك السمات أن الباحث يدرك تمام الإدراك أنه أمام علماء أتقنوا لغتهم وتمكنوا من أدواتهم، وأن رؤيتهم تتحكم فيها غاية وهي تتفاوت حسب الفقه باللغة ومستوى الذوق والحس الأدبي.

"فالغاية التي يتبناها أصحاب كل علم تؤثر لزاماً على حركة العالم وزاده نحو هذه الغاية، ومن هنا كانت المغايرة بين هؤلاء العلماء مقداراً وقدرًا على الرغم من توحيد السبيل"⁽²⁾.

فالعلماء إذن أسهموا بحظ وافر وبدرجات متفاوتة في بيان أسلوب التوكيد.

ومن تلك السمات العامة أن هذه المناهج كانت تتناوب التأثير والتأثر فيما بينها مع احتفاظ كل منهج بخصائصه الذاتية.

ومن تلك السمات التي يمكن أن تذكر هنا تلك التحليلات الجاهزة الثابتة التي تتردد كثيراً مع كل مسلك من مسالك التوكيد من أمثال توضح المعنى وتؤكد، تزيد المعنى وضوحاً وتأكيداً، وهذا من المظاهر الشائعة بين هؤلاء العلماء.

(1) انظر: "منهج البحث في تاريخ الأدب" لانسون، ترجمة: د. محمد مندور منشور ضمن كتاب النقد المنهجي (القاهرة: دار نهضة مصر، ب. ت)، ص422.

(2) "دلالات الألفاظ دراسة بيانية ناقدة" د. محمود توفيق، (مصر: شبرا، مطبعة الأمانة، ط الأولى 1407هـ-1987م)، ص7.

وقد كان لاضطراب المصطلح البلاغي، واختلاف مفهومه ب بين عالم وآخر أثر كبير في إدراك المراد وعقد الموازنة ، وإن تميز البلاغيون بشيء من توضيح هذه المفاهيم باعتبار أن هذا العلم هو شأنهم، ويجري في دائرتهم، ورغم ذلك فإن الباحث يستطيع أن يستدل على المصطلح البلاغي من خلال شرح العالم واستطراداته في بيان الشاهد كما ظ هر ذلك واضحاً في المباحث السالفة.

ومما يسجل هنا أن أسلوب التوكيد لم يظفر بكتاب جامع بل تفرق موضوعه في ثنايا الكتب.

وعند الالتفات إلى السمات الخاصة لكل طائفة يمكن أن نثبين ما يلي:-

أولاً: المفسرون وشراح السنة:

كان منطلق تناولهم لأسلوب التوكيد هو ما يعرض لهم من آيات الذكر الحكيم وأحاديث السنة النبوية حيث كانت محور نظرهم وعلى ضوءها يتم تحديد مسالك التوكيد، وكان للمفسرين فضيلة الانتقال بهذا الأسلوب من رحاب التنظير إلى رحاب التطبيق فتتبعوا العديد من مواطنه واستظهروا الكثير من أغراضه، ولا غرابة في ذلك فمعظم من تقدم لتفسير كتاب الله كانوا نحاة بلغاء.

وبالتالي فقد كانت نظرة هؤلاء العلماء قائمة على معرفة علمية جامعة بين النحو والبلاغة وأصول اللغة من خلال "المزج الذكي بين الفكرة النحوية والروح البلاغية في دراستهم"⁽¹⁾.

وقد عززت هذه المعرفة من الاحتفاء كما قلت بمسالك التوكيد وخاصة الأدوات وتتبع أسرارها ودواعي التوكيد بها بصورة لم أجد لها مثيلاً عند غيرهم.

أما شراح السنة فكان تناولهم مقتضياً وقد حذوا في معالجة مسالك التوكيد حذو النحاة، ولم يتجاوز حديثهم تلك النظرة التي ترى في التوكيد

(1) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، ص324.

صورة من صور تمكين المعنى في النفس دون بيان لأسباب ذلك، والسبب أن رؤيتهم كانت محصورة في التوكيد بنوعي اللفظي والمعنوي.

وإذا كانت تلك المعرفة العلمية الشاملة قد أتاحت للمفسرين بيان الوجوه وكشف الأسرار، وإدراك دلالات السياق، فإن تلك الثقافة الموسوعية فرضت في بعض المواطن نوعاً من التعميم وتغليب الروح العلمية، وأثرت على مستوى البيان وإبراز الأثر النفسي والسر البلاغي، وربما يعود ذلك إلى أن غاية المفسر وشارح السنة كانت تتحدد في الأصل في جلاء المعنى وتوصيله إلى القارئ، وهذا أهم شيء عندهم⁽¹⁾.

وأياً كان نظرهم فقد تميز تناولهم بالتوسع، ولم يكن أسلوب التوكيد بمدلوله اللغوي سوى جزء من مساحته الواسعة التي تحرك فيها المفسرون، ففي سبيل تقصي مواضع الإعجاز، واستجلاء بلاغة القرآن كانوا يلتفتون إلى كل حركة داخل النص تثمر في إبراز المعنى وامتداد تأثيره، ولا غرابة مرة أخرى فهم يدركون ظهور هذا الأسلوب في الكلام العربي، يقول أبو حنيفة: "والتوكيد في لسان العرب كثير جداً، وحكوا من ذلك نظماً ونثراً ما لا يكاد يحصر"⁽²⁾.

وكانت الشواهد في تعددها وتنوعها فرصة تفتح المديى أمامهم كي يوغلوا في النظر وعقد الموازنات، فكل آية أو حديث يفيض بمعنى اعتمد على أسلوب التوكيد تتم الإشارة إليه غالباً بل والموازنة بينه وبين شاهد آخر، وكيف خلت منه آية دون أخرى.

من ذلك ما سبق ذكره⁽³⁾ عن أبي حنيفة في قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾⁽⁴⁾.

(1) انظر: "جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير"، د. أحمديا سوف، (دار المكتبي، ط الأولى، 1415هـ - 1994م)، ص 230

(2) البحر المحيط، ج 8، ص 520.

(3) انظر: ص 23 من هذا البحث.

(4) سورة البقرة الآية: 130

وكذلك ما ذكره عن السر في ذكر "هم" في قوله تعالى —ى: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾⁽¹⁾. دون قوله: ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ حيث قال: "لأن وصف إيق انهم بالآخرة أعلى من وصفهم بالإنفاق، فاحتاج هذا إلى التوكيد، ولم يحتج ذلك إلى تأكيد"⁽²⁾.

وهكذا أيضاً تراهم يعقدون الموازنة بين الآيات المتشابهة في سور متفرقة كاشفين عن سر التوكيد من ذلك ما ورد في قوله تعالى في سورة طه: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾⁽³⁾، وقوله تعالى في سورة غافر: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾⁽⁴⁾.

فقد أكد في آية غافر باللام لأن المخاطبين هم الكفار وجرى في طه لكون المخبر ليس بشاك في الخبر لأن الخطاب لموسى عليه السلام، فالغرض في الأول هو زيادة التحقيق والإشارة إلى أن الخبر محقق بالأدلة السابقة⁽⁵⁾.

"ولعل المراد أن هذه الجملة التي خوطب بها موسى لا يراد بها طلب، أو إنكار وإنما يراد بها تقرير الخبر وتثبيتته في نفس المخاطب ليوطن نفسه عليه، وإن كانت نفسه خالية من كل أثر للإنكار أو الشك"⁽⁶⁾.

وترديد النظر في آيات القرآن الكريم، وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم جعل العلماء في هذا الشأن يتوسعون كذلك في دلالة بعض المسالك على التوكيد، فالمفسرون توسعوا في دلالة التقديم ودلالة التكرار، فالتأكيد المستفاد من التكرار مثلاً قد يكون حتى وإن جاء في مواضع مختلفة ومتباعدة ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾⁽⁷⁾

للآية السابقة الواردة .

(1) سورة البقرة الآية: 4.

(2) البحر المحيط، ج 1، ص 32.

(3) آية: 15.

(4) آية: 59.

(5) انظر: روح البيان، ج 8، ص 199، التحرير والتنوير، ج 24، ص 179.

(6) مباحث علم المعاني في ضوء تفسير روح البيان، ص 124.

(7) سورة النساء الآية: 116.

ذكر الزمخشري أن هذه الآية تكرر للآية السابقة الواردة في نفس السورة⁽¹⁾ وهو تكرر للتأكيد⁽²⁾.

ويقول البيضاوي في قوله عز وجل: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ سُبِّحُوا فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنْ يُصْرَفُونَ ﴾⁽³⁾.

"وتكرير ذم المجادلة لتعدد المجادل أو المجادلة فيه أو للتأكيد"⁽⁴⁾.

وهو يشير بذلك إلى الآية التي وردت في نفس السورة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سُبِّحُوا فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾⁽⁵⁾.

وأما شراح السنة فأكثر ما أوغلوا فيه هو التكرار اللفظي.

وهذا التوسع جعل الإشارة أحياناً تقتصر على وجود التوكيد دون بيان نوعه وأثره، بل ربما سكت عن الإبانة إذا كانت واضحة إما تفادياً للتكرار أو استناداً إلى فطنة القارئ.

كما أن تلك الإشارات كانت تتفاوت داخل نطاق المفسرين وشراح السنة فتختلف من عالم إلى آخر من حيث الوضوح والخفاء والإطناب والإيجاز . وفي مجال التأثير والتأثير بين علماء هذا الفن يجد الباحث أن العلماء في الغالب كان يصدرن بيانهم في التوكيد عن السابق، وكثيراً ما يكون الزمخشري، حاضراً في كتب المفسرين الذين جاءوا بعده، ويكون رأيه هو المقدم في طرح المسألة حيث استمدت منه كثير من كتب التفاسير بعده مادة التوكيد واعتمدت عليه في هذا الموضوع وغيره من موضوعات المعاني، ذلك أنه يمثل خلاصة لفكر عبد القاهر وأنه كان "بالإضافة إلى نحويته لغوياً

(1) سورة النساء الآية: 48

(2) الكشف، ج1، ص491.

(3) سورة غافر الآية: 69.

(4) أنوار التنزيل، ج5، ص99.

(5) سورة غافر الآية: 56.

شديد الحساسية باللغّة عارفاً بالفروق الدقيقة في بنيات النظم فوق تحليله البلاغي للتراكيب النحوية⁽¹⁾.

وهو إلى جانب ذلك: "كان يبسط في الجزئيات التي تناولتها إشارات عبد القاهر ويفسرها ويقربها من الأذواق، ثم يعمقها وينميها في الحقل البلاغي حينما يزيدها بالتطبيق على نصوص مختلفة"⁽²⁾.

وهذا الحس اللغوي الذي كان يتمتع به الزمخشري: "يمد الباحث بكثير من الإضاءات الجميلة، ففي بحث الحروف الزائدة نجد أن الزمخشري يمتاز بإضاءة إحياء الصيغة وشرح دلالتها النفسية، أما غيره فقد تحدثوا عن معنى الزيادة في بناء الكلمة حسب ما قرره رجال اللغة فهم لا يتجاوزون التقرير اللغوي بحيث كان الحديث عن جانب تأثير بناء الكلمة مجّ ملاً على الأغلب"⁽³⁾.

وتراه يحكم فهمه للغة ثم ذوقه في اختيار اللائق بالمعنى يقول في قوله تعالى: ﴿صَبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صَبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾⁽⁴⁾.

"صبغة الله" مصدر مؤكد منتصب عن قوله "أما بالله" وقوله: ﴿ونحن له عابدون﴾ عطف على "أما بالله" وهذا العطف يرد قول من زعم أن "صبغة الله" بدل من "ملة إبراهيم" أو نصب على الإغراء بمعنى "عليكم صبغة الله" لما فيه من فك النظم وإخراج الكلام عن التلمه واتساقه وانتصابها على أنها مصدر مؤكد هو الذي ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام⁽⁵⁾.

ورغم هذا التأثير الذي أودعه الزمخشري في كتب المفسرين، إلا أنهم كانوا أحياناً يتجاوزن حدود النقل إلى التحرير والتنظيم وضبط المسألة

(1) "النظم القرآني في الكشف"، درويش الجندي، (القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ط الأولى، ب.ت)، ص27

(2) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، ص294.

(3) جماليات المفردة القرآنية، ص247.

(4) سورة البقرة الآية: 138.

(5) الكشف، ج 1، ص181.

ومحاورة الرأي، ويظهر هذا واضحاً عند أبي ح ليلى والرازي والطاهر بن عاشور⁽¹⁾.

ويشيع في كتب بعض المفسرين ما شاع عند البلاغيين المتأخرين فكتبهم لا تمثل إلا وجها من وجوه التكرار كالذي نجده عند الأوسى وتأثره بأبي السعود، أما شراح السنة فغالبا ما يبدأ اللاحق بتقرير ما ذكره السابق ثم إضافة ما يراه، وأروع تلك الإضافات ما سجله الإمام ابن حجر في مصنفه (فتح الباري).

أما تأثر هؤلاء العلماء بالبلاغيين فواضح كل الوضوح في أسلوب التوكيد ولأسيما عند الزمخشري وأبي ح ليلى والرازي فهم كما سبق نحاة بلاغيون فكانوا في تناولهم مستهدين ومستضيئين بملاحظات عبد القاهر وآرائه البلاغية متحدثين عما تضمنته الآيات من صور التقوية وأساليب التوكيد وفق النظرة البلاغية كالتقديم والقصر، فقد استمدوا أكثر ما ذكروه من كلام عبد القاهر، وشاع في كتبهم الإشارة إلى القاعدة البلاغية ودعمها بالأمثلة ثم تطبيقها على الآية مناط التفسير، وفي استنباط وجوه البلاغة والإعجاز من الآيات يضع المفسرون نصب أعينهم المصطلحات التي أقرها علماء هذا الفن، أو يلمحون إليها تاركين للقارئ تحديد نوعها، ولأنهم كانوا مطبقين لمعارفهم البلاغية على القرآن فقد اتسعت مباحث البلاغة وتشعبت مسائلها لأنها تنمو في ظل التطبيق⁽²⁾، وهذا بلا شك أسهم من جانب آخر في تداخل المصطلحات واضطرابها، فقد يدرسون لونا بلاغيا تحت مصطلح غير مصطلحه، وبينون عليه إفادة التوكيد، ومن أمثلة ذلك ما ذكره الزمخشري⁽³⁾ حول قوله تعالى: ﴿وَأَتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾⁽⁴⁾.

(1) انظر مثلاً: كلام عاشور حول سر التوكيد في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا خَلُوا إِلَىٰ شِيَابِئِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ﴾ البقرة آية: 14، فقد ناقش رأي الزمخشري في توجيه علة التوكيد ثم ذكر رأيه في ذلك. التحرير والتنوير، ج 1، ص 292.

(2) انظر: ص 30-37 من هذا البحث.

(3) انظر: الكشف، ج 1، ص 493، 494.

(4) سورة النساء الآية: 125.

فقد جعل هذه الجملة اعتراضية تفيد التوكيد مستشهداً عليها بشواهد الاعتراض في الشعر، ووافقه على ذلك أبو السعود في تفسيره⁽¹⁾. غير أن أبا حلين لم يقبل ذلك لأن الاعتراض يكون بين فقرتين كصلة وموصول وشرط وجزاء وقسم ومقسم عليه، وتابع ومتبوع وعامل ومعمول وهذا لا يتحقق في هذه الجملة من الآية⁽²⁾.

والجملة كما هو واضح تعد جملة تذييل تؤكد الكلام السابق، وهذا هو محل التداخل حيث تشترك الجملتان (الاعتراضية والتذييلية) في تقوية الكلام وتحقيقه⁽³⁾.

ورغم وحدة النصوص المشتركة بين هؤلاء العلماء إلا أن بيانهم حول التأكيد يختلف من عالم إلى آخر فقد تجد من يرى في الآية توكيداً، ولا تجد الإشارة إليها عند عالم آخر، وهذا واضح في الاختيارات التي وقفت الدراسة عليها، بل إن الخلاف يثور أحياناً حول نوع الأسلوب وداعي التوكيد كما سبق⁽⁴⁾.

ويضاف هنا ما يتصل بالمذهب فقد كان له أثر في تحديد أسلوب التوكيد وقبوله أو رفضه، ففي قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾⁽⁵⁾. ذكر الفومخشري⁽⁶⁾ أن قوله تعالى: ﴿وما هم بخارجين من النار﴾ بمنزلة قول المعذل البكري:

هم يفرشون اللبد كل طمرة وأجرد سباح يبذ المغالبا

في دلالاته على قوة أمرهم فيما أسند إليهم لا على الاختصاص.

(1) انظر: إرشاد العقل السليم، ج2، ص236.

(2) انظر: "البحر المحيط"، ج3، ص356.

(3) انظر: حاشية الدسوقي، تحقيق: د. خليل إبراهيم خليل، ج3، ص231-236.

(4) انظر: ص28، 47، 51، من هذا البحث وانظر أيضاً: الخلاف حول التأكيد في اللام الداخلة على (قد)،

أسلوب القسم في القرآن الكريم"، ص57، 64، وحول التوكيد بـ"لن" البحر المحيط، ج1، ص106.

(5) سورة البقرة الآية: 167.

(6) انظر: الكشاف، ج1، ص195.

وهذا البيت من شواهد الإمام عبد القاهر على التقديم لغرض التوكيد (1). ولهذا يرى أبو حيان أن الزمخشري خالف ما يقتضيه نظم الآية و هو الاختصاص من أجل عقيدته في الاعتزال (2).

يقول أبو حيان: " وفيه دسيسة اعتزال لأنه إذا لم يدل على الاختصاص لا يكون فيه رد لقول المعتزلة إن الفاسق يخلد في النار ولا يخرج منها" (3).

ثم ذكر أنه لا دلالة في الآية على شيء من المذهبين، فالذي يفهم منها نفي الخروج من النار، إذ المشاركة في ذلك أو عدمها تفهم من دليل خارج، وليس في الآية دليل على الاختصاص ولا المشاركة، على أن أبا حيان يشير إلى أن مجيء الخبر مصحوباً بالباء في الآية للدلالة على التوكيد (4).

وقد ناقش الدكتور أبو موسى هذه القضية موضحاً أن الزمخشري يقول بهذا في آيات كثيرة لا علاقة لها بالاعتراض (5).

بقي أن أشير إلى ثلاثة أمور في بيان سمات منهج المفسرين وشرح السنة ظهرت بوضوح كبير عند المفسرين:

الأمر الأول: يتصل بطريقة العرض: فقد كانوا يعتمدون غالباً التفصيل والتعليل والإقناع بالحجة وتدعيم النظر بشواهد أخرى تؤكد وجهة الرأي وخاصة في المسائل التي كانت شديدة الحساسية.

(1) انظر: دلائل الإعجاز ، ص129.

(2) وهكذا أيضاً فعل ابن المنير حيث بين أن عقيدة المعتزلة تخالف عقيدة أهل السنة في مرتكب الكبيرة، فالمعتزلة يرون أنه يخلد في النار، وعند أهل السنة لا يخلد في النار إلا الكافر وأما العاصي وإن أصر على المعاصي فتوحيده يخرج منه، فلما استشعر الزمخشري دلالة الآية لما يعتقد أهل السنة جعل الضمير المقدم يفيد نسبة تأكيد الخلود إلى الكفار لا اختصاصه بهم، انظر: "الإنصاف، فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال بهامش الكشاف" (مصر: مصطفى البابي الحلبي، ط الأخيرة، 1392هـ-1972م)، ج1، ص212.

(3) انظر: "البحر المحيط" ج1، ص453.

(4) انظر: المصدر السابق، وانظر: أيضاً كلام الزمخشري وأبي حيان حول قوله تعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ آل عمران: 19.

(5) انظر: "البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري"، ص333، 334، دلالات التراكيب"، ص202-203.

وكان لارتباط الآية عند المفسرين بلسباب النزول دور كبير في إتاحة المجال للنظر والتحقيق والتدقيق، وكان ذلك مفتاحاً ينطلق منه العالم إلى إدراك سر التوكيد واعتماد قول دون آخر في بيان هذا السر.

وهم في عرضهم للفكرة يعتمدون الإيضاح والتقريب من خلال الاعتماد على السؤال والجواب، فيكثر عند الزمخشري مثلاً عبارة **فإن قلت**: ما فائدة هذا التوكيد⁽¹⁾.

الأمر الثاني : يتصل بالشواهد: حيث يمثل الاستشهاد بالشعر معلماً من المعالم التي سار عليها منهج المفسرين عامة ونراه حاضراً في أسلوب التوكيد يقول الطاهر بن عاشور⁽²⁾ في قوله تعالى: ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد﴾⁽³⁾، يجوز أن يكون تكريراً للتحذير الأ ول لزيادة التأكيد كقول لبيد

فتنازعا سريطاً يطير ظلاله كدخان مُشْرِقةً شيبَ ضرامها
مَشْرُولةً غُلِيَتْ بنابت عرنج كدخان نار ساطع أسنمها-

فهم يلجأون إلى الشاهد الشعري في مختلف مسائلهم، والتي منها التوكيد لترجيح ما ذهبوا إليه.

الأمر الثالث: التتبع الدقيق والتأمل الحكيم في التوكيد : ومحاولة استظهار الدواعي والأسرار من ورائه وفيما مضى شواهد تدل على هذا، واكتفي هنا بما ذكره أبو السعود في قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَيْنَ آتَبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾⁽⁴⁾.

(1) انظر مثلاً: ص32، 38، 42. من بحث المفسرين.

(2) انظر: "التحرير والتنوير"، ج3، ص223، وانظر أيضاً، ج17، ص224، حول آية 17 من سورة الحج، وآية30 من سورة الكهف .

(3) سورة آل عمران الآية : 30.

(4) سورة البقرة الآية: 145.

يقول: "ولقد بولغ في التأكيد من وجوه تعظيماً للحق المعلوم، وتحريضاً على اقتفائه، وتحذيراً عن متابعة الهوى واستعظاماً لصدور الذنب من الأنبياء عليهم السلام"⁽¹⁾.

تلك أبرز المعالم التي يمكن الوقوف عليها هنا فيما يخص المفسرين وشرح السنة.

ثانياً: النقاد وشرح الشعر:

يتجه هؤلاء العلماء في دراستهم إلى الاهتمام بأحوال اللغة وكيفياتها فهم يستندون إلى المحصول الثقافي الواسع في علوم اللغة والأدب⁽²⁾. والجنوح إلى هذا الاتجاه جعل الإشارات إلى أسلوب التوكيد وبيان مقتضياته خافية وقليلة، فلم يخرج ذلك البيان كثيراً عن المسار النحوي إلا في حالات حاول فيها شارح الشعر خاصة فتح المجال أمام ذوقه وحسه، وما عدا ذلك فقد ظل مرتبطاً بأصول النحو، وهي نظرة أملت تلك الثقافة اللغوية والشرعية في اتباع المذهب اللغوي وعدم الحيد عنه.

وأول سمة من سمات منهجهم أنهم كانوا لا يعنون بالتعريفات كثيراً، فجل اهتمامهم كان مركزاً على إبداء الملحوظات التي تتصل بجانب اللغة، وإن تحدثوا عن الألوان البيانية والفنون البديعية فهو حديث يتصل بما تضيفه على التعبير من روعة وجمال وحسن بيان، وبالتالي فلم ينل أسلوب التوكيد بالصورة البلاغية المعروفة قدراً وافراً في دراستهم.

ومن تلك السمات ما أشرت إليه سابقاً من ظاهرة التحليلات الجاهزة حيث ظهر ذلك واضحاً عندهم بالإضافة إلى تلك الأحكام العامة التي يصدرونها مثل الإخبار أن التوكيد هنا أبلغ أو إن ما أراد التوكيد والمبالغة

(1) إرشاد العقل السليم، ج1، ص176.

(2) انظر: شروح الشعر الجاهلي، د. أحمد جمال العمري، (مصر: دار المعارف، ط الأولى، 1981م)، ج2، ص129.

دون بيان أسباب ذلك، وكثيراً ما وجدت الإشارة إلى أن هذا البيت تأكيد للبيت السابق دون الإشارة إلى سبب التأكيد أو مسلكه⁽¹⁾.

ومن تلك السمات ما يمثل مفترق الطرق بينهم وبين المفسرين والبلاغيين في عنايتهم بمراعاة ودراسة حال المتكلم، في حين وجه البلاغيون والمفسرون عنايتهم بمراعاة حال المخاطب غالباً.

كما أن نظرة النقاد وشراح الشعر اقتصرت على دائرة الأسلوب الداخلي للشاهد دون استجلاء السياق العام فاخفت بذلك الإشارة إلى أثر الأسلوب في علاقات التراكيب، وكان العرف اللغوي هو السائد والمتحكم في رؤيتهم.

وكان: "هم أكثر نقادنا القدامى منحصراً في الجوانب العملية والتطبيقات الجزئية كالبحث وراء السرقات والموازنات الجزئية بين الأبيات، وتقسيم أو تقنين وسائل النقيوم الفني، الأمر الذي أدى إلى فقدان التعليل والتحليل عند غالبيتهم العظمى، كذلك عدم الاهتمام بالقضايا النظرية العميقة التي تطرحها الظاهرة الشعرية"⁽²⁾.

وفي جانب التأثير والتأثر يجد الباحث أن المرزوقي يظهر بوضوح في كتب شراح الشعر الذين جاءوا بعده وأثره واضح بقوة عند التبريزي.

ويسجل الباحث هنا إعجابه بما يحققه المرزوقي من إمتاع القارئ ومد ه بأصول اللغة وأحوالها..

أما النقاد فنظراً لانشغال كل منهم بقضية معينة فقد اعتمدوا كثيراً على معارفهم الخاصة وذوقهم الخاص، وفرضت تلك القضايا خصوصية في التناول حدث من التأثير بالآخر.

(1) انظر: ص62، 69، 79، من بحث النقاد وشراح الشعر، وانظر: نقد الشعر: ص142، ديوان أبي

الطيب بشرح الواحدي، ج2، ص725، 904، 915، الحماسة، ج2، ص1182،

(2) انظر: الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، منهجاً وتطبيقاً، د. أحمد علي دهمان، (دمشق:

وزارة الثقافة، ط الثانية، 2000م)، ص312.

وفي مجال الاستشهاد كانت الاستعانة بالنصوص الشعرية والنثرية تأخذ بهم إلى عرض موضوعات بعيدة، وهذا الذي جعل أسلوب التوكيد يأتي عرضياً أحياناً منفصلاً عن سياق الحديث.

ومهما يكن فقد كانت هذه الشواهد تقوم على اختيار موفق ي دعم فطنة القارئ ويربي ذوقه وينمي حصيلته اللغوية.

ولأن معظم هؤلاء العلماء جاءوا في وقت لم تكن المصطلحات البلاغية قد استوت على سوقها بعد، فقد كان لهم العذر في تحديد نوع الأسلوب، وكان ذلك حائلاً في تبيين مسالك التوكيد في حديثهم.

ومع كل هذا فإن مما أشرف بتسجيله هنا أن هذه الكتب تمثل منطلق المعرفة في الدخول إلى بوابة العلم والنقد.

وفيهما من الكنوز ما يحتاج إلى صبر الرجال، وهم الكبار.

ثالثاً: البلاغيون:

دعم البلاغيون تصورهم النظري لأسلوب التوكيد بتطبيق تحليلي على الشواهد، وكان التطبيق قائماً على عنصر الانتقاء والاختيار، ولم يقف جهودهم في هذا الأسلوب -شأن غيرهم- عند حدود التراكيب إنما تجاوز بهم البحث ما وراء التراكيب من أحوال ومقامات، وهذا يعود إلى طبيعة النظرية البلاغية التي ينطلقون منها من حيث عنايتهم في أصل دراستهم بمقتضى الحال والمقام، وما تشير إليه القرائن ويولده السياق وهو ما يحدده العلوي في قوله: "فإن النحوي وصاحب علم المعاني وإن اشتركا في تعلقهما بالألفاظ المركبة لكن نظر أحدهما مخالف لنظر الآخر، فالنحوي ينظر في التراكيب من أجل تحصيل الإعراب وكمال الفائدة، وصاحب علم المعاني ينظر في دلالاته الخاصة وهو ما يحصل عند التركيب من بلاغة المعاني وبلوغها أقصى المراتب"⁽¹⁾.

(1) انظر: الطراز، ج1، ص17.

وكان الفارق الجوهرى بينهم والعلماء الآخرين أن البلاغيين ينطلقون من الأسلوب ثم يتتبعون شواهد في حين كان المفسرون وشرح السنة وشرح الشعر يشيرون إلى التوكيد في ظل آية أو حديث أو بيت شعر، فت مثل البلاغيين لأسلوب التوكيد كغيره من الأساليب كان "تمثلاً مزدوجاً شمل النظرى وهو ما يتعلق بالتععيد والتعريفات، وشمل العملى الوظيفى وهو ما يرتبط بالتطبيق"⁽¹⁾.

وهذه الطريقة في المعالجة جعلت أسلوب التوكيد يستقل ببحث خاص عندهم خلافاً لغيرهم ممن تناولت الدراسة طريقتهم.

وحيث جاء هذا الأسلوب ضمن أساليب متعددة، فقد وضحه البلاغيون، وتعود فضيلة بحثهم إلى أن البلاغى: "تسلم تركة مثقلة بالنظرة الجزئية فراح يعمقها"⁽²⁾. ويوغل ويخوض في المعانى أكثر من غيره، وبذلك أودع البلاغيون في هذا الأسلوب جهداً مغايراً لغيرهم، ومنحوه بعداً كبيراً بالنظر إلى ما كان عليه قبل البحث البلاغى.

ورغم إفراد التوكيد بتناول خاص في باب مستقل إلا أن البلاغيين أيضاً أدركوا ما تفيده الأساليب البلاغية الأخرى من توكيد، فامتد هذا الأسلوب ليسرى في أساليب أخرى تضمنته ودلت عليه، ومطيتهم في ذلك هو ما يتمتع به البلاغى من ذوق وحس أدبى، فمن خلال التحليل والتعليل والرغبة البلاغية في الوصول إلى المعنى في النص تتبع البلاغيون كل ما يسهم في أداء المعنى في نظرة تجمع إلى جانب الاهتمام بالتفاصيل والجزئيات عمق النظر، وفسح المجال للفكر.

وهذا يسطع أكثر ما يسطع في البلاغة قبل مرحلة التقى عهد، وفي المبحث الخاص بالبلاغيين ما يؤكد ذلك.

(1) "السياق وتوجيه النص"، د. عيد بليغ (مصر: دار الكتب المصرية، ط الأولى، 1429هـ-2008م). ص304.

(2) انظر: "مناهج في تحليل النظم القرآنى"، ص242.

ومن أبرز المعالم والسمات في منهج البلاغيين اختلاف طرائق العرض لديهم، فالإمام عبد القاهر له طريقته، وابن الأثير له طريقته وشرح التلخيص لهم طريقته وهكذا ...

وكان عرضهم يعتمد على طرح الفكرة موجزة ثم التفصيل فيها، والشروع في تقسيماتها، ويعتمدون كذلك على محاولة إشراك القارئ معهم ومخاطبة حس المتلقي وذوقه وعقله، وأن يتملى الأثر والشاهد بنفسه ليبرك سر التوكيد، وهذا يتجلى عند الإمام عبد القاهر وابن الأثير فكثيراً ما ترد عبارة (فلنظر وما شابهها) ويتردد لديهم كالمفسرين الاعتماد على السؤال والجواب بغية الإيضاح والتقريب.

وكان التبويب حائلاً بينهم وبين البسط والتكرار داخل كتبهم. وهم في هذا التبويب يميلون إلى تحديد المفاهيم وبيان الفروق.

كما أن البلاغي في تناول أسلوب التوكيد جمع بين الإفادة من المناهج السابقة ومحاولة الإضافة والنمو داخل رؤيته الخاصة معتمداً على المقدرة الأدبية، والاستقلال بالفهم لأن "الأصالة ليست اختراعاً فقط وإنما هي انتفاع بما كتب الأولون وإضافة إلى ما كتبوه"⁽¹⁾.

وإذا كانت إشارات علماء البلاغة الذين سبقوا الإمام إلى التوكيد ضئيلة ومرهونة بالدرس النحوي دون تحديد لصورها أو ضبط لمسائلها، فإن الإمام عبد القاهر يعد من أسبق البلاغيين في البحث عن أسرار التوكيد ودواعيه حيث خطا به خطوات كشفت عن وجوه من الإعجاز والبيان.

وقد ظل صدى الإمام يتردد في كتب البلاغيين، وإن اختلف بريق تناول الذوقي عند علماء البلاغة المتأخرين الذين غلبت عليهم النزعة العلمية، فاقتضت طبيعة البحث لديهم منهجاً يتناسب مع تقريب البلاغة إلى أذهان الدارسين حيث قاموا بتقنيها ووضعها في قوالب علمية محددة، فكان هدفهم تعليمياً محضاً، يهدف إلى خدمة كتب البلاغة أكثر من البلاغة نفسها، وهذا

(1) بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، د. إبراهيم سلامة، (القاهرة: الأنجلو المصرية، ط الثانية، 1952م)، ص 89.

بلا شك حد من تربية الذوق والملكة البلاغية وحد من النظر في أبعاد أسلوب التوكيد حيث طغى عليه التكرار بصورة واضحة في كتبهم، ومن أمثلة ذلك ما ذكره الدكتور أبو موسى حيث يقول متحدثاً عن قصور النظر في دواعي التوكيد عند المتأخرين: "فقد ضاق صدري بحديث المتأخرين حينما أداروه حول مواجهة إنكار المخاطب الحقيقي أو الاعتباري، ك أن جواب أبي العباس المبرد على سؤال الكندي المنفلس كان محيطاً بدواعي التوكيد وأسراره في هذه اللغة فجاء كلامهم ترديداً أو شرحاً لهذا الجواب. وهذا قصور كبير في فهم هذه الخصوصية التي هي من أدق الخصائص البلاغية وأكثرها صلة بالحس والشعور، وأكثرها شيوعاً في الكلام كله"⁽¹⁾.

وفي التأثر بالآخرين يلحظ الباحث استفادة البلاغيين من بحوث المفسرين ولاسيما الزمخشري فأثره واضح في بعض الم سائل التي تناولها ابن الأثير والسكاكي والخطيب، كما أن السعد وقف عند آراء الزمخشري وحاورها كثيراً⁽²⁾. أما التأثر داخل النطاق البلاغي فذلك واضح وبين لا يحتاج إلى دليل.

أما فيما يخص مستوى التناول، فالتقلوت كان واضحاً من عالم إلى آخر، فقد تجد الإشارة إلى اعتبار التوكيد متداولة بين الجميع ما عدا واحد أ، وقد تجد العكس، وقد يتناول بعضهم مسلماً خاصاً ويشجع البحث فيه كما صنع ابن الأثير في بحث التوكيد بالضمير والمصدر والاعتراض.

وكانت شواهد البلاغيين جامعة بين النصوص القرآنية والشعرية والنثرية وغالباً ما تنبئ عن ذوق رفيع في الاختيار.

وقد غلب الشاهد القرآني كثيراً على مسالك التوكيد وإلى جانب هذا كانت تعقد الموازنات بين الشواهد المتشابهة من حيث ظهور التوكيد أو خلو الشاهد منه.

(1) من البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، ص 413.

(2) انظر: "المرجع السابق"، ص 60، وانظر "من مباحث البلاغة والنقد بين العلوي وابن الأثير، ص 60،

تلك بعض الوقفات أمام هذه المناهج يتضح من خلالها أنها كانت تنطوي في داخلها على اتجاهات مختلفة، فالعالم تتنازعه مذاهب عقديّة أو ميول علمية، فصاحب اللغة يميل للبحث عن أصول الكلمة وتراكيب الجملة، والمهتم بالذوق يوسع النظرة داخل النص باعتبار السياق وحركة المعنى داخل النص، وهكذا...

وهذه المناهج وإن بدت في صورة مستقلة لكنها في الحقيقة يكمل بعضها بعضاً.

وأختم القول بأنني عزفت عن إيراد الكثير من الشواهد بانيا الكلام والاعتبار في ذلك على ما سبق بيانه في المباحث السابقة.



الفصل الثاني

مسالك توكيد حقوق المرأة
ومقتضياتها البلاغية في القرآن الكريم

الفصل الثاني

مسالك توكيد حقوق المرأة ومقتضياتها البلاغية في القرآن الكريم

المبحث الأول:

مسالك التوكيد بالأداة ومقتضياتها في آيات
حقوق المرأة في القرآن الكريم .

المبحث الثاني:

مسالك التوكيد بالأسلوب ومقتضياته في آيات
حقوق المرأة في القرآن الكريم .

المبحث الثالث :

مشتبه النظم في مسالك توكيد حقوق المرأة في
القرآن الكريم .

المبحث الأول

**مسالك التوكيد بالأداة ومقتضياتها
في آيات حقوق المرأة في القرآن الكريم**

حفل القرآن الكريم بالحديث عن المرأة وشؤونها، وقدمت آيات القرآن شخصيات نسائية على وجه الخصوص تبرز سبيل الحياة فيها، فهي المتمم للرجل والمكمل لوظيفته.

ووجه القرآن الكريم عناية خاصة بإثبات حقوق المرأة والتأكيد عليها وتقريرها. وجاء البيان عن هذه الحقوق على وجوه من الإعجاز تجمع بين الدقة والتفصيل، وتجيء في "جو يشعر القلب البشري أنه يواجه قاعدة كبرى من قواعد المنهج الإلهي للحياة البشرية، وأصلاً كبيراً من أصول العقيدة التي ينبثق منها النظام الإسلامي، وأن هذا الأصل موصل بالله سبحانه مباشرة، موصل بإرادته وحكمته ومشئته في الناس، ومنهجه لإقامة الحياة علي النحو الذي قدره وأراده لبني الإنسان، ومن ثم فهو موصل بغضبه ورضاه، وعقابه وثوابه، وموصل بالعقيدة وجوداً وعمداً في حقيقة الحال"⁽¹⁾.

فالآيات النازلة في شأن النساء كغيرها من الآيات تؤخذ وتتقبل بجد واجتهاد لأنها من أحكام الله فلا فرق بينها وبين الآيات التي نزلت في سائر التكاليف التي بين العبد وربّه وبين العبد والناس⁽²⁾، وكيف لا يكون الحال كذلك وقد عقب الله على آيات تناولت حقوق المرأة في الطلاق بقوله: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا...﴾⁽³⁾.

ولأن هذه الآيات جاءت تقدم حقائق إلى أناس كانت تتجاذبهم نوازع الأهواء والعادات والتي تنازعهم في العمل بمقتضاها وتحول بينهم وبين التسليم لها نتيجة ما ألفوه من تصور في التعامل مع المرأة هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن هذه الآيات جاءت "تقرر وتفصل حقوقاً في صور شتى وهي حقوق كانت جديدة عليهم، ولهذا اقتضى الحال أن تعتمد هذه الآيات في تقرير هذه الحقوق أساليب توكيد متعددة ومتنوعة لتثبت كل حق في صورة مؤكدة حتى لا تبقى هناك فرصة للتحايل والتلاعب"⁽⁴⁾.

(1) "في ظلال القرآن"، سيد قطب، (القاهرة: دار الشروق، ط12، 1406هـ-1986م)، ج1، ص230.

(2) انظر: البحر المحيط، ج2، ص205.

(3) سورة البقرة الآية: 231.

(4) "أساليب التوكيد ومقتضياتها البلاغية في سورة النساء"، ياسر عبد الحميد عرقوب، (رسالة دكتوراه:

جامعة الأزهر، 1426هـ-2005م)، ص64.

وهي مسالك يتضح من خلالها أن البيان القرآني أراد أن يحمل الناس إليها لا عليها، ومن هنا فقد اعتمدت على التدرج والاستقراء والاستفهام حتى تتمكن النفس من المراجعة، وتصحيح المفاهيم التي تغلفت بالقهر والاعتداء على حقوق المرأة، حيث قاوم القرآن هذا الاستعباد الجاهلي للمرأة ورد إليها كرامتها وحقق لها وجودها الإنساني⁽¹⁾.

وقبل أن أتناول هذه المسالك أحب أن أشير هنا إلى جملة أمور تتصل بطبيعة هذه الأدوات والمسالك.

الأمر الأول: أن المسالك التي تتلمسها الدراسة يقصد بها طرق التعبير المختلفة التي وردت في القرآن الكريم واستخدمها النحاة والبلاغيون، وقد يمتد إلى جانب هذا النظر في مسالك أخرى يدلي بها السياق، وينص عليها المقام تعمل على تجلية الحقائق، وتحقق ما يسعى التوكيد إلى بيانه، وحسب الباحث أن يجد أصلاً عاماً يمكن ربطه بأسلوب التوكيد ورده إليه يقوم على مبدأ الإقناع وتقرير المعاني وتمكينها في النفوس " فالقرآن الكريم توسع في استخدام أسلوب التوكيد توسعاً يتجاوز به أساليبه المصطلح عليها، فيؤكد معانيه بطرق متعددة وهذا في حقيقته يجعلنا نتوسع في مفاهيم التوكيد ومضامينه"⁽²⁾. ومثل هذا الكلام لا يمثل انعتاقاً من أسر القاعدة، بقدر ما يمثل انطلاقة في فضاء تتبع الظاهرة وتجلياتها في النص، فالدرس البلاغي إنما ينمو في ظل التطبيق⁽³⁾.

وإذا كان التوكيد إنما يصار إليه إذا كان الكلام المؤكد مما يهتم بشأنه ومما يحافظ عليه، فإن الحقوق الشرعية من أعظم ما يجب التأكيد عليه والتنبيه إلى رعايته، والوقوف على مسالك التوكيد في هذه الآيات سبيل إلى إدراك هذه الحقوق على الوجه الذي ارتضاه الله لعباده.

(1) انظر: "المرأة من خلال الآيات القرآنية"، عصمت الدين كركر، (تونس: الشركة التونسية للتوزيع، ب. ط، ب.ت) ص 115-117.

(2) انظر: بلاغة التوكيد في القرآن الكريم، ص 22.

(3) انظر: السياق وتوجيه دلالة النص، ص 267، 276، 295، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، ص 37. دلالات التراكيب، ص 352، 353.

الأمر الثاني: أن هذه الحقوق يدخل ضمنها تلك المكانة والمنزلة الرفيعة التي أولاها الإسلام للمرأة من حيث المساواة في التكاليف الشرعية والأمور العبادية، وكل ما يعبر عن قدرها ومكانتها.

ومن جانب آخر فإن هذه الحقوق يراد بها تلك الحقوق الخاصة التي نزلت في شأن النساء.

الأمر الثالث: أن المنهج المتبع عند تناول كل أداة أو مسلك يكون باعتبار ورود الآية في المصحف إلا إذا تواردت آيتان في موضوع واحد، أو مست الحاجة إلى تقديم آية على أخرى لاعتبارات سياقية تفرضها طبيعة البحث كما أن بعض هذه المسالك يكون ذكره في غير موضعه مراعاة للحق الذي تسعى الآية إلى توكيده حيث يكون مسانداً لمسلك آخر أو لأنه أحد وجوه النظر في الآية .

الأمر الرابع: يتعلق بهذه المسالك وخاصة الأدوات المباشرة في التوكيد، فنظراً لاعتماد الآيات المتعلقة بحقوق المرأة واشتمالها على كثير من الأوامر والنواهي الصريحة في بيان الحق ولاسيما في المواطن التي تتطلب سرعة الاستجابة والتنفيذ وعدم التأجيل كحقها في السكنى والنفقة مثلاً فقد أكده بالأمر الصريح: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾⁽¹⁾. الدال على الوجوب وكذلك قوله: ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾⁽²⁾. نظراً لاعتماد الآيات على هذه الأوامر والنواهي فقد حدّ ذلك من ظهور أدوات التوكيد، فالأمر المباشر أكد في طلب الفعل وأدعى للاستجابة والقبول، والنهي المباشر كذلك أكد في ترك الفعل وأدعى للتسليم والكف.

وهذا يعني أن ظهور أدوات التوكيد لم يكن بالصورة التي ظهرت فيها في مواطن أخرى من القرآن، فالتصريح المباشر بهذه الحقوق أغنى كثيراً عن حاجة الكلام للتأكيد، ومع كل هذا فلم تخل الآيات من أدوات التوكيد، وسوف أسعى هنا للوقوف على أهمها محاولاً تطبيق ما سبق الانتهاء منه من

(1-2) سورة الطلاق الآية: 6.

آراء وأقوال العلماء حول هذه الأدوات ومدى تحقق دلالات هذا الأسلوب وقواعده على آيات حقوق المرأة، ومن أهم هذه الأدوات:

1- (إن، أن):

فعليهما يقوم باب التوكيد وتتعدد أغراضه بها في القرآن الكريم، وهي أكثر أدوات التوكيد استعمالاً في القرآن الكريم، وآيات حقوق المرأة نالت نصيباً من ذلك، وسأعرض هنا لما وقفت عليه من مواضع للتأكيد بـ(إن) في هذه الآيات ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾⁽¹⁾.

جاءت جملة "إن الله اصطفاك...." مصدرة بأداة التوكيد، والمقتضى البلاغي للتوكيد هو الاعتناء بشأن الخبر الذي بشرت الملائكة به مريم، وهو الاصطفاء والطهر والاصطفاء على نساء العالمين⁽²⁾.

والتأكيد على هذا الاصطفاء يفهم منه التأكيد على مكانة هذه السيدة ودرجة رفعتها عند الله، والتتويه بالنماذج النسائية العالية، وأن الله لم يجعل هذا الاصطفاء رتبة خاصة بالرجال دون النساء، بل اصطفى عينات من النساء كما اصطفى من الرجال، مما يدل على قابلية المرأة وأهليتها لبلوغ أعلى الدرجات التي تتناسب مع فطرتها ولا تتعارض مع شريعة ربها، وأن تكون موقع الريادة والاقْتداء، وفي مستوى التفوق والامْتياز على سائر بني البشر نساءً ورجالاً⁽³⁾.

يقول الزمخشري في بيان هذا الاصطفاء: "اصطفاك أولاً حين تقبلك من أمك ورباك واحتضنك بالكرامة، وطهرك مما يستقذر من الأفعال مما قذفك اليهود، واصطفاك آخراً على نساء العالمين، بأن وهب لك عيسى من غير أب ولم يكن ذلك لأحد من النساء"⁽⁴⁾.

(1) سورة آل عمران: الآية 42.

(2) انظر: التحرير والتنوير، ج3، ص244.

(3) انظر في هذا: "شخصية المرأة بين رؤية الإسلام وواقع المسلمين" حسن الصفار، (بيروت: مؤسسة

الانتشار العربي، ط الثانية، 2007م)، ص60، وانظر: المرأة بين القرآن الكريم وواقع المسلمين، راشد

الغنوشي، (دمشق: مركز الراهية، ط الأولى، 1424هـ-2005م)، ص40.

(4) "الكشاف" ج1، ص318.

وبمراجعة معنى الاصطفاء لغويا وما يحمله من معاني الخلوص والصفاء والاختيار⁽¹⁾. يتبين أن الاصطفاء الأول لمريم ذاتي، وأن الاصطفاء الثاني بمعنى التفضيل على الغير، ولإرادة هذين المعنيين أكد الله هذا الاصطفاء فكره مرتين⁽²⁾.

وهذا المعنى وهو تأكيد الاصطفاء وتقدير أهلية المرأة للريادة والاقتران يمكن أن نلمحه أيضاً في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾⁽³⁾.

وآل إبراهيم وآل عمران فيهم الرجال والنساء ومن النساء اللاتي نعرفهن: سارة وهاجر زوجتا إبراهيم عليه السلام، ومن آل عمران مريم وأمها.

إن البيان والتأكيد على هذه المكانة العالية يعلن بوضوح أن ذكر المرأة وإبراز منزلتها أخذ في شريعة الله مكاناً عظيماً فالعبرة بالقدرة والتقوى ولا تفضيل لأحد الجنسين إلا في خصوصيات وأحكام معينة لا يقوم بها إلا من يناسبها من الجنسين.

ومن شأن (إنّ) عند البلاغيين وخصائصها: التأكيد بها بعد الأوامر والنواهي، فهي تفيد إلى جانب التأكيد التعليل والربط بين الجمل؛ فترى الجملة إذ هي دخلت به ترتبط بما قبلها وتأنف معه وتتحد به، كأنّ الكلامين قد أفرغا إفراغاً واحداً، وكأن أحدهما قد سبك في الآخر⁽⁴⁾.

وهذه الطريقة تأتي في سياق الجمل المستأنفة التي تعلل كلاماً سابقاً وتجيب عن سؤال مقدر فيه وكأن الجملة أو الجمل السابقة متضمنة إشارات أو إيماءات تنثو في النفس المتلقية تساؤلاً فتسعفها الجملة الثانية بما يزيل التردد وتجيب عن هذا الهمس، فيدخل قدر من التوكيد في بناء العبارة ليواجه

(1) انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة صفا.

(2) انظر: التحرير والتنوير، ج3، ص244.

(3) سورة آل عمران الآية: 33.

(4) انظر: دلائل الإعجاز، ص273، 316.

هذا التردد، وهو أسلوب يكثر في الكلام العزيز، ويكون على النهج الأبلغ في الكلام⁽¹⁾.

ولذلك "ألفت (إنَّ) مواطن السؤال عن السبب الخاص لما يصاحبها من التردد والإنكار، كما أنها تكثر عقب الأوامر والنواهي التي يحتاج تنفيذها إلى كلفة ومشقة، فكأن ما فيها من مصارعة النفس، وفعالية الهوى، والتناقل في أدائها بحاجة إلى ما في حرف التوكيد من الإلهاب والتهيج"⁽²⁾.

ومن الآيات التي تمثل هذا النهج قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾⁽³⁾.

فالنهي صريح وواضح في تحريم نكاح ما نكح الآباء لما يترتب على ذلك من سوء العلاقة بين الأسر، ومصادرة مشاعر المرأة، فكان التشريع بمثابة التأكيد على احترام المرأة ورعاية مشاعرها، وهو من أعظم الحقوق التي فرضها الإسلام للمرأة، ومن أعظم المبادئ التي قررها لتوفير الحماية الزوجية من تأثير الملابس العارضة في جو هذه الحياة⁽⁴⁾.

ولهذا أتبع النهي بتعقيب قائم على الأسلوب الخبري المؤكد للتمكين للمقتضى الطلبي، فالتأكيد بـ (إنَّ) جاء ليبين علة النهي بقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾. وهذا المسلك الخبري المؤكد يضع بين يدي المسلم علة النهي مصحوبة بالتأكيد البليغ، وكأن الجملة الأولى - تطبيقاً لما سبق بيانه - أثارَت تساؤلاً في نفس المخاطب جعلته كالمتردد والمتطلع لبيان سبب النهي وعلته، فجاءت هذه الجملة ﴿إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً﴾ مؤكدة بـ (إنَّ) لتزيل هذا التردد، ولا شك أن التعليل يقوي معنى التوكيد ويعضده، والمقتضى البلاغي من وراء هذا التأكيد هو التفسير من هذا الفعل، وحفظ كرامة المرأة والمحافظة على كيان الأسرة وحماية علاقة المودة داخلها بعد أن " كان الرجل في

(1) انظر: خصائص التراكيب، ص84، 85.

(2) من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم (الفاء وثم)، د. محمد الأمين الحضري، (القاهرة: ط

الأولى، مكتبة وهبة، 1414هـ-1993م)، ص113.

(3) سورة النساء: الآية 22.

(4) في ظلال القرآن، ج2، ص553.

الجاهلية إذا توفي عن امرأته كان ابنه أحق بها أن ينكحها إن شاء إن لم تكن أمه أو ينكحها من شاء" (1).

وقد جاء التأكيد على قبح وفضاعة هذا الفعل "بالذم البالغ المتتابع وذلك دليل على أنه فعل انتهى من القبح إلى الغاية" (2).

ولهذا خص هذا الفعل بالنهاي، ولم ينظم في سلك نكاح المحرمات مبالغة في الزجر عنه حيث كان ديناً لهم في الجاهلية" (3).

ويتبع الكلام في مثل هذه الجملة الكلام حول سبب فصلها، وهو ما يعرف عند البلاغيين بشبه كمال الاتصال والذي يقول عنه الخطيب " أما كونها بمنزلة المتصلة بها فلكونها جواباً عن سؤال اقتضته الأولى، فينزل منزلته فتفصل الثانية عنها كما يفصل الجواب عن السؤال" (4).

وهذه الطريقة تعمل على تحريك السامع واستثارة حسه حيث يفكر ويتأمل ثم يسأل فيستقر الجواب من ذهنه ويتمكن فضل تمكن (5).

(1) "لباب النقول في أسباب النزول"، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد المجدد طعمة حلبي، (بيروت: دار المعرفة، ط الأولى، 1418هـ - 1997م) ص80، وقد ورد في السنن: إذا مات الرجل قام أكبر أولاده، فألقى ثوبه على امرأة أبيه، وبذلك يصبح من حقه أن يرثه في نكاحه، فإن لم يكن له فيها حاجة زوجها لبعض إخوته من جديد، وإن شاء حبسها حتى تموت أو تفتدي نفسها. انظر: "سنن أبي داود" تعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (دار الفكر، ب.ت)، ج2، ص230، 231، سنن النسائي الكبرى، النسائي، (دار الفكر، 1996م)، ج6، ص321، حديث 1099.

(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج5، ص69.

(3) انظر: إرشاد العقل السليم، ج2، 164، وقد وقف الإمام الرازي أمام تتابع الذم في هذا التأكيد معللاً ذلك أن مراتب القبح ثلاثة: القبح في العقول وفي الشرائع، وفي العادات فقوله: «إنه كان فاحشة» إشارة إلى القبح العقلي فزوجة الأب تشبه الأم فكانت مناسبتها من أفحش الفواحش، وقوله «مقتاً» إشارة إلى القبح الشرعي المتمثل في البغض الشديد من الله على من يرتكب هذا الجرم، وقوله: «وساء سبيلاً»، إشارة إلى القبح العرفي في عادات الناس فهو بئس الطريق فمتى اجتمعت فيه هذه الوجوه فقد بلغ الغاية في القبح. انظر: "التفسير الكبير" ج10، ص24.

(4) "الإيضاح" ج3، ص119.

(5) انظر: دلالات التراكيب، ص312.

ومما يجري على سبيل الآية السابقة من التأكيد بعد الأوامر والنواهي قوله تعالى ﴿وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾⁽¹⁾.

فبعد أن بينت الآية طرق الإصلاح والتأديب التي يجب أن يتبعها الزوج لإصلاح المرأة جاء النهي عن التطاول والبغي على النساء بغير حق، وتعقيب ذلك النهي بالتعليل والتأكيد بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾. والمقتضى البلاغي لهذا التأكيد أن الله سبحانه وتعالى: لما جعل حق الإصلاح والتأديب والقوامة بيد الرجل ربما كان ذلك دافعاً للتكبر والظلم، وهذا ما يحدث عند بعض الرجال، فجاء التأكيد في تعليل هذا النهي لافتاً النظر إلى أن القدرة الحقيقية هي في ملك العلي الكبير، وكأن الرجل حين يخرج به الغرور إلى الظلم والتجبر ينسى قدرة الله عليه، وهذا دليل على أن القوامة وامتلاك التأديب لا تعني في الإسلام أن يتطاول الرجل ويتسلط، وإنما هي مسؤولية ي عرف الرجل بها ما له من واجبات، وما عليه من حقوق⁽²⁾.

ومن مجيء (إن) في جملة تعليلية تؤكد النهي قوله تعالى في حكم عام يحذر وينهى فيه عن قتل الأولاد (ذكوراً وإناثاً) : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ لَّحْنٌ نَّرَزَ لَهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾⁽³⁾.

فقد أكد التعليل بـ(إن) لتحقيقه رداً على ما كان أهل الجاهلية يفعلونه ويعدونه من الصواب، فقد كانوا يقتلون الذكور والإناث خشية الإملاق، ويفعلون القتل أكثر ما يفعلون بالبنات وهو (الوأة) المشهور في بعض القبائل خشية العار وخشية العجز عن القيام بهنّ إذا مات أبوه إذ كانوا في جاهليتهم لا يورثون البنات.

(1) سورة النساء: الآية 34.

(2) انظر: البحر المحيط، ج3، ص242، وانظر: "من البلاغة القرآنية في آيات أحكام النساء"، أميرة عواد

القايدي، (رسالة ماجستير: كلية التربية بجدة، 1425هـ - 2004م)، ص 218، أساليب التوكيد

ومقتضياتها البلاغية في سورة النساء، ص154.

(3) سورة الإسراء: الآية:31.

ويدل على هذا ما ذكره الطاهر بن عاشور⁽¹⁾. عن إسحاق بن خلف وهو شاعر إسلامي حين قال

إذا تذكرت بنتي حين تندبنـي فاضت لعبرة بنتي عبرتي بدم
أحاذر الفقر يوماً أن يلم بهـا فيهتك الستر عن لحم على وضم
أخشى فظاظة عم أو جفء أخ وكنت أخشى عليها من أذى الكلم

فمن أجل هذه الخواطر السيئة بين تعالى سوء ذلك مؤكداً أنه من الكبائر العظيمة ليقرر تحريم هذا الفعل ويزيل من أنفسهم التردد من التسليم بمنعه. وقد زاد تقييد النهي بقوله: (خشية إِملاق) هذا التوكيد بلاغة وبياناً وإمعاناً في التحريم، "فتقييد النهي به لا يدل على إباحة القتل إذا لم يكن ذلك هو علتة، بل القتل منهي عنه إلا بالحق الذي حدده الشرع، ولولي الأمر أو من ينيبه، والتقييد هنا بهذه العلة إنما هو نازل على مقتضى ما كان يدفعهم إلى اقتراف هذا الفعل في العادة، فقد كانوا يقتلون أو لا دهم مخافة الإِملاق⁽²⁾، فذكره هنا "إبلاغ في النهي عن قتلهم، لأنه لا يكاد يفعل ذلك إلا رجل قد بلغ به حب نفسه مبلغاً لا يتناسب مع عاطفة الأبوة، ولا يكاد يوجد مثل ذلك في عالم الحيوان"⁽³⁾.

يقول الجصاص في التعليق على هذه الآية: "هو كلام يتضمن ذكر السبب الخارج عليه، وذلك لأن من العرب من كان يقتل بناته خشية الفقر لئلا يحتاج إلى النفقة عليهن، وليتوفر ما يريد إنفاقه عليهن على نفسه، وعلى بيته، وكان ذلك مستقيضاً شائعاً فيهم، وهي الموعودة التي ذكرها الله في قوله: ﴿وإذا الموعودة سئلت بأي ذنب قتلت﴾⁽⁴⁾.

وسياتي أثناء البحث ما يزيد من الوفاء بهذا المطلب من مطالب توكيد حقوق المرأة.

(1) انظر: التحرير والتنوير، ج15، ص87، 88، وانظر في هذا أيضاً: التفسير الكبير للرازي، ج13، ص130، ج20، ص331، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (بيروت: دار المعرفة، ب. ط، 1405هـ-1984م)، ج1، ص38.

(2) دلالات الألفاظ، ص307.

(3) المرجع السابق، ص308.

(4) أحكام القرآن: أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، ضبطه: عبد السلام محمد علي شاهين، باب بر الوالدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط الثانية، 2003هـ، 1424هـ) ج3، ص259.

وإذا كان من دواعي التوكيد ومقتضياته في القرآن الكريم تقرير صفات الله حتى تتمكن معانيها في النفوس وتتمثل سلوكاً عملياً في واقع المسلم حين يتخلق بمضمونها وينبثق منه العمل الصالح المبني على أساس من الإيمان الصحيح⁽¹⁾.

وهو أمر أشار إليه العز بن عبد السلام في كتابه موضحاً المغزى العظيم الذي تذكر له صفات الله في القرآن الكريم⁽²⁾.

إذا تقرر هذا فإن الباحث في هذه الآيات موطن الدراسة يلحظ كثيراً تذييلها بتأكيد صفات الله عز وجل.

من ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِمَّنْ أَلَكْتُبِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾⁽³⁾.

فلما ذكر الله - سبحانه - جملة أوامر ونواه تتصل بالنساء الذين هم مظنة الإهمال وعدم الرعاية، أمرهم تعالى بالتقوى ثم عطف عليها بالتأكيد على علمه عز وجل بكل شيء "واعلموا أن الله بكل شيء عليم"، للتنبية على أنه يعلم بنياتهم في المضارة والاعتداء⁽⁴⁾.

وفي ذلك تنزيل لهم في حين مخالفتهم أوامر الشريعة منزلة من يجهل أن الله عليم، ولهذا أكدت الجملة بـ(أن) واسمية الجملة والإظهار في موضع الإضمار عن طريق تكرير الاسم الأعظم⁽⁵⁾.

ومن الآيات التي تقرر صفات الله وتؤكد عليها متساوقة مع سياقها ولافتة إلى ضرورة استحضر معاني هذه الصفات في مجال التعامل مع المرأة

(1) انظر: من أسرار التعبير بالحروف المشبهة بالفعل، ص 48.

(2) انظر: الإشارة إلى الإيجاز، عبد العزيز بن عبد السلام عز الدين، (القاهرة: دار الحديث، ب. ت) ص 206.

(3) سورة البقرة الآية: 231.

(4) انظر: البحر المحيط، ج 2، ص 492.

(5) انظر: التحرير والتنوير، ج 2، ص 425.

والضعفاء ما ختم به قوله تعالى : ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ (1).... حيث ذيلت هذه الآية بقوله : ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فهي جملة اسمية مؤكدة تفيد الوعيد والتهديد بأن الله مطلع عليهم ولا يخفى عليه شيء من أمر تعاملهم في شأن المراضع والأطفال (2).

وهكذا أيضاً يجيء التعقيب على أحكام الإيلاء (3) : ﴿فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (4) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (4).

فقد جاءت هذه الجملة في مجال التفصيل بعد الإجمال، وجاء التعبير بجملتين شرطيتين جاءت الأولى "فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم" مؤكدة بأداة التوكيد دلالة على أن هذا الموضوع يحتاج إلى التأمل وتغليب جانب الرحمة والهدوء فهو وعد للمنيب على إنابته بالدخول في طاعته عز وجل (5)، وفيه حث بالغ له أن يعفو ويغفر.

ويرى أبو حيان أن رحيم فيه نظر إلى حال المرأة بألا يضر بها زوجها بالإيلاء، وغفور نظر إلى حال الزوج في مغفرة ماثم اليمين (6).

أما الجملة الثانية فقد جاء التعبير فيها: "وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم" بالتأكيد على صفتي السمع والعلم، وفي التأكيد على هاتين الصفتين : "تهديد بالغ إذ الطلاق أمانة في يد الرجل فليحذر المضارة فإن الله سميع عليم" (7).

(1) سورة البقرة جز من الآية : 233.

(2) انظر: أنوار التنزيل، ج1، ص524.

(3) الإيلاء في اللغة معنى الحلف قرأ ابن عباس " للذين يقسمون"، وأما في الشرع : فهو الحلف على ترك وطء الزوجة أكثر من أربعة أشهر"، انظر: الجامع لإحكام القرآن، ج3، ص68، وانظر: الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، لابن قدامة، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط1 الثانية، 1399هـ)، ج3، ص338. وقد كانوا يضارون به النساء في الجاهلية.

(4) سورة البقرة الآية: 227.

(5) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن، ج2، ص264.

(6) انظر: البحر المحيط، ج2، ص450، 174، وفي هذا كما يقول عاشور إيدان بأن الإيلاء إذا كان

يقصد إيذاء المرأة حرام" انظر: التحرير والتنوير، ج2، ص384.

(7) انظر: "صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم" د. محمود توفيق، (مصر: مطبعة الإمامة، ط الأولى،

1413هـ-1993م)، ص73، وانظر: نظم الدرر، ج1، ص427.

ومن اللافت للنظر هنا تقديم خيار الفیء والرجوع وتأخیر الحدیث عن الطلاق لأن "المرأة لا تزال تحت كنف زوجها ، وفي بیت الزوجية والرجوع إلى عش الزوجية هو المرغب فيه عند الشارع الحكيم"⁽¹⁾.

وفي مرجع الخطاب في "فاعوا" إلى الأزواج ما یساند جعل أمور الزواج في ستر عن حكم الحكام، فجعل التربص للزوج والفیء منه⁽²⁾.

ومما يدل على مناسبة تقرير هذه الصفات لسياق الآيات، ما وصف الله به نفسه في الآية الخاصة بنشوز الرجال بالتأکید على أنه (خبير بما نعمل) في قوله: ﴿ وَإِنَّ امْرَأَةً خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾⁽³⁾.

ووصف نفسه في الآية الخاصة بنشوز النساء بالتأکید على أنه (علي كبير) في قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴾⁽⁴⁾. وكان القصد من وراء ذلك أن الله في الحالة الأولى لا تخفى عنه عنه نوايا أفعال الرجال الناشزين، وأنه في الحالة الثانية كما سبق معنا فوق كل متجبر من الرجال في معاملة النساء معاملة جعلتهن یصبحن ناشزات فيكون الحكم في الحاليتين محملاً للزوج مسؤولية ما يحصل سواء كان هو الناشز أو المنشوز عنه⁽⁵⁾.

وهكذا تمضي هذه الآيات تحمل معها تعليق القلوب بخالقها وتشعر أن الكل سواسية أمام أحكام الله، وأن الله حاضر في كل لحظة من لحظات هذا التشريع العظيم بين الرجل والمرأة، فهذه الفواصل جاءت مرتبطة بسياقها ارتباطاً وثيقاً فهي جزء من هذا البناء المتكامل في البلاغة والإعجاز.

(1) انظر: من البلاغة القرآنية في آيات أحكام النساء، ص 318.

(2) انظر: نظم الدرر، ج 1، ص 425.

(3) سورة النساء الآية: 128.

(4) سورة النساء الآية: 34.

(5) انظر: "أهمية اعتبار السياق في المجالات التشريعية وصلته بسلامة العمل بالأحكام"، أعمال الندوة

العلمية الدولية التي نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء، (المغرب: دار أبي رقرق، ط الأولى، 2007م)،

ص 108، 109.

والباحث في آيات حقوق المرأة يجد أن التأكيد بـ (إن) يكون حاضراً في كل مقام يقتضي الدفاع عن كرامة وعرض المرأة يبدو ذلك واضحاً في آيات اللعان⁽¹⁾، والتي من مضامين مشروعيتها "تقرير حق من حقوق المرأة، فليس معنى أنها زوجة للرجل، فقد أصبحت ملكاً له يتصرف فيها كما يشاء، ويدعي عليها ما يشاء، كما يفهم بعض ضعاف العقول، ولكن مع أنها زوجته فلها حقوقها المحفوظة المصانة، ومنها حق المقاضاة عند اتهامه لها وادعائه عليها لتظهر الحقيقة، ويعطى كل ذي حق حقه"⁽²⁾.

وفي سبيل هذا حفلت هذه الآيات بمسالك التوكيد المختلفة وقام نظمها على وجه من التوكيد بليغ يأتي على رأس هذا : التأكيد بـ (إن) يقول تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدُوا أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَمِيسَةَ أَنْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَمِيسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾⁽³⁾.

(1) اللعان لغة: مشتق من اللعن، واللعان مصدر لاعن لعانا إذا لعن كل واحد الآخر، وسمي بذلك، لأن الزوج يلعن نفسه في الخامسة إن كان كاذباً . انظر: القاموس المحيط، ج 4، ص 269، المعجم الوسيط، ج 2، ص 829، وشرعاً: شهادات مؤكدة بأيمان من الزوجين مقرونة بلعن وغضب قائمة مقام حد قذف في حقه، أو حد زنى في حقه شرعت عند عدم قدرة الزوج على الإتيان بأربعة شهود يثبت بها زنى زوجته، فلا يدرأ عنها حد القذف إذا طالبت بها الزوجة إلا أن يلاعن، فيمكن من ذلك ليسقط عنه الحد وتترتب عليه آثار اللعان . انظر: "المبدع شرح المقنع"، ابن مفلح الحنبلي، (المكتب الإسلامي، 1988م)، ج 8، ص 73. "الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، أبو النجا شرف الدين موسى الحجازي المقدسي، تعليق: عبد اللطيف السبكي (بيروت: دار المعرفة، ب.ط، ب.ت)، ج 4، ص 85.

(2) "مع النظم القرآني في سورة النور"، د. الشحات محمد عبد الرحمن، (مصر: مطبعة الأمانة، ط الأولى، 1407هـ-1986م)، ص 55.

(3) سور النور الآية: 6-10، وقد ذكر العلماء في سبب نزول هذه الآيات روايات مختلفة، من أشهرها ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحاء، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : البيينة ، أو حد في ظهرك، فقال هلال : يا رسول الله إذا رأى أحدنا مع امرأته رجلاً، ينطلق يلتمس البيينة، والذي بعثك بالحق إني لصادق ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد".

انظر: صحيح البخاري، ج 4، ص 1772، حديث 4629. صحيح مسلم، ج 10، ص 102، حديث 3710، وانظر: "الباب النقول" ص 152.

فبعد تذكير الله برباط الزوجية، وما يستوجبه ذلك من الوفاء والرعاية من خلال إضافة أزواجهم إليهم ﴿والذين يرمون أزواجهم﴾ ثم حصر الشهادة في نطاق الأزواج عن طريق النفي والاستثناء ﴿ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم﴾، وعلاوة على ما يحققه لفظ الشهادة من معنى القسم حيث تكون "شهادة الزوج جارية مجرى القسم على سبيل الإقرار وسمي اليمين شهادة لأنه بدل منها...".⁽¹⁾

بعد كل هذا التمهيد السياقي المشتمل على عناصر مختلفة من البيان والتأكيد على خطورة هذا الأمر يأتي التأكيد بـ "إن" في مفصل القضية ليزيد الحكم رهبة وقوة حين يجعل الشهادة تقوم على لفظ مؤكد كل التأكيد "إنه لمن الصادقين".

فمن أجل العناية بتأكيد الخبر وإظهار البرهان والدليل في هذه القضية جاءت الجملة مؤكدة بـ "إن، واللام، واسمية الجملة" لتأكيد صدق الزوج في دعواه، فالمقام يتطلب إثبات قول خطير وتهمة شنيعة، فالمفروض ألا يقذف الرجل امرأته إلا صادقاً لما في ذلك من التشهير بعرضه وشرفه وكرامة أبنائه، وحتى لا تكون أعراض النساء لقمة سائغة في أفواه ال متساهلين بالأعراض الذين يرون التشهير بزوجاتهم لشقاق أو غيظ مفرط أو حماقة⁽²⁾. من أجل ذلك جاء بناء الجملة على هذه العناصر المؤكدة .

ويزداد التأكيد قوة بإفراد الشهادة الخامسة عن الشهادات الأربع المتقدمة "لاستقلالها بالفحوى، ووكادتها في إفادة ما يراد بالشهادة من تحقيق الخبر وإظهار صحة الدعوى"⁽³⁾.

وفي مضمون هذه الشهادة تأكيد وتقرير لعنة الله على القاذف حتى يحذر أشد الحذر من عاقبة الكذب والافتراء: ﴿والخامسة أن لعنت الله عليه إن كان من الكاذبين﴾، وجو النص يشع بعناصر أخرى تضافرت لتزيد من قوة التأكيد كتكرار الشهادة وتكرار الاسم الأعظم وإظهاره تكراراً ومراراً في أجواء

(1) انظر: التحرير والتنوير، ج18، ص164.

(2) المصدر السابق.

(3) انظر: إرشاد العقل السليم، ج6، ص159.

النص المحكم بالإضافة إلى أسلوب المقابلة فما يصدر عن الملائع من شهادة، يصدر عن الملائعنة ضده مشتقاً على ذات الخصائص التعبيرية السابقة وهذا جعل الجمل مترابطة في وحدة متناسقة تشعر بالرهبة وجلال الموقف⁽¹⁾. وتشعر أن الحكم لله في موقف ربما تجاوز طاقة الإنسان من الغضب والثورة فليس ثم إلا حكم الله بعيداً عن نزوات الانفعال والغضب، وتشعر أيضاً أن الشريعة تهدف إلى حياة زوجية زاخرة بالقيم، قائمة على المودة والثقة بين الزوجين، بعيدة عن أجواء الشكوك والأوهام.

وفي سورة النور حلقات أخرى أكدت على شدة النكير وقوة التحذير من تناول أعراض المؤمنات الغافلات بالسوء، وقد تمثل هذا أكثر ما تمثل في حادثة الإفك⁽²⁾. التي كانت أنموذجاً يكشف عن شناعة الجرم وبشاعته، والتي جاء التعبير القرآني عنها مركزاً على إثبات براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فصدر الحديث عن أهل الإفك بحرف التوكيد "إن" في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾⁽³⁾. وتصدير الكلام بحرف التوكيد للاهتمام بمضمون الخبر فهو يسوق أمراً يبعد مثله في الظن، فالقرآن يؤكد أن ما حدث إفك وافتراء فمن رمى أم المؤمنين بسوء فقد قلب الأمر عن أحسن وجوهه إلى أفبح أققائه فالرمي كان إفكاً قبيحاً وكذباً ظاهراً⁽⁴⁾.

إن التأكيد على وقوع هذه الحادثة وتناولها في نص قرآني يتلى على مر الدهور واعتباره سبيلاً لتشريع أحكام القذف يظهر كيف يولي الإسلام الإنسان حقه سواء كان رجلاً أم امرأة يقول الزمخشري: "ولو قلبت القرآن كله وفتشت عما أوعده به العصاة لم تر الله قد غلظ في شيء تغليظه في إفك عائشة رضوان الله عليها، ولا أنزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد

(1) انظر: مع النظم القرآني في سورة النور، ص52.

(2) انظر: في ضبط هذه الحادثة وتفصيلها: "صحيح البخاري"، ج3، ص 1484-1488.

(3) سورة النور الآية:11.

(4) انظر: نظم الدرر، ج5، ص239، وانظر: "أسرار التعبير القرآني في حديث الإفك"، د. أحمد إبراهيم

حمد، (مجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق، العدد الخامس عشر، 1415هـ - 1995م)، ص215.

الشديد والعقاب البليغ، والزجر العنيف، واستعظام ما ركب من ذلك، واستعظام ما أقدم عليه، ما أنزل فيه على طرق مختلفة، وأساليب مفتنة، كل واحد منها كاف في بابه⁽¹⁾.

ومن هذه الطرق والأساليب التي أشار إليها الزمخشري القصر بحرف العطف (بل) في قوله ﴿لَا تَحْسِبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ فقد دل على إثبات أنه خير لهم بعد نفي كونه شراً لهم، والعدول عن عطف "خير" على "شراً" بحرف "بل" فلم يقل "بل خيراً لكم"، إيثاراً للجملة الاسمية الدالة على الثبوت والدوام (بل هو خير لكم)، إضافة إلى الطباق بين الخير والشر والالتفات في قوله ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾، فمقتضى الظاهر أن يقال: ﴿ظَنَنْتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ خَيْرًا﴾ لكنه عدل عن الخطاب إلى الغيبة لتأكيد التوبيخ، ومن هذه الأساليب الإظهار في موضع الإضمار في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ...﴾⁽²⁾. وكان الظاهر إذ لم يأتوا بهم إلا أنه عدل إلى ما في النظم الجليل لزيادة التقرير والتأكيد إلى غير ذلك من الأساليب⁽³⁾.

فكل هذه الأساليب تآزرت في تقوية المعنى وتأكيده وإبراز الغرض المقصود وهو إظهار شناعة هذه الجريمة وطمأنة الجماعة المسلمة، وتنزيه أم المؤمنين رضوان الله عليها، وتهويل لمن تكلم بذلك، وتشريع لأحكام صارمة تردع أهل الفسق عن فسقهم، وتبين براءة فضلائهم⁽⁴⁾.

إن هذه المسالك وإن تعددت طرقها واختلفت أغراضها وربما خرجت عن مقاصد البحث هنا، لكنها في مجموعها تشكل ترابطاً قوياً في بناء هذا التشريع على حادثة دارت حول امرأة عظيمة لحقها من تبعات هذا التصرف العنت والتعب وكدّ خاطر، وفي هذا إحياء بوجوب المحافظة على أعراض

(1) الكشف، ج2، ص281.

(2) سورة النور الآية: 13.

(3) سيأتي الحديث عنها في موضعها بإذن الله .

(4) انظر: الكشف، ج3، ص53، التحرير والتنوير، ج18، ص169، وانظر: أسرار التعبير القرآني في

حديث الإفك، ص216.

الأمة وحمایتها من قالة السوء، فما تعانیه المرأة في هذا الباب أشد وطأة من حمل الجبال الرواسي، وما أريد الوصول إليه هنا أن هذه الآيات، وإن كان نزولها لحماية عرض الرسول صلى الله عليه وسلم وتشريع أحكام القذف وتربية الجماعة المسلمة، فإن صورة المرأة في أعلى صور تشريفها تمثل في تعظيم حق أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لما كانت عليه من الحصانة والشرف والعفة والكرم وانتصر القرآن الكريم لكرامتها مؤكداً على مكانتها العظيمة وشرفها الطاهر.

وإذا كان المرجفون قد تناولوا على هذا العرض الطاهر فإن تناولهم على غيره سيكون أسهل وأقوى، فالمرأة قد تستهدف في ظل موقف عابر أو شبهة بعيدة ولهذا جاء التأكيد صريحاً واضحاً في تهديد المتساهلين في نشر الفاحشة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾⁽¹⁾.

فالآية تؤكد على الجزاء الشديد الذي ينال هؤلاء القوم الذين يحبون شيوع الفاحشة في المؤمنين⁽²⁾، حين تصدر بحرف التوكيد (إن) وهو جزاء لا يفلتون منه ولا يستريحون، بل إن التوكيد يبلغ مداه من خلال التهديد في قوله: ﴿والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ فهو تحذير للذين يتناقلون هذه الإشاعة ولو بطريق الخفية فإن الله لا يخفى عليه شيء، وقد جاء التذييل في هيئة القصر بطريق التقديم حيث قدم المسند إليه على الخبر الفعلي، فأفاد في الجملة الأولى قصر العلم على الله عز وجل، وأفاد في الجملة الثانية قصر عدم العلم على المخاطبين⁽³⁾. فالنص ينهي بطريق التأكيد أن يتحول مجتمع المسلمين إلى جو ملوث موح بارتكاب الفحشاء في كل زاوية فذلك يجعل حالة الشك

(1) سورة النور الآية: 19.

(2) لعل التعبير بالمضارع "يحبون" يشير إلى أن هذا الأمر عادة مستمرة في أمثال هؤلاء وفي التعبير بالحب إشارة إلى أنه لا يرتكب هذا الفعل مع شناعته إلا محب له، ولا يحبه إلا بعيد عن الاستقامة . انظر: أسرار التعبير القرآني في حديث الإفك " ص232، وإن ما يشهده عصرنا الحاضر من ثورة الاتصالات والمستجدات تحتم النظر في وجوب الحذر من تناقل الأخبار والتساهل في عرضها وتحويلها إلى حديث مجالس يتشهى به وبيترخص فيه.

(3) انظر: مع النظم القرآني في سورة النور، ص67-68.

والقلق تخيم على حياة الناس فتذهب بصفاء عيشتهم ولذته، وتهون في حس الإنسان بشاعة الفاحشة فيقدم عليها من كان يتحرج منها، ناهيك عن الآلام الفظيعة التي تصيب الحرائر الشريفات، والأحرار الشرفاء⁽¹⁾.

ومن أجل الوقوف في وجه هذه العاصفة الهوجاء تتوالى التأكيدات في هذه السورة على التحذير من القذف في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾⁽²⁾.

فرغم أن القذف حالة تعترى المجتمع ولا يسلم منها رجل أو امرأة إلا أن الآيات جاءت بذكر المؤمنات والتأكيد على التحذير من رميهن بالباطل من خلال تأكيد التهديد والوعيد الشديد وجزاء من يفعل ذلك وما ذلك إلا لضعف المرأة وشدة وطأة هذا الفعل عليها "لأن قذفهن أشنع وأنكر للنفوس وأقوى في الإيذاء لهن ولأزواجهن وأقربائهن، ولأنهن هوى الرجل فكان القذف فيهن أكثر"⁽³⁾.

فالآية تؤكد بهذا صيانة عرض المؤمنات وحمايته من الاعتداء وتلويث السمعة عن طريق الأداة (إن) التي تدل على تحقق الوعيد الشديد الذي ينال القاذف ويؤذن بطرده من رحمة الله وإبعاده عن مواطن إحسانه وإكرامه. وقد استدعى المقام هذا التوكيد بعد السباق الطويل الذي مضى عرضه في بيان أحكام القذف، وخطورة إشاعة الفاحشة والإيذان بعفو الله لمن أخطأ ثم تاب، فكانت الآية كالخاتمة التي تؤكد خطر هذه الجريمة، ولهذا تضافرت عناصر أخرى مكنت من توافر القوة والإبلاغ والتأثير استدعاها التهديد البليغ

(1) انظر: في ظلال القرآن، ج4، ص2490، 2491.

(2) سورة النور الآية: 23-25.

(3) فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط، 1997م)، ج4، ص7، وانظر:

البحر المحيط، ج6، ص431، ويؤيد هذا ما ورد في حديث السبع الموبقات حيث عدّ الرسول صلى

الله عليه وسلم قذف المحصنات الغافلات المؤمنات من السبع الموبقات . انظر: صحيح البخاري،

ج3، ص1017، حديث 2707.

في الآية، فالتعبير بالفعل المضارع (يرمون) يوحي باستحضار الصورة ويشير إلى أن القذف شأن المجرمين في كل حين في الزمن الماضي، والزمن الحاضر، وتكرار الظرف "يومئذ" يؤكد فظاعة ما يلحق بالقاذف من شر وعذاب فالكلمة توحى باستحضار الصورة وكأن العذاب ماثل أمام العين، وتتأكد هذه الصورة باجتماع القصر والتأكيد في قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ حيث أكد الكلام بـ "أن" وأتى بضمير الفصل وعرف الطرفين لإثبات مضمون الجملة وتأكيد فحواها⁽¹⁾.

واشتمال الآية على مثل هذه الأساليب استوقف الزمخشري فقال: "ونراه تعالى في هذه الآية قد أوجز في ذلك وأشبع، وفصل وأجمل، وأكد وكرر، وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الأوثان إلا ما هو دونه في الفظاعة وما ذلك: إلا لأمر..."⁽²⁾.

ومن صور التوكيد بـ (إنَّ) أنها تأتي في سياق الجملة المقررة لما قبلها كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَبِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِيَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁽³⁾.

فجملة: ﴿وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁽⁴⁾. جملة مستأنفة سيقت لتقرير النهي وتأكيد وجوب العمل به ببيان خلاص المكرهات عن عقوبة المكره عليه عبارة، ورجوع غائلة الإكراه إلى المكرهين إشارة، أي ومن يكرهن على ما ذكر من البغاء⁽⁵⁾.

وقد كان بعض السادة يصرون على إكراه الفتيات على البغاء⁽⁶⁾. وهي عادة شنيعة تذهب بكرامة المرأة، تتاجر بعرضها، وتعتدي على إنسانيتها،

(1) انظر: مع النظم القرآني في سورة النور، ص 84.

(2) الكشف، ج 3، ص 57.

(3) سورة النور الآية: 33.

(4) سورة النور الآية: 33.

(5) إرشاد العقل السليم، ج 6، ص 174، وانظر: فتح القدير، ج 4، ص 32.

(6) ورد في صحيح مسلم عن جابر أن جارية لعبد الله بن أبي سلول يقال لها مسيلة، وأخرى يقال لها أميمة، فكان يكرهما على الزنا فشكنا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله " ولا تكرهوا =

ولما كان هذا الإكراه أمراً خارجاً عن طاعة وإرادة المكره رفع الله الجزاء والعقاب عليه بقوله "ومن يكرهن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم" حيث جاءت الصيغة مؤكدة قصد تقوية الكلام، ومقام التوكيد هو جحود الجاحد وإنكاره والمقصد هو إزالة الشك وإبطال الجحود من فكر وعقل المنكر⁽¹⁾.

إن التنفير من الإكراه يلقي بظلاله في الآية من خلال تكرار صيغة الإكراه "ولا تكرهوا، ومن يكرهن، إكراههن : كما أن التقييد بالشرط في قوله "إن أردن تحصناً" مهد لهذا التنفير والتأكيد على التحذير فقد جاء دالاً على زيادة التنفير والتشجيع، "فها هي الأمة التي لها منزلة دون الحرائر تلوذ بعفاف النفس وسمو الطبع، وهاهو السيد الحر يقودها قسراً إلى ما تأباه النفس السوية، الصورة تعكس تفوق الأمة على ربها في شرف النفس وطهارة الضمير، وهذا مما يثير نخوة القوم ويلفتهم إلى ما نشب في نفوسهم من الخسائس فيبتعدون عنها"⁽²⁾.

وهذا مسلك من مسالك التربية والإبانة يضعه القرآن بين أيدينا وهو من هذا المنظور يصور ما نال الإمام من أسيادهن من الظلم والتعسف ويعكس البيان القرآني بهذا أيضاً ما أولاه الإسلام للموالي والعبيد من الحقوق، و كيف وقف ضد المتاجرة بالأعراض على حساب كرامة المرأة طلباً للغنى والمتاع الزائل؟، وحيث كان الإمام بنص الآية لا يملكن من الأمر شيئاً ويغالبن هذا الإكراه جاء دفع هذا الضرر عنهن بكل وضوح وتأکید.

ومن مقتضيات التوكيد بـ(إن) فيما يتصل بحقوق المرأة ما جاء من التأكيد على حق المرأة في مساواتها بالرجل في الأمور العبادية والكرامة الإنسانية، والتكاليف الشرعية، وأنه لا فرق بينهما إذا ما أحسنا صنعا، وهو

= فتياكم...."الآية، انظر: "صحيح مسلم" التفسير قوله تعالى: "ولا تكرهوا..." ج18، ص128، حديث رقم 7495.

(1) انظر: "الإعجاز البياني في القرآن الكريم" د.عمار ساسي، (الأردن عمان، جدار للكتاب العالمي، ط الأولى، 2007) ص509.

(2) "دلالات التراكيب"، ص260، 259، وانظر: "سبل الاستنباط من الكتاب والسنة دراسة بيانية ناقدة"، د. محمود توفيق سعد، (مصر: مطبعة الأمانة، 1413هـ-1992م)، ص289.

معنى يرد في القرآن الكريم في مواطن عدة ومن مواطنه التي جاءت مؤكدة بـ(إن) قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَنَفِظِينَ وَالْحَنَفِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾⁽¹⁾.

فالآية بعد الالتفات إلى سبب نزولها⁽²⁾ وسياقها في السورة "راعت الدواعي والمؤثرات التي كانت تتوارد على المؤمنات المتطلعات لذكرهن كما الرجال، فكان التوكيد بقصد تحقيق المخبر به وتقرير الوعد والاعتناء به، وتقوية مضمون الكلام، وتثبيته في نفوس الجماعة، وإغراء للمؤمنين والمؤمنات بالنهوض والإسراع في دائرة تحقيق متطلبات هذا الوعد . وسوق هذا الوعد في أسلوب خبري مؤكد جاء ليدفع شك من شك في هذا الحكم"⁽³⁾.

والآية في ضوء هذا التقرير والتأكيد: "ميزت المرأة وأبرزت مكانتها وأن لها ما للرجل من القرب والتساوي في جنب الله، والمساواة بين الرجال والنساء في هذا الميدان - أعني ميدان الجزاء - تؤكد أن الإسلام لم يهضم المرأة، ولم ينقص قدرها عن الرجل، وإنما المسلمون والمسلمات سواء في أشرف الميادين، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت مثل الرجال تماماً، أما ما في الإسلام من تحديد سلوك المرأة وميدان أعمالها فذلك راجع إلى ما يقتضيه تنظيم الحياة واختلاف الإمكانيات والقدرات وممارسات شؤون الحياة"⁽⁴⁾.

وحيث كان هذا الحكم يتطلب الوثوق به والتسليم له وإزالة التردد من نفوس المؤمنات خاصة تعددت الأوصاف لزيادة البيان نظراً لاختلاف أفهام الناس في ذلك وللإشعار أن ذلك حق في كل هذه الصفات حتى لا تتوهم النسوية في خصوص صفة واحدة، وهذا هو الداعي لذكر الرجال رغم أن

(1) سورة الأحزاب الآية: 35.

(2) "ورد في سبب النزول أن النساء شكون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الرجال دونهن في

القرآن فنزلت هذه الآية، انظر: لباب النقول في أسباب النزول، ص174.

(3) انظر: من أسرار التعبير القرآني دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، ص320.

(4) انظر: المرجع السابق، ص300-320.

المقصود من أصحاب هذه الأوصاف المذكورة النساء إشارة إلى مبدأ المساواة⁽¹⁾.

ومن الآيات التي تؤكد أيضاً أن حظوظ النساء في الدين مساوية لحظوظ الرجال ما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَبُوا اللَّهَ قَرَضًا حَسَنًا يُضَعَّفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾⁽²⁾.

فالآية تؤكد أنهم "مقرونون في الثواب والمنزلة"⁽³⁾.

وإحسان المرأة والتأكيد على قدرتها في التميز نلمحه أيضاً في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾⁽⁴⁾.

فالتأكيد هنا للاهتمام بهذا الأمر وبيان أن الجزاء والأجر العظيم لأمهات المؤمنين كان بسبب إحسانهن وبمقابلة صالح عملهن، وأن هذا الشرف والمزية إنما تكون لملازمتهن التقوى لا لمجرد اتصالهن بالنبي صلى الله عليه وسلم، ولهذا لم يقل: (أعد لكن) لأنه جعل مناط الوعد على الإحسان والعمل النافع⁽⁵⁾. وفي هذا رفعة لمنزلتهن وقدرهن.

ومن اللافت هنا وقد جاءت هذه الآية في معرض التخيير⁽⁶⁾ الذي أمر الله الله به رسوله صلى الله عليه وسلم حيث أمره أن يخير نساءه بين إرادة الدنيا وإرادة الآخرة - من اللافت تجريد الشرطية الأولى من الوعيد: ﴿إِنْ كُنْتُن تَرْدُنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنْتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمْتَعْنَ وَأَسْرَحْنَ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ واشتمال الشرطية الثانية على الوعد: ﴿إِنْ كُنْتُن تَرْدُنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. وفي هذا كما يقول

(1) انظر: التحرير والتنوير، ج22، ص21.

(2) سورة الحديد الآية : 18.

(3) روح المعاني، ج28، ص5.

(4) سورة الأحزاب: جزء من الآية 29.

(5) انظر: فتح القدير، ج4، ص275، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ: عبد الرحمن

السعدي، تصحيح: محمد البسام، (جدة: مطبعة المدنى، 1408هـ، 1998م) ج4، ص148. وانظر:

من أسرار التعبير القرآني دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، ص250.

(6) انظر: في تفصيل هذا التخيير: صحيح البخاري، ج4، ص1796، حديث 4668.

أبو السعود إشارة " للمبالغة في تحقيق معنى التخيير والاحترار عن شائبة الإكراه" (1).

وكل هذا يؤكد لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم حرية الاختيار ويدفع عنهن كل خاطر من خواطر الإغراء أو التهديد أو الإرغام (2).

ويؤكد من وجه آخر احترام الإسلام لشخصية المرأة في أعلى مقام لها تمثله أمهات المؤمنين، فالإسلام لم يكبت دواعي الفطرة المغروسة من الرغبة في متاع الدنيا، وإنما أتاح لها أن تتهذب، وأن تأخذ مسارها الصحيح، فلم يكن الزواج بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو نعمة عظيمة وشرف لا يقدر لم يكن ذلك ليقف حاجزا لأزواجه عليه السلام أن يفصح عن ش عور الفطرة والتطلع بداخلهن نحو الرغبة في شيء من متاع الدنيا ومراجعة زوجهن في الحياة، وحين جاء أمر الله أثبتن رضوان الله عليهن مغالبتهن لحاجات النفس والارتفاع إلى الأفق السامي الوضيء المبرأ من كل ظل لهذه الدنيا وأوشابها (3).

ومن ملامح مسالك التوكيد بالأداة في الآيات المتعلقة بحقوق المرأة أن عناصر التوكيد تزداد وتتكاثر حين يتعلق الأمر بعبادة قبيحة في التعامل مع المرأة تتطلب شدة الإنكار والتوبيخ يتجلى ذلك واضحاً في آيات الظهار في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدَتْهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ﴾ (4).

فقد اقتضى المقام هذه المؤكدات (إِنَّ والجمللة الاسمية، واللام)، في قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ﴾، لتحقيق مضمونه وتأكيد مخالفته للشرع، وما ذلك إلا لأن القوم اعتادوا على الظهار وألفوه ولم يروا فيه عيباً أو بأساً فكان الرجل في الجاهلية يغضب لأمر من امرأته فيقول: أنت علي كظهر أمي، فتحرم عليه، ولا تطلق منه، وتبقى هكذا لا هي حل له فتقوم بينهما الصلات الزوجية، ولا

(1) انظر: إرشاد العقل السليم، ج7، ص101، وانظر: روح المعاني، ج22، ص93.

(2) انظر: من أسرار التعبير القرآني، ص249.

(3) انظر: في ظلال القرآن الكريم، ج5، ص2854، 2856.

(4) سورة المجادلة الآية: 2.

هي مطلقة منه فتخير لها طريقاً آخر، وكان هذا طرفاً من العنت الذي تلاقيه المرأة في الجاهلية⁽¹⁾.

وحين كان حالهم كذلك نزلوا منزلة من يتردد في كون الظهار منكراً وزوراً فسلكت الآية هذا المسلك من المؤكدات لتدل على قوة الاستتكار لهذا السلوك الذي يهضم المرأة حقها، ويذهب بكرامتها، فمناط التوكيد ليس صدور القول عنهم، فإنه أمر محقق بل كونه منكراً أي عند الشرع وعند العقل والطبع أيضاً لما فيه من إلحاق الأذى والضرر بالزوجة من حيث إلحاقها بالأمر وذلك مناف لمقتضى الزوجية⁽²⁾.

تلك مواطن أخذ فيها التأكيد بـ (إن) ناصية البيان في تقرير حقوق المرأة، وجاء التأكيد حاملاً معه ما يكشف عن أحوال القوم وما يستدعيه مقام خطابهم من مسالك التأكيد لتأخذ أحكام الله طريقها إلى سويداء قلوبهم فيؤمنوا بها ويسلموا لها تسليماً مطلقاً.

(2) التأكيد بـ (قد):

من الأدوات التي كان لها حضور في آيات حقوق المرأة وجاء التأكيد بها ليفيد تحقيق ما دخلت عليه، والتحقيق تأكيد كما سبق والآيات التي اشتملت عليها هي ما يأتي: في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تَمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ...﴾⁽³⁾.

"فقد كان من عادة العرب عدم الاكترات بأمر النساء والاعتقال بأمر شأنهن، وكن عندهم أقل من أن يكون لهن أمر وحق على الزوج، فأنزل الله فيهن ما أنزل من الأحكام وحد حدوداً لا تتعدى وأخبرهم أن من خالف فهو ظالم متعد"⁽⁴⁾.

(1) انظر: البحر المحيط، ج8، ص229، التحرير والتنوير، ج28، ص9، في ظلال القرآن، ج6، ص3505.

(2) انظر في هذا: إرشاد العقل السليم، ج8، ص216، التحرير والتنوير، ج28، ص13، روح المعاني

ج28، ص36، الظلال، ج6، ص3506.

(3) سورة البقرة الآية: 231.

(4) انظر: البحر المحيط، ج2، ص205.

وجاء تأكيد الظلم بـ (قد) أي فقد تحقق ظلمه لنفسه " فإمسك النساء على سبيل المضارة، وتطويل عدتهن إنما وبال ذلك في الحقيقة على نفسه حيث ارتكب ما نهى الله عنه "(1)، وتكرر الاعتماد على هذا المسلك في التحذير من تجاوز الحدود في قوله تعالى في سورة الطلاق: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا تَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ (2).

فلما ذكر الله أحكام الطلاق وبين حقوق المرأة فيها ذيل الكلام بجملة الشرط هنا، ورتب الجزاء على تجاوز هذه الأحكام بقوله: ﴿ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه﴾ أي فقد تحقق ظلمه لنفسه، وهذا مبني على علم الله تعالى بأن من القوم من لا يلتزم بهذه الأحكام والحدود استخفافاً وازدراء بها على حد أنها أحكام لا تتجاوز هذا المعنى، فأراد سبحانه أن يبعد هذا الزعم، وأن يؤكد ويبين أنها ليست أحكاماً فقط، إنما هي فوق ذلك حدود الله، والمقصد من وراء ذلك تأكيد الالتزام بالأحكام حتى ينتفي الظلم، ومن وراء ذلك نلمح زجراً وتحذيراً من مغبة الوقوع في أمر الطلاق لأنفه الأسباب والتأكيد على اتقائه من خلال التأكيد على سرعة حصول الجزاء من غير توان "فقد ظلم نفسه" (3).

وقد مهد وهياً لبلاغة هذا التوكيد ما سبقه من الإظهار في موضع الإضمار وتكرار لفظ الجلالة "تلك حدود الله، ومن يتعد حدود الله". فكل ذلك أسهم في تقوية المعنى وتقرير استشعار الرهبة والمراقبة لله، وهي ظاهرة ملموسة في الأحكام التي تتناول قضايا المرأة وحقوقها وكأن المقصود من وراء ذلك تكوين أرضية طاهرة للقبول والتسليم.

(1) المصدر السابق، ج 1، ص 219.

(2) الآية : 1.

(3) انظر: الإعجاز البياني في القرآن الكريم، ص 597-598.

ومن ذلك أيضاً أن (قد) تأتي في صدر الجملة الحالية لتزيد من تأكيد ما دخلت عليه قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ..﴾⁽¹⁾.

جاءت هذه الآية في سياق أحكام النكاح وما يلزم من صداق الزوج على زوجها، وهي تخاطب الأزواج في حال طلاق الزوجة قبل الدخول بها وقد تم فرض المهر لها فبينت الآية الواجب لها في مثل هذه الحالة.

وما تتناوله الدراسة هنا هو تقرير حق الزوجة في هذا المهر المفروض من الله تعالى حيث أكدته الآية بدخول قد على "فرضتم" في صدر الجملة الحالية" وقد فرضتم لهن فريضة" فالتأكيد بـ(قد) هنا ذو أثر بالغ في تقرير المعنى وبه يظهر حق المرأة في المهر الذي يفرض لها عند العقد⁽²⁾.

وقد زاده التعبير بفرضتم، والجناس بينها وبين فريضة قوة في البيان والتحقيق والإلزام حتى لا يتهاون الرجل في هذه الأحكام⁽³⁾.

وهذا الحق المفروض عند العقد جاء اعتباره مفهوماً من قوله: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ فإذا لم يتم هذا الزواج فالحق المفروض هو نصف ما فرض للمرأة، وجاء التعبير عنه بهذه الصياغة: " فنصف ما فرضتم" المبنية على حذف الخبر مقدماً على المبتدأ، وفي ذلك تخصيص وتأكيد ودلالة على الإلزام⁽⁴⁾.

وإذا كان النصف حقاً لازماً فقد ثبت به الحق الكامل في عقد الزواج وفي سبيل تقرير هذا الحق يأتي الاستثناء حاملاً معه زيادة التأكيد: ﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ حيث لا يعفو إلا من يملك حقاً⁽⁵⁾.

(1) سورة البقرة الآية: 237.

(2) التفسير الكبير للرازي، ج 6، ص 479.

(3) انظر: "من البلاغة القرآنية في آيات أحكام النساء"، ص 82.

(4) انظر: البحر المحيط، ج 2، ص 234، التبيان في إعراب القرآن " العكبري: عبد الله به الحسين،

تحقيق: سعد الفقي، (دار اليقين، ط الأولى، 1422هـ-2001م)، ص 142، ويجوز أن يكون نصف

"خبراً" والتقدير فالواجب نصف ما فرضتم، انظر: المصدرين السابقين.

(5) انظر: البحر المحيط، ج 2، ص 235، التحرير والتنوير، ج 2، ص 463.

وفي تقديم عفو الزوجات : "إلهاب للزوجة لأنها صاحبة الحق وصاحب الحق يكون أكثر استمساكاً وإصراراً عليه، ولاسيما حين يكون ضعيفاً أو يستشعر الظلم من الآخر، وذلك شأنها"⁽¹⁾.

وهذا الحق إنما فرض للزوجة لما نالها من الضرر من الطلاق بعد معرفتها ودخول بيتها، فكان هذا الحق من قبيل جبر خاطر وتخفيف وطأة هذا الضرر، ولهذا جاء التعبير بـ (إن طلقتموهن) لتشعر أن هذا العمل ينبغي أن يكون من القليل النادر⁽²⁾.

وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَبْدُلُوا زَوْجَ مَكَانِ زَوْجٍ وَأَنْتُمْ أَحَدٌ مِنْهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَنْتُمْ أَخَذْتُمْ وَأَنْتُمْ مُبِينَاتٌ ﴾ وكيف تأخذونه، وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذت منكم ميثاقاً غليظاً⁽³⁾. فالجملة الحالية جاءت "مفيدة لتأكيد النكير وتقرير الاستبعاد"⁽⁴⁾. وأن ما نهى الله عنه يجب أن يبتعد عنه على أي حال أو في أي حال، وقد صدرت بـ (قد) "وقد أفضى بعضكم إلى بعض" لتؤكد بشاعة أخذ شيء من مهر الزوجة المدفوع عند تقرير طلاقها بعد تحقق الإفضاء بين الزوجين.

والمقتضى البلاغي للتوكيد هنا هو التنفير من هذا الفعل القبيح ووعظ من الله تعالى لعباده بذكر المودة التي بين الزوجين والموجبة لحياطة مال المرأة"⁽⁵⁾.

فالحال الذي أكدته (قد) مناف لأخذ شيء من هذا المهر⁽⁶⁾.

(1) انظر: سبل الاستنباط، ص124.

(2) انظر: المرجع السابق" ص124، ومن البلاغة القرآنية في آيات أحكام النساء ، ص82.

(3) سورة النساء الآية:20، 21.

(4) إرشاد العقل السليم، ج2، ص154.

(5) المحرر الوجيز، ج2، ص30.

(6) انظر: إرشاد العقل السليم، ج2، ص159.

والإفشاء الذي تحققه (قد) هنا كناية عما يكون بين الزوجين من المباشرة⁽¹⁾. لكن مجيء الفعل (أفضى) بلا مفعول محدد يدع اللفظ مطلقاً يشع بكل معانيه ويلقي كل ظلاله، ويسكب كل إحياءاته، ولا يقف عند حدود الجسد وإفشاءاته بل يشمل العواطف والمشاعر، والوجدانات والتصورات والأسرار والهموم، والتجاوب بكل صورة من صور التجاوب، في كل اختلاجه حب إفشاء، وفي كل نظرة ود إفشاء، وفي كل لمسة جسم إفشاء، كل هذا الحشد من التصورات والظلال والأنداء والمشاعر والعواطف رسمه ذلك التعبير الموحى العجيب وقد أفضى بعضكم إلى بعض⁽²⁾.

ولهذا كان التأكيد على هذا القرب وهذه العلاقة بين الزوجين والتنكير بها يفرض خلقاً وسلوكاً يرتفع بالمرء عن هذا الأخذ" ويتضاءل إلى جوار هذا المعنى الرفيع ذلك المعنى المادي الصغير ويخجل الرجل أن يطلب بعض ما دفع وهو يستعرض في خياله وفي وجدانه ذلك الحشد من صور الماضي⁽³⁾.

ولأجل هذا التصور وما يوقعه من أثر في النفس سبق بالاستفهام الإنكاري (أتأخذونه) وكيف تأخذونه تعجبا من استرداد هذا المهر بعد المعاشرة التي بذلت المرأة فيها نفسها لذات الرجل وتمتعه وحصلت الألفة التامة والمودة الكاملة والامتزاج والعهد المتين، فيكيف يليق بالعاقل أن يسترد منها شيئاً بذله لها بطيبة نفسه إن هذا ليس من المروءة ولا يليق البتة ممن له طبع سليم وذوق مستقيم⁽⁴⁾.

ويرى الشيخ رشيد رضا أن التعبير بقوله: " بعضكم إلى بعض " دون أفضيتم إليهن، أو أفضى أحدكم إلى الآخر فيه إشارة إلى "كون كل واحد من

(1) انظر: تحرير التخيير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الإصبع المصري، تحقيق: د. حفني محمد شرف (الجمهورية العربية المتحدة: لجنة إحياء التراث، ب. ط. ب. ت.)، ص 143.

(2) في ظلال القرآن، ج 1، ص 600، 601.

(3) المرجع السابق.

(4) انظر: الرازي، ج 10، ص 17، التحرير والتنوير، ج 4، ص 290.

الزوجين بمنزلة جزء الآخر وبعضه المتمم لوجوده فكأن بعض الحقيقة كان منفصلاً عن بعضها الآخر فوصل إليها بهذا الإفضاء واتحد به⁽¹⁾.

من مواضع (قد) في هذه الآيات قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾⁽²⁾.

فهذه الآية كما يذكر المفسرون نزلت في بعض العرب الذين كانوا يبحرون البحائر ويسيبون السوائب ويئدون البنات ويدفنونهن أحياء مخافة السبي والفقير⁽³⁾.

ويأتي تحقيق الفعل بـ(قد) للتنبية على أن خسرانهم أمر ثابت، ويفيد التحقيق التعجب منهم كيف عموا عما هم فيه من الخسران وقد تحقق لهم الخسران لما في عملهم من الاعتداء على حق البنت الذي جعله الله لها، وهو حق الحياة إلى انقضاء الأجل المقدر لها . وهو حق فطري لا يملكه الأب، والاعتداء عليه ظلم بين أرادوا به أن يربحوا شيئاً من أوهام عقولهم من حيث

(1) تفسير المنار، محمد رشيد رضا (مصر: مطبعة المنار، ب. ط، 1325هـ)، ج 4، ص 460. وهذا المعنى الذي يشير إليه الشيخ هنا يسري في قوله تعالى: ﴿اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ فالأمر بالسكنى في النظم الكريم موجه إلى آدم عليه السلام اسكن أنت " كما أنه موجه كذلك إلى زوجته إذ المعنى " اسكن أنت ولتسكن معك زوجك كذلك، ولكن القرآن لم يكرر الفعل مرة أخرى ليعتد بزواجه، وإنما عدل عن ذلك ومثله إلى قوله: ﴿اسكن أنت وزوجك﴾ للدلالة على أن السكنى الحقة للرجل لا تتم إلا في وجود المرأة، وليسرت أي امرأة، ولكنها زوجة، فهو بمفرده لا يكون سكنه سكناً وهي بمفردها لا يكون سكنها سكناً، وإنما هما معاً يكونان المجموع الذي يكون به السكن ومعه السكنى، وبذلك فهي لا تحتاج إلى فعل مستقل بالسكنى لأنها تسكن معه وبه، وهو يسكن معها وبها؛ فالفعل الواحد شملهما على هذا الوجه من الاحتياج الفطري لبعضهما إلى بعض "، انظر: "حواء أم البشرية كما تصورها البلاغة القرآنية" خالد السيد بلاسي. (المجلة العربية: عدد 194، ربيع الأول، 1414هـ - سبتمبر 1993م)، ص 98.

(2) سورة الأنعام الآية: 140.

(3) انظر: جامع البيان، ج 8، ص 39، الجامع لأحكام القرآن، ج 7، ص 64، معالم التنزيل، البغوي، تحقيق: خالد عبد الرحمن، مروان سوار، (بيروت: دار المعرفة، ط الخامسة، 1423هـ - 2006م)، ج 2، ص 135.

دفع ضرر السبي والفقر فخرسوا وخسروا كبيرة وضلوا ضلالاً مبيناً بفوات الفوائد العظيمة من النسل⁽¹⁾.

وتأخذ الآية طابع التأكيد على هذا الخسران من خلال الحال "سفها" فهي تؤكد المعنى فقتل الأولاد لا يكون إلا ظلماً وسفهاً، وتقييده بقوله: ﴿بغير علم﴾ تأكيد على تأكيد فقتلهم مبني على الطيش والسفه وليس فيه حجة عقلية أو شرعية.

وهكذا أيضاً تأتي جملة: ﴿وما كانوا مهتدين﴾ لتؤكد مضمون جملة ﴿قد ضلوا﴾ فمضمون هذه الجملة يلزم منه نفي ضد الجملة الأولى فيؤول إلى تقرير معناها وهذا كقوله تعالى: ﴿وأضل فرعون قومه وما هدى﴾⁽²⁾، ومضى في صدر البحث أن ابن الأثير يعد هذا من أنواع التكرار وأنه يرد لتثبيت الأمر في نفس المخاطب⁽³⁾، وكذلك سماه الرازي الجمع بين الشيء وضده وهي طريقة تدل على غاية التأكيد⁽⁴⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾⁽⁵⁾.

جاء التأكيد فيها: "على حرمة المؤمنين والمؤمنات"⁽⁶⁾، بتحقيق عظم هذا الأمر وشدة عقوبة من ألحق الأذى بهم.

وجاء ذكر المؤمنات وإن كان ذلك معلوماً من الشريعة للتصريح بمساواة الحكم، ولأن جانب المؤمنات ضعيف بخلاف الرجال فقد يزعمهم عنهم انتقاء غضبهم وتأثرهم لأنفسهم⁽⁷⁾.

(1) انظر: التحرير والتنوير، ج8، ص114.

(2) انظر: المصدر السابق، ص116.

(3) انظر: ص108، من البحث.

(4) التفسير الكبير، ج18، ص41.

(5) سورة الأحزاب الآية: 58.

(6) روح المعاني، ج22، ص50.

(7) انظر: التحرير والتنوير، ج22، ص105.

وجاءت قد في صدر الجملة الابتدائية في قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (1).
 افتتحت هذه الآيات (2) بـ "بالتنويه بالمرأة التي وجهت شكواها إلى الله تعالى بأنها لم تقصر في طلب العدل في حقها وحق بنيتها، ولم ترض بالضميم الذي نالها، وفي ذلك تعليم لنساء الأمة الإسلامية ورجالها واجب الذود عن مصالحتهم" (3).

وقد هنا معناه التوقع يقول الزمخشري: "قد معناه التوقع لأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والمجادلة كانا يتوقعان أن يسمع الله مجادلتها وشكواهما، وينزل في ذلك ما يفرج عنهما" (4).

وهذا المعنى لـ "قد" لا يمنع من ورود المعنى الأصلي لهذا الحرف وهو تحقيق الخبر، وهو معنى يراه (الرضي) قائماً فيها يقول: "هذا الحرف إذا دخل على الماضي أو المضارع فلا بد فيه من معنى التحقيق ثم إنه يضاف في بعض المواضع إلى هذا المعنى في الماضي التقريب من الحال مع التوقع" (5).

فهذا الحرف جاء هنا: "تصديقاً أو تأكيداً لخبر أو لفعل منتظر الوقوع لأن المرأة كانت تتوقع إجابة الله لدعائها" (6).

وبناء على هذا يرى ابن عاشور أن: "معنى التوقع الذي يؤذن به حرف (قد) في مثل هذا يؤول إلى تنزيل الذي يتوقع حصول أمر لشدة استشرافه له منزلة المتردد الطالب بتحقيق الخبر من تخريج الكلام على خلاف مقتضى

(1) سورة المجادلة الآية: 1.

(2) جاء في سبب نزولها أن خولة بنت ثعلبة التي ظاهر منها زوجها على عادة أهل الجاهلية في تحريم الزوجة بالظهار جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تشتكي ظلم زوجها، فأنزل الله هذه الآيات. انظر: لباب النقول في أسباب النزول، ص 206.

(3) التحرير والتنوير، ج 28، ص 7.

(4) الكشف، ج 4، ص 70.

(5) شرح الرضي على الكافية، ج 4، ص 444، 445.

(6) أساليب التوكيد في العربية، ص 257.

الظاهر لنكتة كما قالوا في تأكيد الخبر بـ (إنّ) في قوله تعالى: ﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون﴾ إنه جعل غير السائل كالسائل حيث قدم إليه ما يلوح إليه بالخبر فيستشرف له استشراف الطالب المتردد⁽¹⁾.

إن الغرض من تأكيد تحقيق سماع الله لشكوى هذه المرأة هو الاعتناء بخبر التحاور والتتويه به وتعظيم منزلته وهذا يفيد بتأسيس حق التساؤل والتشاكّي والتعبير عن وجهة النظر فـ "الإخبار بسماع الله سبحانه وتعالى شكاة هذه المرأة ليس مراداً به مجرد العلم بمضمونه، والله سبحانه يسمع كل ما تنطق به الألسنة، وتهمس به الخواطر، وتوسوس به النفوس، بل المراد بهذا الخبر -والله أعلم- هو التتويه بشأن هذه المرأة، ورد اعتبارها إليها عند نفسها كإنسان كرمه الله، وبعث إليه رسله بآياته وكلماته، وذلك بعد أن وجدت وجودها يكاد يضيع بيد زوجها الذي استخف بها، وعرضها لهذا الضياع"⁽²⁾. وكل هذا يوضح بجلاء: "احترام الشريعة الإسلامية للإنسان وإعطاءه حقه الكامل في استعمال عقله ومراجعة غيره فيما يعرض له من قضايا الحياة"⁽³⁾. فالإسلام أعطى هنا بكل وضوح للمرأة رأياً ونظر إليها على أنها إنسانة صاحبة رأي يعتد به طالما له وجاهته وقيمتها مثلما يعتد برأي الرجل إذا توفرت له شروط الوجاهة والقيمة⁽⁴⁾.

وفي سبيل تأسيس هذا الحق والدلالة عليه نرى كيف طوى السياق اسم المرأة وزوجها، ولم يلتفت إلى التصريح بهما رغم أن الحدث وقع بين امرأة بعينها ورجل بعينه إلا أنه عدل عن التصريح إلى الاسم الموصول "التي تجادلك في زوجها" لأن ذكر الاسم هنا لا ضرورة له، لأن الحدث وإن تعلق بهذين الزوجين ينسحب إلى كل زوجين ويسعى إلى تقرير المبادئ التي تحكم

(1) انظر: التحرير والتتويه، ج28، ص8.

(2) "التفسير القرآني للقرآن"، عبد الكريم الخطيب، (دار الفكر العربي، ب. ط، ب.ت)، ج8، ص812.

(3) المرجع السابق.

(4) انظر: وليس الذكر كالأنتى، دراسة من منظور الإسلام والعلوم الحديثة، محمد عثمان الخشت،

(القاهرة: مكتبة القرآن، ب. ط. 1405هـ-1985م)، ص93.

الصلة بين الزوج والزوجة أو الرجل والمرأة وفي هذا حض على المحاورة والمجادلة في سبيل الوصول إلى الحق⁽¹⁾.

يقول سيد قطب: "هذا هو الشأن الذي أنزل الله فيه حكمه من فوق سبع سماوات ليعطي هذه المرأة حقها، ويريح بالها وبال زوجها، ويرسم للمسلمين الطريق في مثل هذه المشكلة العائلية اليومية، هكذا نشهد عناية الله بهذا الشأن لأسرة صغيرة فقيرة مغمورة لتقرر حكم الله في قضيتها"⁽²⁾.

إن قراءة هذه الآيات، وإدراك مرامي دلالاتها يثير في النفس شأن الحياة الزوجية وقيمتها وأنها ليست لعبث العابثين، وإنما ميثاق غليظ، وعهد وثيق، ولهذا جاءت آيات الظهار "واضحة في تراكيبها وتفصيلها، وفي قوة أساليب الردع فيها، وفي خلوها من الصور الفنية، ودقتها في البيان، وروعيتها في التأثير"⁽³⁾.

ومن مظاهر ذلك ما نلاحظه هنا من تكرار اسم الجلالة وإظهاره في موضع الإضمار ثلاث مرات في آية واحدة "وتشتكي إلى الله، والله يسمع، إن الله سميع بصير"، فكان مقتضى الظاهر أن يقال (وتشتكي إلى الله، وهو يسمع، وهو سميع) ولكنه وضع الظاهر بدلاً من الضمير وصرح بلفظ الجلالة تعظيماً وتتميماً لتربية المهابة وإعطاء هذه الحياة شأنها، وأنها موصولة بخالق هذا الكون.

ويضاف إلى هذا ما يشعر به لفظ "تحاوركما" من تشريف عظيم للمرأة ورفع مكانتها في الجمع بين النبي الكريم وبينها، ونظمها في سلك الخطاب⁽⁴⁾، وما ختمت به الآية يزيد أيضاً من الاعتناء بهذا الأمر فجملة "إن الله سميع بصير" جاءت مؤكدة بـ (إن) واسمية الجملة وصيغة المبالغة، وهذا التأكيد تعليل لما قبله بطريق التحقيق تأكيداً لعلمه عز وجل لما كان من أمر المجادلة

(1) انظر: التفسير القرآني للقرآن، ج28، ص809.

(2) "في ظلال القرآن" ج6، ص3505.

(3) انظر: "الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم"، نذير حمدان (جدة، دار المنارة، ط الأولى، 1412هـ -

1991م). ص106.

(4) انظر: إرشاد العقل السليم، ج8، ص215.

وتضرعها إليه، وكان هذه المحاورة قد كان فيها خرق للعادة فأكد الخبر تنبيهها على شدة غرابته، ولأنه ربما قد استبعده من اشتد جهله⁽¹⁾.

إن العناية بشأن هذه المرأة ولد حساً شعورياً قوياً تجاه احترام المرأة وتقديرها في زمن الكرام الأوائل⁽²⁾.

3- أدوات أخرى:

من هذه الأدوات لام التوكيد، وقد وردت هذه اللام في القرآن الكريم على طرق مختلفة، وطرائق متعددة سبق ذكر شيء منها⁽³⁾، ولم أجد لها موضعاً في هذه الآيات فيما وقفت عليه إلا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُوْمِنَ ۚ وَلَا أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُوْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۗ وَبَيِّنَآءِ يَتَذَكَّرُونَ﴾⁽⁴⁾.

جاءت هذه الآية في النهي عن نكاح المسلم المرأة المشركة، والنهي من تزويج المسلمة الرجل المشرك، وجاء تعليل النهي عن ذلك في قوله ﴿وَأُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾، وفي قوله ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾. وقد صدر هذا التعليل بـ(لام الابتداء) الشبيهة بلام القسم في إفادة التأكيد مبالغة في الحمل على الإنزجار⁽⁵⁾.

والآية بهذا التعليل أكدت خيرية الأمة المؤمنة، وخيرية العبد المؤمن وأعطت للمرأة حقاً وذكراً في الاعتبار، فكما منعت تزوج المشركة منعت

(1) انظر: المصدر السابق، وانظر: نظم الدرر، ج7، ص475.

(2) ذكر ابن كثير وغيره أن عمر بن الخطاب لقيته خولة بنت ثعلبة، وهو يسير مع الناس . فاستوقفته فوقف لها ودنا منها وأصغى إليها، ووضع يديه على منكبيها حتى قضت حاجتها وانصرفت، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين حبست رجالات قريش على هذه العجوز؟ ! قال: ويحك أو تدري من هذه؟ قال: لا. قال: هذه امرأة سمع الله شكاها فوق سبع سموات، هذه خولة بنت ثعلبة، والله لو لم تتصرف عني إلى الليل ما انصرفت عنها حتى تنقضي حاجتها إلى أن تحضر الصلاة فأصليها، ثم أرجع إليها حتى تنقضي حاجتها" انظر: تفسير القرآن العظيم، ج4، ص66، روح المعاني، ج28، ص33.

(3) انظر: ص25، 61، 90، من هذا البحث.

(4) سورة البقرة الآية: 221.

(5) انظر: إرشاد العقل السليم، ج1، ص221.

كذلك تزويج المشرك؛ لإظهار أهمية الكفاءة بين الزوجين ومن وجه آخر يأتي التأكيد على خيرية الأمة المؤمنة ليعكس إدراك الشريعة لمكانة المرأة في بناء الأسرة وتكوينها على أساس أخلاقي متين.

إن المسلمة حتى لو كانت أمة غير حرة فإن الإسلام يرفعها بإسلامها عن المشركة ذات الحسب والنسب ويقدر لها مكانتها، ذلك أنها المسؤولة الأولى عن تربية الأولاد والتأثير فيهم، وتكوين قيمهم وأخلاقهم، وهذا أمر لا يتحقق وجوده في ظل أم مشركة حيث يكون أولادها عرضة للانحراف عن منهج الحق وبالتالي الوقوع في الشرك والضلال ويكونون عالة على المجتمع والأمة وللتأكيد على هذه الحقيقة جاءت (لو) في قوله: "ولو أعجبتكم" لتزيد من نبرة التأكيد لأن الأهواء قد تتحكم في صاحبها وتحمله إلى طريق غير سوي. وفي سبيل تأكيد هذا الأمر والاعتناء به والحض عليه يأتي تكرار التعبير بالإيمان في الآية ليؤكد أن المنهج الإيماني هو سبيل بناء الأسرة في لبناتها الأولى على نهج قويم بعيداً عن الأهواء والنزعات التي تفسد الحياة الأسرية وتفسد ينبوع النسل فيها، ومن أجل ذلك شرط ألا ينكح مؤمن مشركة⁽¹⁾. وكل هذا يعمق حرص الإسلام على صلاح الأسرة وبنائها على أساس متين تشترك فيه المرأة مع الرجل في توطيد أركان هذا البناء وإعمار الأرض بالخير والنماء.

ومن أدوات التوكيد "الن"، وقد سبق بيان ما يراه بعض النحاة والبلاغيين من بلاغة التأكيد بهذا الحرف، وأنه أكد في الدلالة على النفي من (لا النافية) فكما تفيد السين تأكيد إثبات الفعل فإن "الن" تؤكد نفي الفعل⁽²⁾. ومن الآيات التي وقفت، عليها متضمنة التأكيد بهذه الأداة وجارية على هذه السبيل. قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾⁽³⁾.

(1) انظر: "تفسير الشعراوي"، (الأزهر: مجمع البحوث الإسلامية، ب. ط، ب. ت)، ج2، ص975، 976.

(2) انظر مغني اللبيب، ج1، ص284، وانظر: "ص34، 96، من البحث، .

(3) سورة النساء الآية: 129.

فقد أكدت (لن) نفي استطاعة العدل على الدوام وأن العدل على الوجه الكامل من المستحيل⁽¹⁾.

والمبالغة في النفي التي أفادتها (لن) جاءت بهذا التأكيد لأن أمر النساء يغالب النفس البشرية لدى الرجال، وقد جعل الله حسن المرأة وخلقها مؤثراً، فنفاوتهن في ذلك سبب في تفاوت محبة الزوج، ولو كان حريصاً على إظهار العدل بينهما لأن ذلك فوق الطاقة⁽²⁾.

إن المقتضى البلاغي للتأكيد بهذا الحرف هنا هو تقرير هذه الحقيقة لدفع الرجال لمقاربة العدل والحرص عليه فيما عدا ذلك، وهو أسلوب يؤكد وجوب تحرك المسلم نحو اتقاء الظلم والجور في العدل بين الزوجات.

وجاءت "لو" لتزيد التأكيد على هذه الحقيقة "ولو حرصتم" هكذا على سبيل الاستقصاء ولبيان عموم الأحوال في عجز الإنسان في العدل التام المطلق في الأفعال والأقوال والمحبة والجماع⁽³⁾.

إن التشريع الرباني يلامس هنا واقع النفس البشرية، وما يطرأ عليها من ملبسات، فإباحة التعدد تستوجب الحرص على العدل فيما يتعلق بقدره الإنسان، فإذا كان العدل في أعمال القلوب وما يتصل بها من المشاعر والأحاسيس وميل الطبع أمراً غير مستطاع وخارجاً عن الإرادة البشرية فإن التقصير فيما سواه وفيما يخضع لدائرة نفوذ الإنسان كالتسوية بينهما في النفقة والملبس والمبيت وحسن المعاشرة والمسكن وغير ذلك التقصير في هذا أمر لا يرضاه الله ولا تقره الشريعة⁽⁴⁾.

(1) يؤيد هذا ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنه كان يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول: "اللهم

هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك". انظر: سنن أبو داود، باب القسم بين النساء،

ج6، ص171، رقم الحديث، 2138.

(2) انظر: التحرير والنوير، ج3، ص218.

(3) انظر: المحرر الوجيز، ج2، ص120.

(4) انظر: قضايا المرأة في سورة النساء، د. محمد يوسف عيد، (الكويت: دار الدعوة، ط الأولى،

1405هـ - 1985م)، ص67.

ومن أدوات التوكيد (ألا الاستفتاحية)، فأغلب المشتغلين بال نحو كما سبق يرون أنها أداة تنبيه مركبة في الأصل من همزة الاستفهام ولا النافية لإفادة توكيد مضمون الجملة⁽¹⁾.

ولم أجد من الآيات التي يتحقق فيها هذا إلا قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾⁽²⁾.

فالقرآن الكريم هنا يقبح من أهل الجاهلية نظرتهن إلى المرأة نظرة تحقير وازدراء، ويؤنبهن على هذه التفارقة التي يفرقون بها بين الرجل والمرأة. لقد صور الله شناعة فعلهم وتهكم بعقولهم مؤكداً سوءها وسوء ما كانوا يفعلونه من احتقار ووأد للبنات بقوله: "ألا ساء ما يحكمون".

فـ(ألا التنبيهية) التي تنبئ بخطورة ما بعدها أفادت تحقيق وتوكيد هذا السوء وتشنيع هذا الفعل وأنه صادر عن سوء حكم وقلة عقل لأنه جور عظيم قد تمالأوا عليه وحسبوه حقاً لا ينكر⁽³⁾.

ومن هذه الأدوات ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾⁽⁴⁾.

جاءت هذه الآية⁽⁵⁾. بعد الحديث عن أحكام المواريث، ومن ضمنها فرض الحقوق للنساء، وحيث كانت السورة موضحة لكثير من التشريعات، كان بيان حكم الزنا، وطريقة ثبوته مما يحتاج إلى بيان باعتبار الزنا من

(1) انظر: المبحث الأول، ص 29، 95، شرح المفصل لابن يعيش، ج 8، ص 115، وشرح الرضي على الكافية، ج 2، ص 353.

(2) سورة النحل الآيات: 57-59.

(3) انظر: المحرر الوجيز، ج 3، ص 402، البحر المحيط، ج 5، ص 504، التحرير والتنوير، ج 17، ص 181.

(4) سورة النساء الآية: 15.

(5) نسخت هذه الآية والتي بعدها بما جاء من أحكام في سورة النور . انظر: الطبري في تفسيره، ج 4، ص 198.

صور التعدي لحدود الله لما يترتب عليه من خلط الأنساب، وهدر الحقوق، ومن أعظمها حقوق الإرث التي سبق بيانها في السورة. وإذا كان الله تعالى في الآيات السابقة قد أمر بالإحسان إلى النساء وإيصال الصداق إليهن، وفرض الحقوق التي لم تكن مفروضة لهن كان من تمام الإحسان النظر في أمر آخرتهن فإن ذلك في الحقيقة إحسان إليهن، لئلا يتوهم أن الأمر بالإحسان إليهن سبب في ترك إقامة الحدود عليهن، فيكون ذلك سبب في وقوعهن في أنواع المفساد، وحكمة هذا التشريع تقوم على أن أحكام هذا الدين بعيدة عن المحاباة أو المداراة بل قائمة على الإنصاف والعدالة⁽¹⁾.

وحيث كانت المرأة عنصراً مهماً في بناء المجتمع جاء مسلك التوكيد مراعيًا ما تمثله المرأة من مكانة ومالها من منزلة يجب أن تصان ومبيناً المنهج الذي يجب أن يتبع في مثل هذه القضية الخطيرة، فإذا كانت هذه الجريمة تستدعي غضباً واستكثاراً، فإن المنهج القرآني وضع حداً لذلك وتشريعاً يبني عليه المسلم شهادته وحكمه، فقال تعالى: ﴿فَاسْتَشْهِدُوا﴾ هكذا جاء التأكيد بزيادة الهمزة والسين والتاء وجاءت هنا لتأكيد طلب الإشهاد.

والمقتضى البلاغي لهذا التأكيد هو تقرير الإشهاد وتوثيقه صيانة لأعراض المسلمات حتى لا تكون نهبا للقليل والقال دون تثبيت .

إن الشهادة بهذه الصفة والتأكيد تجعل العقاب لا يقع إلا بعد تحرر دقيق فالمقام مقام تشريع لا بد فيه من اليقين ولهذا استعملت (إن) "فإن شهدوا" للدلالة على ندرة توفر هذه الشهادة⁽²⁾. لقيام الفعل على الخفاء.

ومن التأكيد بهذه الأدوات ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾⁽³⁾.

(1) انظر: التفسير الكبير للرازي، ج9، ص525.

(2) لقد أولى الإسلام هذا الجانب كامل العناية والحرص على ضبط الأمور " فالشهود هنا أكثر من شهود القتل لأن الحكمة الإلهية اقتضت ذلك ليكون أبلغ في الستر فلا بد من أربعة رجال من المؤمنين وأحرارهم واشترط الأربعة في الزنا تغليظاً على المدعي وستراً على العباد".

انظر: أحكام القرآن لابن العربي، ج1، ص35، روح المعاني، ج4، ص434.

(3) سورة النساء الآية: 24.

فالسین والتاء للتأکید والمبالغة⁽¹⁾، فإذا تأكد استمتاع الرجل بالمرأة فقد وجب لها حق المهر كاملاً⁽²⁾.

لقد جاءت حقوق المرأة من خلال التأكيد بهذه الأدوات تحمل معها الإقناع والتأثير وتوقع الحيطة والحذر في نفس المسلم ابتغاء تحقيق العدل والإنصاف، ومعاملة المرأة على الوجه الذي ارتضاه الله لعباده، وسوف يتم زيادة البيان في المبحث الخاص بالأساليب بإذن الله تعالى.



(1) انظر: روح المعاني، ج5، ص7، التحرير والتنوير، ج3 أو5، ص9.
(2) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن، ج5، ص2، التحرير والتنوير، ج5، ص9.

المبحث الثاني

**مسالك التوكيد بالأسلوب ومقتضياته
في آيات حقوق المرأة في القرآن الكريم**

يأتي هذا المبحث ليستكمل صوراً أخرى من مسالك التوكيد انتظمتها آيات حقوق المرأة، وكانت تلك المسالك سبيلاً لإيضاح هذه الحقوق والتأكيد عليها.

وهي مسالك أدرك العلماء أثرها في إيصال المعاني العظام بأدق صورة إلى ذهن المتلقي من خلال الأساليب البلاغية المتنوعة.

فلأساليب البلاغية بقدر ما تحقق من بعد جمالي، فإن المتأمل في سياقاتها ودلالاتها يجد أن غايتي التأثير والإقناع وتمكين مقتضى القول في نفس المتلقي لتمكنه في نفس المتكلم مما تسعى إليه تلك الأساليب ولا تتجرد عنه في القول البديع المبدع.

فما تلك الأساليب إذن إلا وسائل لهذا التمكين تعين على التواصل مع الخبر، وإلا سهل طريق النظم أمام كل متكلم.

وإذا كانت غاية الخطاب القرآني بالدرجة الأولى هي الإبانة والتبليغ والتمكين للحقائق التي يبثها في النفوس، فإن من ينتبع الآيات تتجلى أمامه قيمة الظواهر البلاغية في التمكين للحقائق التشريعية⁽¹⁾.

ومن هنا فالأساليب البلاغية التي اشتملت عليها آيات حقوق المرأة إنما هي في الحقيقة - شأنها في كثير من الآيات - تساق للتقرير المعاني وبثها في سويداء القلوب، وهذه خصوصية من خصائص القرآن، ومنهج من مناهج بيانه، فليست غاية القرآن أن يعلمنا الحقيقة، وإنما الغاية أن يقنعنا بها، وأن يقررها في أعماق نفوسنا، تأمل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ...﴾⁽²⁾.

تجد أن هذا الكلام يدخل بعضه في بعض، فالأمر بالإحسان داخل في الأمر بالعدل، وإيتاء ذي القربى ضرب من الإحسان الذي هو ضرب من الأمر بالعدل، والنهي عن الفحشاء يتضمن النهي عن المنكر، وكلاهما يتضمن النهي عن المنكر، وكلاهما يتضمن النهي عن البغي، كما أن الأمر

(1) انظر: السياق وتوجيه دلالة النص، ص 227، 228.

(2) سورة النحل الآية: 90.

بالعدل نهى عن البغي، ونهى عن الفحشاء والمنكر وكان يمكن أن يدل على ذلك كله بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ ولكن مقامات الذكر الحكيم مقامات تهذيب وصقل، وغرس منابت الخير والفضيلة في نفس الإنسان، ومطاردة أشباح الرذيلة، ودوافع الشر وخواطر السوء، فاقتضت أمثال هذه المقامات ضرباً من التوكيد والتقدير⁽¹⁾.

ولأن الآيات موطن الدراسة هنا- جاءت- كما سبق في التوكيد بالأداة- لتصحيح تلك المفاهيم الخاطئة حول التعامل مع المرأة، ولتوصل حقوقاً جديدة على القوم؛ من أجل ذلك تنوعت الأساليب والمسالك فيها فبالإضافة إلى مسالك التوكيد بالأداة السالفة نجد مسالك أخرى حملت معها البيان عن الحقيقة وأمدت المتلقي بطاقة كبرى في الانتصار على سلطان العادة وجعلته متحفظاً يبحث عن الحقيقة الجديدة التي جاء بها الوحي الرباني، فأسهمت في تأكيد هذه الحقوق وتقريرها، وإذا كانت قيمة التعبير البلاغي إنما تعتمد على ال مقام الذي تعالجه؛ فإن مقامات حقوق المرأة ذات شأن عظيم يتطلب مزيداً من التقرير والتوكيد.

وقبل الشروع في بيان هذه المسالك أؤكد مرة أخرى أن استظهار هذه الأساليب لا يعني الخروج بها عن مسارها وتطويعها، بقدر ما يعني الوقوف على بلاغة هذه الأساليب في أداء المعنى وتقوية الكلام وفقاً للدلالات المناطة بها.

ومن أبرز تلك المسالك ما يلي:

1- المصدر:

يدل هذا المسلك على التوكيد دلالة قوية عند النحاة واللغويين والبلاغيين، وقد جاء المصدر في آيات حقوق المرأة حاملاً معه التأكيد على هذه الحقوق.

يقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...﴾⁽²⁾.

(1) من أسرار التعبير القرآني دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، ص 71، 72.

(2) سورة البقرة الآية: 83.

فقوله: ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ تأكيد بالمصدر (إحساناً) المؤكد لعامله المحذوف والتقدير "وأحسنوا أو تحسنون بالوالدين إحساناً"، والغرض من هذا التأكيد هو الحث على لزوم الإحسان إلى الوالدين، وهي عبارة ترددت بهذه الصياغة في أكثر من موضع في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا^ط وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا^ط﴾ (1).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ^ط أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا^ط وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا^ط﴾ (2).

وقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ^ط وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...﴾ (3).

بمجموع هذه الآيات يتضح ما أولاه الله من حق للوالدين من خلال الوصية بالإحسان إليهما.

وثمة أمور بلاغية تتصل بهذا التأكيد زادت من بلاغته وقوته فمن ذلك عطف جملة بالوالدين إحساناً على الأمر بعبادة الله، وذلك لاتفاق الجملتين في الإنشائية معنى، وهذا من المواقع التي ذكر البلاغيون أن وراء العطف بالواو فيها كثيراً من المعاني الخبيثة، من ذلك أن العطف بين المتباعدتين في المنزلة قد يفرغ من أعلاها على أدناها فيستشرف إلى منزلته، فذكر الوالدين مقترناً بعبادته وحده مما يؤكد بالغ الاهتمام بهذا البر (4).

ويرى الطاهر بن عاشور أن التأكيد في مثل هذا السياق يأتي أيضاً من تقديم المتعلق على متعلقه خلافاً لمذهب البصريين الذين يرون أنه معمول مصدر وهو لا يتقدم على عامله إلا أنه من باب التوسع في المجرورات (5).

فأصل الكلام: ﴿وإحساناً بالوالدين﴾ فقدم المتعلق اهتماماً وتأكيدياً على حقهما...

(1) سورة النساء الآية: 36.

(2) سورة الأنعام الآية: 151.

(3) سورة الإسراء الآية: 23.

(4) انظر: دلالات التراكيب، ص 277.

(5) انظر: التحرير والتنوير، ج 1، ص 582.

وفي هذا الصدد يقول الدكتور صباح دراز: "لما كان البر بالوالدين هذه منزلته التزم في كثير من نصوص القرآن هذه العبارة وبالوالدين إحساناً أو ما يعادلها، ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً أو حسناً" فقدم المتعلق: الوالدين وأتى بالمصدر مراداً به الأمر إحساناً أو الفعل محذوف تقديره : أحسنوا أو تحسنون، مبالغة في التأكيد"⁽¹⁾.

ويعضد هذا التأكيد إيثار التعبير بالإحسان ذلك أن الإحسان "نهاية البر فيدخل فيه جميع ما يجب من الرعاية والعناية"⁽²⁾.

ورغم دخول الوالدين ضمن الأقارب في قوله تعالى: ﴿وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ إلا أنه أفردهما بالذكر وقدم الإحسان إليهما على كل الحقوق فتقديمهما من تقديم الأوكد فالأوكد اعتناء به، فحقهما أوكد من غيرهما، وبرهما مقدم على سواهما فهما سبب وجود الولد كما أنهما سبب التربية⁽³⁾. فذكر العام "ذي القربى" بعد الخاص "الوالدين" مما زاد في تأكيد الحق العظيم للوالدين. ومما يلفت النظر هنا أيضاً أن القرآن سلك في التعبير عن الأم والأب لفظ (الوالدين) وفي هذا تغليب للأمومة على الأبوة وهي طريقة قرآنية حيث يسمى الأب والأم والدين في كل موضع كان جانب الأمومة فيه أرعى وأظهر من جانب الأبوة فجميع الآيات التي تأمر أو توصي بالإحسان بالأم والأب غلب فيها القرآن الحكيم جانب الأمومة فسمى الأم والأب والدين، لأن الأمهات أحوج إلى العطف والإحسان من الآباء فهذا التغليب كان لغرض بلاغي واعتبارات دقيقة أسرة حفل بها البيان القرآني المعجز الذي ي غلب جانب الأبوة في التعبير بلفظ: "أبويه-أبواه" حين يكون جانب الأبوة فيها أقوى وكذلك الحال في تغليب جانب الأمومة كما سبق بيانه"⁽⁴⁾.

-
- (1) أسرار الفصل والوصل، د: صباح دراز، (مصر: مطبعة الأمانة، ط الأولى، 1406هـ-1986م)، ص125
- (2) "تفسير القاسمي" المسمى محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط الأولى، 1415هـ-1994م)، ج1، ص321.
- (3) انظر: التفسير الكبير للرازي، ج25، ص34، وانظر: "دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم"، د: منير محمد المسيري، (القاهرة، مكتبة وهبة، ط الأولى، 1426-2005)، ص211.
- (4) "دراسات جديدة في إعجاز القرآن"، د: عبد العظيم إبراهيم المطعني، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط الأولى، 1417هـ-1996م)، ص18، 19.

ومن التأكيد بالمصدر في آيات حقوق المرأة ما ورد في قوله تعالى :
﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ
بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ (1).

فقوله "حقاً" مصدر معناه الثبوت والوجوب، مؤكداً للحدث الذي دل عليه (كتب)، وعامله إما (كتب)، أو فعل محذوف تقديره (حق) أي حق ذلك حقاً (2). فهو تأكيد للكتابة التي أمر بها الشرع من أجل خلق جو من المودة والتراحم بين الأقارب، وليبطل ما كانوا عليه في الجاهلية من أمر هذه الوصية فقد كانوا يخصصون بها الذكور ومن يحمل السلاح ويذود عن المال من الأبعد، ويهملون الأقارب من ذوي الحاجة كالبنات والأخوات والوالدين (3).

وقد ورد التأكيد بهذه الكلمة (حقاً) في مواطن أخرى من هذه الآيات.

من ذلك قوله تعالى : ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرَضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾ (4).

جاء البيان هنا عن حق المرأة في المتعة (5)، إذا طلقت قبل الدخول بها، ولم يفرض لها مهر، وأكد هذا الحق من خلال الإتيان باسم المصدر (متاعاً) المؤكد للفعل (متعوهن) والتأكيد بالمصدر (حقاً) (6).

(1) سورة البقرة الآية: 180.

(2) انظر: معاني القرآن للأخفش، ج1، ص216. إرشاد الفعل السليم، ج1، ص197، فتح القدير، ج1، ص178.

(3) انظر: التفسير الكبير للرازي، ج5، ص231، التحرير والتنوير، ج2، ص146، 147، ويذكر هنا أن العلماء يرون أن هذه الآية نسخت بآية المواريث، انظر : في هذا : جامع البيان للطبري، ج2، ص68، وانظر جمعاً موجزاً ورائعاً في تفسير السعدي، ج1، ص142. وكلاماً نفيساً في العلاقة بين الأدلة المرتبطة بالآية للدكتور محمود توفيق في كتابه (سبل الاستنباط)، ص120، 122.

(4) سورة البقرة الآية: 236.

(5) متعة المرأة ما وصلت به بعد الطلاق، والمتاع في اللغة : ما انتفع به . انظر: لسان العرب لابن منظور، ج8، ص33، متع القاموس المحيط، ج3، ص86. وبين العلماء خلاف حول مشروعية المتعة، انظر في هذا : حقوق المرأة في الزواج، د. محمد عمر عتین، (القاهرة: دار النصر، ب. ط، ب. ت)، ص410، 419.

(6) انظر: الكشف، ج1، ص285، البحر المحيط، ج2، ص220.

والحكمة من التأكيد على بذل هذه المتعة هو جبر لما نال المطلقة من الوحشة وكذّ الخاطر والتسبب في قطع تشوقها وتعلقها بالحياة الزوجية ذلك "أن انفصام هذه العقدة من قبل ابتدائها ينشئ جفوة ممضة في نفس المرأة، ويجعل الفراق طعنة عداً وخصومة، ولكن التمتع يذهب بهذا الجو المكفهر وينسم فيه نسمات من الود والمعذرة، ويخلع على الطلاق جو الأسف والأسى، فهي محاولة فاشلة إذن؛ وليست ضربة مسددة، ولهذا يوصي أن يكون المتاع بالمعروف استيفاء للمودة الإنسانية"⁽¹⁾.

ويأتي ذكر المحسنين ليعلو بالزوج إلى مرتبة كبيرة تجعله يشعر بقداسة هذه العلاقة "فمع أن الآية نفت عنهم الحرج إذا طلقوا في هذه الحال فإنها أوجبت عليهم إمتاعهن كل حسب قدرته غنياً أو فقيراً، وسمى هذا المتاع : ﴿متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين﴾ وهذا التعبير يثير عند الأزواج مشاعر المروءة والنخوة ويستل من النفوس السخائم فتبذل ما اوجب عليها في رضا وحنان والمستفيد هنا المطلقة"⁽²⁾. حيث "تطيب به نفسها ويبقى باطنها وباطن أهلها سلماً أو ذا مودة"⁽³⁾.

ومثل هذا التعبير ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا طَلَّقتِ مَتَّعُ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾⁽⁴⁾.

فالتعبير بالمصدر (حقاً) دون الفعل مما يشعر باستحقاق المتعة ويؤكد وجوب بذلها، ومما لا يدع مجالاً للشك في ثبوتها⁽⁵⁾.

ولهذا قال الأخفش "حقاً) إنما هو: أحق ذلك حقاً"⁽⁶⁾.

(1) في ظلال القرآن، ج2، ص251.

(2) خصائص التعبير القرآني، ج1، ص427، 428.

(3) نظم الدرر، ج1، ص447.

(4) سورة البقرة الآية: 241.

(5) انظر: التحرير والتنوير، ج2، ص461.

(6) معاني القرآن للأخفش، ج1، ص216.

وذكر التقوى هنا يشير إلى ما ينبغي أن يكون عليه المطلق من الرجال من لزوم التقوى ومراقبة الله وعدم بخس المرأة حقها من هذه المتعة التي أمر بها الله.

وفي مقام آخر وحالة أخرى من حالات الطلاق يأمر الله أيضاً ببذل المتعة ويزيد على ذلك التأكيد على ضرورة الإحسان إلى المطلقة، يقول تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ بِمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾⁽¹⁾.

فلما كان المقام لا يحتمل العنف والأذى ولا التعنت والرغبة في تعويق المطلقات عن استئناف حياة أخرى جديدة، ولا الإساءة إلى سيرتهن جاءت الوصية بالإحسان إلى المطلقة بعد التمتع: ﴿وسرحوهن سراحاً جميلاً﴾ فاسم المصدر (سراحاً) يؤكد فعله ويشير إلى عدم الإضرار بالمرأة عند انفصام العلاقة الزوجية، ولا يقف عند هذا الحد بل يوصي القرآن أن يكون هذا السراح جميلاً فوصفه بالوصف (جميلاً) يزيد التأكيد قوة وكل ذلك محافظة على المطلقات من قالة السوء وربما انطلقت فيهن الاتهامات أو الظنون، فكان القرآن حكيماً كل الحكمة في التركيز على هذه الظروف والأمر بالمتعة والسراح الجميل⁽²⁾. ليطم هذا الأمر بصورة نظيفة وشفافية عالية فالطلاق ليس باباً للإضرار بالمرأة بل يبي حال من الأحوال.

وفي مقام التأكيد على أحقية النساء في الصداق يأتي المصدر معلناً بكل وضوح هذا الحق العظيم، يقول تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾⁽³⁾.

(1) سورة الأحزاب الآية: 49.

(2) انظر: في ظلال القرآن، ج 1، ص 251، من أسرار التعبير القرآني دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، ص 371.

(3) سورة النساء الآية: 4.

فلم يكتف هنا بمجرد الإخبار بالأمر الصريح (آتوا) وإنما أكده بمصدر من معناه نحلة⁽¹⁾ لأن النحلة والإيتاء بمعنى الإعطاء⁽²⁾. والتأكيد قوَى الفعل ورسخ معناه في الأذهان.

والمقتضى البلاغي من وراء هذا التأكيد هو تهيج النفوس للامتثال لهذا الأمر وإبطال ما كانت عليه عاداتهم في الجاهلية حيث: "كان الرجل إذا زوج أيمه أخذ صداقها دونها فنهاهم الله عن ذلك"⁽³⁾.

وقد جاءت هذه الآية بعد التأكيد على تحري العدل بين النساء مما يؤذن بأن أول مقامات العدل هو دفع المهر للزوجة خالصاً لا يتملكه أو يعتدى عليه أحد، ولها حق التصرف المطلق فيه دون مراجعة من أحد.

ولأن هذا الحق كان مهضوماً فقد تضافرت عناصر النظم لتزيد من تأكيده، وتضفي عليه لونا من المهابة والتعظيم.

ومن جملة ذلك اصطفاء التعبير بالفعل (آتوا) دون (أعطوا) لأن "الإيتان أقوى من الإعطاء في إثبات مفعوله، والفعل الذي له مطاوع أضعف في إثبات مفعوله من الفعل الذي لا مطاوع له..."⁽⁴⁾.

-
- (1) النحلة: الملة والشريعة والمذهب، والنحلة العطية وهي لا تعطى إلا عن طيب نفس، والنحلة الفريضة، وذكر إلى جانب ذلك أنها مشتقة مما يخرج من النحل من العسل انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص485، نحل أحكام القرآن لابن العربي، ج 1، ص316، وكل هذه المعاني تحتلها كلمة نحلة وسياق النظم يعطي: وآتوا النساء صدقاتهن ديانة وشريعة فلا يحل لأحد أن يعتدي زوجاً كان أو ولياً، وهي عطية من الله من بعد استئثار الأولياء بها، ومنها كذلك معنى آتوهن صدقاتهن طيبة بها نفوسكم حتى تقع في المرأة موقعاً حلواً وطيباً تنال بها مكانتها وتصلح به حالها. انظر: سبل الاستنباط، ص474.
- (2) انظر: الكشاف، ج1، ص411، التفسير الكبير للرازي، ج 9، ص492، إرشاد العقل السليم، ج 2، ص143، ونظم الدرر، ج2، ص214، وفي إعرابه وجوه أخرى، انظر ما سبق.
- (3) "لباب النقول في أسباب النزول" ص64. ويدخل في هذا أنواع أخرى من الزيجات انتشرت في الجاهلية كانوا يهضمون فيها حق المرأة كزواج الشغار، أو يتزوجها الرجل بلا مهر، ي قول لها: أرتك وترثيني، انظر: البحر المحيط. ج3، ص150.
- (4) "الإيتان في علوم القرآن"، الإمام: جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت، دار الفكر، ب.ط، ب.ت)، ج1، ص187.

وفي الإتيان تتحقق المناولة بأي سبيل، وفيه أيضاً يتحقق معنى الإعطاء بسهولة، كما أن الإعطاء قليل بجانب الإيتاء فـ(آتيته المال) أقوى وأعظم من (أعطيته المال) لأن الثاني مجرد مناولة وإيصال أما الأول فالدافع المعنوي فيه هو الأصل وله تعلق بالشعور، ويشترط في قبوله الرضا والإخلاص، ولذلك خصت به الزكاة والصدقات وسائر الحقوق في القرآن⁽¹⁾. وفي كل هذا دلالة على مبادرة الرجال بإعطاء المرأة حقها عن سماحة نفس وكأنه بادرها دون أن تطلب ذلك، ولهذا يقال: آتيت الفقير مالاً، وأعطيت الفقير مالاً ففي الأول يدل التعبير على أنك قد بحثت عن الفقير وسعيت إليه وأعطيته مالاً، أما الثاني فيدل على أن الفقير سعى إليك وأعطيته مالاً، ففي الأول دلالة على سخاء النفس، وعلى أن الكرم والعطاء هو دين المؤمنين⁽²⁾.

وللمبالغة في تمكين المرأة من المهر سلط الفعل (آتوا) مباشرة على النساء وفي هذا دلالة على أنه ينبغي أن يسلم الصداق إليهن وألا يحجب عنهن بأي سبيل، كما أن إضافة الصداق إلى ضمير النساء: ﴿صداقتهن﴾ تأكيد على أحقيتهن بهذا المهر وأنه لا يجوز أخذه دون رضاهن...

إن السياق القرآني هنا يقطع الطريق أمام كل طامع في التعلق بهذا المهر، ولا يقف عند هذا الحد بل تتعالى نبرة التحذير من أخذ شيء من الصداق من خلال الجملة الشرطية: ﴿فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً﴾

فقد أفادت هذه الجملة الدلالة على التملك الخالص لهذا المهر وجاء افتتاح الشرط بـ(إن) مشعراً بندرة هذا الأمر من الرضا وأنه لا يكون إلا في حالات خاصة، وذلك حين تكون مقامات الفصل بين الزوجين هي الداعية لمثل هذا، وفي هذا لفظة حقيقية للأزواج بضرورة التعفف عن هذا المال وعدم السعي وراءه إلا في حال الضرورة.

(1) انظر: خصائص البيان بالإيتاء والإعطاء في القرآن . د: السيد محمد سلام، (مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية، العدد الخامس عشر، 1416هـ، 1996م)، ص145، 146.

(2) هذه من توجيهات أستاذي الدكتور: يوسف الأنصاري.

وهذا ما يؤكد التعبير بـ(طبن) دون (وهبن) فالعمدة في ذلك هو غاية الرضا وتماحه دون مؤثر خارجي من سوء طبع أو معاشرة، فالمسلك ضيق في هذا الباب⁽¹⁾.

ويضاف إلى ما سبق ما أشار إليه الدكتور عبد الرزاق فضل من المجاز العقلي⁽²⁾. في جملة: ﴿فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً﴾ فهذا التجوز في الملابس "مشعر بتأكيد طيب النفس بل هو مثبت له، ذلك أنه حول نفساً من الفاعلية إلى التمييز وجعل فاعل طاب هو ضمير النساء (نون النسوة) ليلقي في عقل المسلم أن الطيب بالعطية ينبغي أن يكون أكبر وأعظم من أن تتصف به النفس التي لا يعلم ما تنطوي عليه إلا علام الغيوب، وإنما الموصوف به المرأة ظاهرها وباطنها خفيها وجليها، والوقوف على ذلك فيها، فإن ملاحظة زمان الهبة ومكانها والنطق بها، والبغية منها، وغير ذلك كفيل بتبين مدى طيب النفس بها، فالشرط في قبول هبة شيء من الصداق سواء أكان الموهوب له الزوج أو المولى هو رضا المرأة رضاً حقيقياً أكيداً، فلا شك أن التجوز في الملابس أكد هذا الشرط مع عذوبة اللفظ، وحسن الموقع وإثارة النفوس للامتثال والقبول"⁽³⁾. وينضم إلى قوة هذا التعبير في تثبيت المعنى: "ما يعطيه البيان بعد الإبهام الذي هو أس دلالة التمييز المحول"⁽⁴⁾.
ولذلك ما يوحي به تكثير (شيء) من تفضيل التعفف عن قبول الكل لأنه في الغالب لا يكون إلا عن خداع أو ضجر⁽⁵⁾.

وهكذا تضافرت عناصر هذا النظم في حراسة صداق المرأة لتبرز لنا مكانة المرأة وأنها لا تتال إلا ببذل وتضحية وهي بهذا أدعى لأن تصان ويحافظ عليها، فاللفظ القرآني بهذه الإيحاءات يسلك طريقه إلى تثبيت الحذر

-
- (1) انظر: الكشاف، ج1، ص413، التفسير الكبير للرازي، ج9، ص492، التحرير والتوير، ج4، ص231.
(2) من أشهر تعريفات المجاز العقلي ما ذكره الخطيب بقوله: "إسناد الفعل أو ما في معناه إلى ملابس له غير ما هو له بتأول. انظر: الإيضاح، ج1، ص86.
(3) "من أساليب القرآن -المجاز العقلي"، د. عبد الرزاق محمد فضل، (طنطا: مطبعة التركي، ب.ط، ب.ت)، ص291، 292.
(4) سبل الاستتباط، ص475.
(5) انظر: الكشاف، ج1، ص413، روح المعاني، ج4، ص891.

والإشفاق في قلوب المؤمنين حتى يستقيموا على الجادة، فالقرآن كتاب تهذيب وتقويم، وطريقته في التقويم هي النفاذ إلى النفس الإنسانية وقيادتها وإقامتها قيمة على نفسها، وطريقة التلويح والإيحاء طريقة لا تخطئ في النفاذ إلى النفس وإيقاظها والتأثير فيها⁽¹⁾.

ومن قبيل التأكيد بالمصدر يأتي قوله تعالى بعد بيان الموارد في آية : ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ...﴾⁽²⁾ قوله: ﴿فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ﴾ ليؤكد على الالتزام والانقياد في تنفيذ أحكام الموارد، فقد استوفت كلمة (فريضة) المعنى وأكدته فهي مصدر لفعل محذوف أي: فرض الله ذلك فريضة⁽³⁾.

وهكذا أيضاً لفظ "وصية من الله" في قوله تعالى في نهاية آية : ﴿وَلَكُمْ بِنَصْفِ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾⁽⁴⁾. فوصية مصدر مؤكد أي يوصيكم الله بذلك وصية⁽⁵⁾.

وكل هذا للتأكيد على الالتزام والتسليم بما شرع الله في هذه الأحكام من تقسيم للموارد وتوزيع للحقوق مخالف لما جرت عليه عاداتهم في ذلك فالذي فرضها وقدرها هو الله الذي يعلم ما يصلح لعباده.

وفي قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾⁽⁶⁾. تؤكد كلمة فريضة أن المهر يفرض ويعين في عقد النكاح في مقابل الاستمتاع، وهذا على إعرابها مصدراً مؤكداً كما يرى ذلك الزمخشري⁽⁷⁾.

وفي قوله تعالى : ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾⁽⁸⁾.

(1) من البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، ص 265.

(2) سورة النساء الآية: 11.

(3) انظر: التبيان في إعراب القرآن، للعكبري، ص 335.

(4) سورة النساء الآية: 12.

(5) انظر: التحرير والتتوير، ج 4، ص 266، روح المعاني، ج 4، ص 926.

(6) سورة النساء الآية: 24.

(7) انظر: الكشف، ج 1، ص 435، وانظر: البحر المحيط، ج 3، ص 217، إرشاد العقل السليم، ج 2، ص 163.

(8) سورة النساء الآية: 129.

يأتي التأكيد بالمصدر في قوله تعالى: "كل الميل" إذ أصله فلا تميلوا الميل كله ذلك أن الله تعالى بعد أن أخبر عن عجز الإنسان في ضبط الميل القلبي نهاهم مؤكداً هذا النهي عن إظهار التفاوت في القول والفعل فيميل إلى إحداهن عن الأخرى فيمنعها حقاً من غير رضا منها"⁽¹⁾.

ففي هذا التأكيد إقامة لميزان العدل، وقطع سبيل الظن في جواز الميل مطلقاً مع بعضهن والذي ربما تبادر إلى الذهن بعد تقرير استحالة العدل بين النساء.

فالإسلام "أوجب على الزوج أن يحسن العشرة مع زوجته، وأن يخصها بكل وجدانه وعطفه، ولكن إذا اضطر إلى تعدد الزوجات، وعجز عن أن يوزع حبه على الزوجات بالتساوي - ولاشك أنه عاجز - فلا يؤاخذ على بعض ميل لا تكون به الزوجة كالمعلقة، فالتجاوز عن هذا الحد من الميل النفسي ليس تشريعاً يتبع في الأحوال العادية إنما تحقيق ضرورة يطمئن إليه المسلم إذا اضطر إليه في حالة تعدد زوجاته"⁽²⁾.

2- التعبير بالجملة الاسمية وإيثار الخبرية على الإنشائية:

اختيار الجملة الاسمية في مواضعها التي تقتضيها والجمل الفعلية في مواضعها حسب ما يتطلبه السياق ونظم الكلام والمعنى للآيات من روائع البلاغة القرآنية ودلائل الإعجاز فيها.

وقد رأيت من خلال البحث في هذه الآيات أن النظم القرآني يؤثر في مثل هذه التشريعات التي تتناول قضايا المرأة وحقوقها الجملة الاسمية غالباً، ويؤثر الجمل الخبرية على الإنشائية لتحقيق غرض بلاغي يسعى من خلاله لإيقاع الأمر موقع التنفيذ والتسليم، وبناء المعنى على الثبوت والاستقرار. ففي قوله تعالى: ﴿نَسَأُكُمْ حَرَّتْ لَكُمْ﴾⁽³⁾. تأخذ الجملة الاسمية طابع الحكم

الدائم، وهو المراد من البناء على الاسمية وذلك للدلالة على أن إتيان النساء

(1) انظر: التفسير الكبير للرازي، ج11، ص237.

(2) للناس والحياة، سورة النساء، محمد عبد الله الهمشري، (ب.ط، 1377هـ-1958م)، ص145.

(3) سورة البقرة الآية : 223.

يكون لغاية عظيمة ترتبط بالنسل وإعمار الكون بالصالحين "وليس تلهوا ولا علالة تتعللون بها، وما دام أنهن حرث لكم فأتوهن كيفما شئتم ولكن بشرط أن يكون هذا الإتيان في موضع الإخصاب الذي يحقق غاية الحرث"⁽¹⁾.

إن "نفاذ البصيرة يستلزم الانعتاق من قبضة العلاقة بين جماع الزوجة وقضاء الشهوة، ثم الإبحار في محيط ثمار هذا الجماع الشاملة نفع الآخرين مما يثمر المثوبة، فإن يك جماع الرجل زوجته فيه قضاء شهوة فإن فيه إحصانا وإعفاً، وإن فيه حماية وسعياً لاستيلاء مولود يعبد الله - عز وجل - وفيه إقرار للماء حيث يرضى خالقه أن يوضع وكل ذلك يستلزم مثوبة"⁽²⁾. وقد فصلت هذه الجملة لتكون بياناً يؤكد الأمر بإباحة إتيان النساء بعد انتهاء المحيض، فالنساء محل تعهد الرجال⁽³⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾⁽⁴⁾.

تحقق الجملة الاسمية معنى الثبوت في هذا الحكم، فقد جاءت هذه الآية في معرض تحديد حق الرجل في الطلاق بعد أن بينت الآية السابقة لها ما يملكه الرجل من حق في المراجعة وحق في الطلاق المشار إليهما في الدرجة الزائدة للرجال وللرجال عليهن درجة"، وهو حق لا يخول للرجل أن يضر بالمرأة، وهذا ما جاءت الآية لبيانها؛ ذلك أن الرجل كان إذا طلق امرأته ثم راجعها قبل انقضاء عدتها كان له ذلك ولو طلق مائة مرة أو أكثر⁽⁵⁾. وفي هذا اعتداء وظلم لا تستقيم معه حركة الحياة على هذه الأرض، فنصت الآية على تحديد العدد الذي يملكه الرجل في هذا الأمر.

(1) "إمعان النظر في نظام الآي والسور"، د. محمد عناية الله أسد سبحاني، (عمان: دار عمار، ط الأولى، 1414هـ-2003م)، ص222.

(2) سبل الاستنباط، ص114.

(3) انظر: التحرير والتنوير، ج2، ص371.

(4) سورة البقرة الآية: 229.

(5) "أسباب النزول"، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2000م)، ص103.

والحكم في الآية "وإن كان لفظه لفظ الخبر فهو بمعنى الأمر، أي ط لقوا مرتين، وإنما وقع العدول عن لفظ الأمر إلى لفظ الخبر، لما في هذا العدول من إفادة التأكيد، فثبت أن هذه الآية دالة على الأمر بتفريق الطلقات وعلى التشديد في ذلك الأمر والمبالغة فيه"⁽¹⁾.

ولتأكيد هذا المعنى والتحذير من الإضرار بالمرأة جاء اصطفاء المصدر «فإمسك بمعروف أو تسريح بإحسان» أي فليمسك بمعروف، أو فليسرح بإحسان، وعدل عن النصب إلى الرفع⁽²⁾ في المصدرين لتحقيق المعنى المطلوب على الوجه الأمثل الأكمل، أي فإن اختار الإمساك فليكن على الوجه الأعلى وإن اختار التسريح، فليكن بإحسان⁽³⁾. وذلك "لأنها الطلقة الأخيرة فالحكم معها يكون على وجه الدوام ولهذا لم يقلها بالنصب لأن النصب موقوت ألا ترى إلى قوله تعالى: «فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب» كيف جاء بـ"ضرب" منصوباً على تقدير الفعل أي فاضربوا، ولم يأت بالرفع وذلك لأنه موقوت بالمعركة وليس دائماً"⁽⁴⁾.

وفي التعبير بالإمسك والتسريح جمال يزيد المعنى إشراقاً ووضوحاً فالإمسك في حقيقته قبض اليد على شيء مخافة أن يسقط أو ينفلت والتعلق بالشيء وحفظه⁽⁵⁾، وهو هنا كناية عن الرد لدوام المعاشرة واستمرار الحياة الزوجية⁽⁶⁾.

(1) التفسير الكبير، ج6، ص441.

(2) في توجيه الرفع يرى أبو حبان: أن رفع إمساك على الابتداء والخبر محذوف قدره ابن عطية متأخراً تقديره: أمثل وأحسن، وقدره غيره. متقدماً أي فعليكم إمساك بمعروف، وجوز فيه ابن عطية أن يكون خبر مبتدأ محذوف والتقدير فالواجب إمساك. انظر، البحر المحيط، ج2، ص196.

(3) صورة الأمر والنهي، ص56.

(4) "التعبير القرآني" د. فاضل صالح السامرائي، (عمان: دار عمار، ط الرابعة، 1427هـ-2006م)، ص33.

(5) انظر: المفردات في غريب القرآن: مسك.

(6) انظر: البحر المحيط، ج2، ص194، التحرير والتنوير، ج2، ص406.

والتسريح في أصله مأخوذ من تسريح الإبل ثم جعل لكل إرسال في الرعي⁽¹⁾. ثم استعير هنا كناية عن فك أسر المرأة وتخليتها دون خصومة أو مشاجرة إذا لم تصلح الحياة الزوجية.

وعلاوة على ما يحققه الطباق بين الإمساك والتسريح من تقوية المعنى قدمت الآية الإمساك لأنه الأهم والمرغب في نظر الشارع⁽²⁾.

وقيدت الإمساك بالمعروف المتضمن القيام بالمعاشرة الحسنة، وقيد التسريح بالإحسان المتضمن إحسان الفراق دون ذكر للعيوب أو تنفير الناس عن المرأة، وعدم ظلمها شيئاً من حقها⁽³⁾.

وما كان هذا التأكيد والبيان ليكون بهذه الصورة إلا "لأن وقوع الطلاق ذو أثر بالغ في نفس الزوجة، فإذا أتبعه إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان أزال ذلك ما كان من أثر الطلاق، وكلما بولغ في تحقيق الإمساك بالمعروف أو التسريح بإحسان كلما كان ذلك أشفى وأجدى"⁽⁴⁾.

فالمرأة بهذا البيان تأخذ حقها من الكرامة والرعاية بعيداً عن التسلط والإيذاء وقهر النفس.

ومن مواطن بناء الجملة على الاسمية وإيثار الأسلوب الخبري قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا طَلَّقْتَ مَتَعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾⁽⁵⁾.

فالآية جاءت لبيان تشريع رباني في حال الطلاق، وكان الأنسب لمثل هذا التشريع الأسلوب الإنشائي القائم على الأمر والنهي مثل "متعوا المطلقات" لكن القرآن عدل عن ذلك إلى التعبير بالجملة الخبرية وبنائها على الاسمية ليحقق بذلك مزيداً من الاهتمام بمضمون الجملة فمجيء الآية بهذا الأسلوب لا يقتصر على مجرد الإخبار، وإنما يحقق دلالة الأمر ويفي بالغرض في أبلغ

(1) انظر: المفردات في غريب القرآن، مادة "سرح".

(2) انظر: التحرير والتنوير، ج2، ص406.

(3) انظر: المحرر الوجيز، ج1، ص306.

(4) صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم، ص56.

(5) سورة البقرة الآية:241.

بيان، فيكون بذلك اصطفاً الجملة الاسمية دالاً على ثبوت حق المطلقة في المتعة على الدوام.

ومن ذلك أيضاً: قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾⁽¹⁾.

جاءت هذه الآية على سبيل الاستئناف البياني تشفي غليل من يتردد في صدره سؤال عن سبب النهي عن التمني في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِمُ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾⁽²⁾. والتي كان سبب نزولها أن النساء تمنن أن يكون لهن ما للرجال⁽³⁾.

فأصلت آية: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ حكماً شرعياً وجاء بناؤها على الاسمية "لتؤذن بعراقة الرجال في الاتصاف بما أسند إليهم ورسوخهم فيه"⁽⁴⁾.

والتعبير بصيغة الخبر هنا سعي بالآية إلى مجال الامتثال والتسليم بقيادة الأسرة للرجل، تلك القيادة التي يتحمل من خلالها أعباء الأسرة وتكاليف الرعاية فالمقصود بالقوامة من منظور الآية: "الإمعان في تكريم المرأة لا التسلط عليها، وقد فرض الإسلام مسؤوليات مادية على الرجل تتفق مع طبيعته من حيث تقديم المهر للزوجة والإنفاق على الأسرة، والنهوض بالأعباء المادية، وهو أقدر على ذلك بالنسبة إلى رقة تكوين المرأة الجسماني وطبيعتها"⁽⁵⁾.

فالقوامة إذن رعاية مصالح المرأة والأسرة، وهي بهذا المفهوم حق للمرأة وليست سلطة عليها، وحين تدين المرأة بهذه القوامة المشروعة فمن

(1) سورة النساء الآية:34.

(2) سورة النساء الآية: 32.

(3) ورد عن أم سلمة أنها قالت: "يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو وإنما لنا نصف الميراث"، انظر: أسئلب النزول، ص157.

(4) إرشاد العقل السليم، ج2، ص173.

(5) المرأة في مجتمع الإسلام، د: نفيسة إبراهيم باجي، (مجلة الوعي الإسلامي: الكويت: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، العدد 241، محرم، 1405هـ، أكتوبر 1984م)، ص47.

حقها المطالبة بالإنفاق، والرجل حين يدين بالقوامة فعليه أن يكون واعياً بالتبعات فالقوامة تكليف لا تشريف.

وهذا المفهوم الذي أشير إليه هنا هو ما سعت الآية لبيانها، وإن كان ظاهر السياق يتجافى مع حقوق المرأة محور الدراسة إلا أن نفاذ البصيرة في المعاني وطريقة نظمها يحقق هذا المفهوم فالقوامة الناجحة هي التي تقوم على رعاية شؤون المرأة وإشراكها في مسؤوليات الأسرة.

وهذا المغزى تحققه وتدل عليه طرق التعبير في الآية ومن ذلك ما يلي:

أولاً: التعبير بلفظ الرجال دون الذكور، فلا يستحق القوامة إلا من انصف بالرجولة التي أثنى عليها القرآن في أكثر من موضع كقوله تعالى :
﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ﴾⁽¹⁾. وقوله تعالى : ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾⁽²⁾.

ثم إن التعريف في الرجال والنساء للجنس، فليس المقصود تفضيل أشخاص معينين، وإنما المقصود عموم جنس الرجال والنساء.

ثانياً: ما يحققه لفظ (القوامة) من الدلالة على المحافظة والإصلاح والمبالغة في القيام بالأمر وحفظه بالاجتهاد فيه فقيام الرجل على النساء هو على هذا الحد⁽³⁾.

وكأن الآية بهذا شبّهت حياة الحريص المهتم بأمر نسائه بهيئة القائم لقضاء أمر يهيمه وبهذا نجد لفظة قوامون غاية في الدقة والإحكام، فهي صيغة مبالغة، والمبالغة هنا لا تعني السيطرة والتجبر كما يفهم البعض، ولكنها تعني المبالغة في الحرص على النفع، والهيمنة الرحيمة، والعطف المنдах، والتقويم الرحيم، فاللفظة تتداح لتضم بين جناحيها كل معاني الحذب والرحمة والحب والخيرة، في يقظة أو حركة، فالقيام على الأمر لإصلاحه،

(1) سورة النور الآية:37.

(2) سورة الأحزاب الآية:23.

(3) انظر: "لسان العرب" قوّم، المحرر الوجيز، ج2، ص239، التفسير الكبير للرازي، ج1، ص71، البحر المحيط، ج3، ص239.

أو الشأن لاستمرار نفعه لا يعني سوى بذل أقصى الجهد بغية النفع والإصلاح، فالذي يردد هذه اللفظة في سياقها في الآية بفكر حصيف، وقلب مؤمن يجدها تشع العطف والحنان المحوطين بالحرص والأمان من رجال يجدون النساء قوارير الحياة، ونحن نربأ برجل أو امرأة يفهمان من تلك اللفظة (قوامون) عكس ما أشرنا إليه، ونعيذ من يقرؤها أن يفسرها بمعاني السيطرة والقوة والتسلط، فقد مدحت الآية النساء اللاتي فهمن اللفظة فهما يرضي نفوسهن، ويريح أفئدتهم: ﴿فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله﴾ ولا يعقل رضا الصالحات القانتات بالتسلط القاسي والتجبر المقيت كما يفسر اللفظ بعض المغرضين الذين يجنحون إلى الفظاظة والقسوة في معاملة النساء، ثم يبررون قسوة معاملتهم بسوق الآية الكريمة: "الرجال قوامون على النساء" مفسرين اللفظة حسب هواهم الجانح، وفكرهم الشاطح⁽¹⁾.

ثالثاً: تكرار الباء وما المصدرية أو الموصولة في قوله: "بما فضل .." وبما أنفقوا" فهو تأكيد على حصر القوامة في مفهومها الصحيح فإذا كان التكرار يؤكد على أحقية الرجال في القوامة، والمستلزم تسليم النساء بذلك فهو من وجه آخر رد على من يشطط به الفهم ويستخدمها في غير محلها، فللقوامة قدر محدد تنتهي إليه، لا يملك معه الرجل أن يتناول على حرية المرأة، وحب الغلبة ليس من منهج الإسلام في شيء.

وفي تقديم الله للتفضيل الإلهي الفطري: ﴿بما فضل الله﴾ على التفضيل الكسبي ﴿بما أنفقوا﴾ دلالة على أن المرأة مهما بلغت في الكسبيات فلا تصلح للقوامة على الرجل، فالتسليم بهذه القوامة تسليم لوجه الله، ولهذا عقب بقوله: "فالصالحات...". وكأن فيه إعلاناً للنساء بأنهن قد أقمن في مقام الابتلاء بالخضوع لهذه القوامة وأنهن ينطوين على ما ينفعهن إلى التوقف أو التسليم بالخضوع لتلك القسمة المكلفة للرجل بالقوامة⁽²⁾.

(1) "أسباب النزول وأسرار البلاغة في القرآن الكريم"، د. نور الدين عتر (مجلة الوعي الإسلامي: العدد

242، صفر 1405هـ)، ص 10، 11.

(2) انظر: سبل الاستنباط، ص 92.

رابعاً: ومما يتوافق مع تحديد المفهوم الصحيح للقوامة على الوجه السابق إثارة الإظهار في مقام الإضمار في قوله: "بما فضل الله بعضهم على بعض". وكان مقتضى المقام: (بما فضلهم عليهن) ومن أسرار ذلك أن الإضمار يقتضي ضرورة فضل كل رجل على كل امرأة، وهذا ليس بمراد إنما المراد هو تفضيل للجنس على الجنس لا لجميع أفراد الرجال على جميع أفراد النساء، فكم من امرأة تفضل زوجها في العلم والعمل بل في قوة البدن والقدرة والكسب⁽¹⁾.

يقول أبو حيان: "وعدل عن الضميرين فلم يأت ﴿بما فضل الله عليهن﴾ لما في ذكر بعض من الإبهام الذي لا يقتضي عموم الضمير فرب أنثى فضلت ذكراً"⁽²⁾.

ويتضح مما سبق بيانه أن: "المرأة من الرجل، والرجل من المرأة بمنزلة الأعضاء من جسم الإنسان، ولا ينبغي أن يتكبر عضو على عضو لأن كل واحد يؤدي وظيفته في الحياة ولا غنى لواحد عن الآخر"⁽³⁾.

"وليست القوامة سلطة حكمية تعسفية بل هي قوامة مسؤولية تكليفية لها واجبات والتزامات مادية واجتماعية"⁽⁴⁾.

وهكذا تبنى الجمل على مثل هذه الصياغة في الأحكام كأحكام العدة يقول تعالى: ﴿وَأَلَّتِي يَبْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ...﴾⁽⁵⁾.

فلما كانت هذه الأحكام موطن تساؤل وتشريع جاءت بصيغة جامعة شاملة لم تترك أدنى سؤال خاص يتردد في ذهن السائل فهي أحكام لا تتغير

(1) انظر: تفسير المنار، ج5، ص57.

(2) انظر: البحر المحيط، ج3، ص229.

(3) تفسير آيات الأحكام، الصابوني، (القاهرة: دار إحياء الحديث، ط التاسعة، ب. ت.)، ج1، ص467، وانظر: تفسير المنار، ج5، ص56.

(4) "لمحات نفسية في القرآن الكريم"، د. عبد الحميد محمد الهاشمي، (سلسلة شهرية تصدر مع مطلع كل شهر عربي، السنة الثانية، دار الأصفهاني، جدة، 1402هـ، صفر، العدد (11))، ص186.

(5) سورة الطلاق الآية:4.

أحوالها، ولا تتدخل فيها الأهواء والعادات لما يترتب عليها من قرار التزويج بعد انتهاء العدة لكل حالة من الحالات السابقة، فللمرأة الحق إن انقضت عدتها أن تتزين وتتصنع للتزويج⁽¹⁾. فالمرأة هي صاحبة القرار في هذا الشأن. وقد أدت الجمل بصياغتها وبنائها على الاسمىة تحقيق هذا المطلب وكأن الأمر قد أصبح موطن تنفيذ وتسليم على الدوام والاستمرار، وستأتي جمل أخرى في المطلب التالي.

3- التقديم والتأخير:

عدّ البلاغيون وعلماء اللغة -كما سبق-⁽²⁾ التقديم والتأخير أحد أساليب البلاغة والفصاحة، وجعلوه من أسباب الإعجاز البياني في لغة القرآن الكريم. والبلاغيون ركزوا في حديثهم عن هذا الأسلوب في إفادته التوكيد والتقوية في مقامات تقتضي ذلك وتدعو إليه، وقد لمح عبد القاهر بحسه الجمالي أثر هذا الأسلوب على المتلقي متخطياً بذلك بحوث سابقه. ولأن الآيات. موطن الدراسة. مما يحتاج إلى توكيد وتقوية في إثبات مضامينها، فقد تردد هذا الأسلوب في هذه الآيات ومثل خاصية من خصائص أساليبها.

وأغراض التقديم وإن كانت متعددة فإنها في الحقيقة لا تتعارض في دلالاتها على التوكيد والتقوية ولفت الانتباه والاهتمام بالشيء، وأكثر ما يتجلى غرض التوكيد في تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي، ومن أظهر الشواهد على ذلك قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ...﴾⁽³⁾. يأتي الأمر فيه على صورة الخبر، ويزيده توكيداً تقديم المسند إليه على خبره الفعلي للدلالة على تأكيده وتحقق مضمونه⁽⁴⁾. "فبناء الفعل على الاسم يعلي

(1) انظر: تفسير ابن كثير، ج1، ص507.

(2) انظر: ص41، 101 من هذا المبحث.

(3) سورة البقرة الآية: 233.

(4) انظر: الكشف، ج1، ص250، فتح القدير، ج1، ص244.

وجوب الوقوع منهن إلى درجة يقترب فيها التوكيد من التخصيص ويدخل فيه حين تتحقق شرائطه⁽¹⁾.

والآية بهذا المسلك تؤكد حق الأم في هذا الإرضاع إذا ما أرادت وقبلت أجر مثلها من المرضعات وليس للزوج منعها أو حرمانها منه، وهذا الحق الذي تقرره الشريعة هنا يتوافق مع الوضع الطبيعي الذي انبنت عليه غريزة الأم تجاه ابنها، وانبني عليه كيان الطفل في حاجته إلى أمه⁽²⁾، فالوالدات أحق بوضاع أولادهن سواء أكانت في حيالة الزوج أو لم تكن فإن الإرضاع من خصائص الولادة لا من خصائص الزوجية وهو أقرب إلى فطرة الأم وأقرب إلى عدالة التخلق بالإسلام، وهذا هو السر في مثل هذا التركيب، فلأن الأم ليست بحاجة إلى التصريح بأمرها بالإرضاع إن هي كانت على فطرتها، كان ذلك أولى بأن يخبر عنه أنه يقع منهن تشريعاً وفطرة، ولثبوته ووجوبه عند ذي الحجى ديانة ومروءة⁽³⁾.

ويؤيد هذا: التصريح بالمفعول به (أو لادهن) وإضافته إلى ضمير الوالدات مع كونه معلوماً إشعاراً بأحقية الوالدات بإرضاعهم، وترغيباً لهن في ذلك وتذكيراً بداعي العطف والحنان⁽⁴⁾.

ومع كل هذا فالأعلى في النظر أن يكون ذلك حقاً لها وحقاً عليها أيضاً⁽⁵⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ۗ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ۗ ذَلِكَُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾⁽¹⁾.

(1) صورة الأمر والنهي ، ص78.

(2) انظر: ماذا عن المرأة، د . نور الدين عتر، (دمشق: دار الفكر، ط الرابعة، 1402هـ-1981م)، ص106، 107.

(3) انظر: البحر المحيط ، ج2، ص211، التحري والتنوير، ج2، ص430.

(4) انظر: التحري والتنوير، ج 2، ص430، قيس من نور القرآن، دراسة تحليلية موسعة بأهداف ومقاصد السور الكريمة"، محمد علي الصابوني، (دمشق: دار الفكر، ط الثالثة، 1409هـ-1989م). ص72.

(5) انظر: صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم، ص77-78.

جاء النهي فيها عن عضل النساء دفعاً للضرر عنهن، وذيلت الآية بما يفيد التعليل لما قبله (والله يعلم وأنتم لا تعلمون) وجاء التذييل في هيئة القصر بطريق التقديم، حيث قَدِّم المسند إليه على الخبر الفعلي في جملة التذييل فأفاد في الجملة الأولى قصر العلم على الله عز وجل، وأفاد في الجملة الثانية قصر عدم العلم على المخاطبين، والمراد من ذلك أن الله يعلم ما فيه صلاح أموركم من الأحكام والشرائع من جملتها ما بين في هذه الآية ومن أهم ذلك أنه يعلم ما تنطوي عليه قلوب الزوجين من ميل كل منهما للآخر، ولذلك نهى عن العضل، أما الذين يقعون فيه فهم لا يعلمون شيئاً من ذلك، فالواجب امتثال أوامر الله والبعد عن نواهيه⁽²⁾.

ومن المواضع التي قَدِّم فيها المسند إليه على خبره الفعلي مفيداً اختصاص الحكم بالمسند إليه وقصره عليه قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ۗ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ...﴾⁽³⁾.

فالتأكيد بالقصر هنا عن طريق التقديم حيث قدم المسند إليه : الله يفتيكم ليجعل هذه الفتوى مختصة بالله تعالى بغية الاهتمام بها، والعمل بمقتضاها حيث كانت موضع حيرة عند القوم بعد نزول الآيات في أول السورة تقرر حقوقاً للنساء جديدة عليهم، وكأن نفوسهم كانت تتطلع في بيان هذه الحقوق إلى شيء من التخصيص فلجأوا إلى سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فإذا به يوجههم إلى مسلك الفتيا الحقيقي تعظيماً لشأن هذه الفتوى، فإسناد هذا الحكم إلى الله بهذا الأسلوب حمل معه رادعاً قوياً وزاجراً عنيفاً لمن يحاول العبث بحقوق النساء فهي أحكام صادرة من الله تعالى وهو المفتي فيها ولا سبيل لتغيير ذلك⁽⁴⁾.

ومع إفادة تقديم لفظ الجلالة تخصيص حكم الإسناد فإنه كذلك حمل معه الوعد والبشرى المستمرين من خلال التعبير بالفعل المضارع تنبيهاً للمسلمين

(1) سورة البقرة الآية: 223.

(2) انظر: إرشاد العقل السليم، ج1، ص234، البحر المحيط، ج2، ص205.

(3) سورة النساء الآية: 127.

(4) انظر: "النظم الفني في القرآن"، د. عبد المتعال الصعيدي، (القاهرة، مكتبة الآداب، ب.ت)، ص86.

على وجوب العودة إلى كتاب الله في الأحكام التي جاءت في شأن النساء كلما تجدد ذلك منهم لتكون المسلمة في حماية دائمة من ظلم الرجل بسبب ضعفها أمامه⁽¹⁾.

ومما يجري على هذه السبيل أيضاً قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾⁽²⁾.

ومن اللافت في هذه الآية تأخير الحديث عن هذا الموضوع من المواريث ولعل ذلك من باب العناية والاهتمام بها بإفراد هذه القضية في موضع خاص بها تأكيداً على حق الوارث من غير أصل ولا فرع، ولفت الأنظار إلى هذا لتكون العناية بهذه المواريث حاضرة على مدار السورة من أولها إلى آخرها⁽³⁾.

يقول البقاعي موضحاً الحكمة في مجيء آيات المواريث متفرقة في السورة: "لما تقدم أن تفريق القول فيما تأباه النفوس وإلقاءه شيئاً فشيئاً باللفظ والتدرج أدعى لقبوله، وللإشارة إلى شدة الاهتمام بأمر الفرائض يجعل الكلام فيها في جميع السورة أولها وأثنائها وآخرها، والتخويف من أن يكون حالهم كحال المنافقين في إضلال أهل الكتاب لهم بإلقاء الشبهة، وأخذهم من الموضع الذي تهواه نفوسهم، ومضت عليه أوائلهم وأشربته قلوبهم، والترهيب من أن يكونوا مثلهم في الإيمان ببعض والكفر ببعض فيؤدي ذلك إلى إكمال الكفر، لأن الدين لا يتجزأ بل من كفر بشيء منه كفر به جميعه، ومن هنا ظهرت مناسبة آخر هذه السورة لأولها، لأن أولها مشير إلى أن الناس كلهم كشيء واحد، وذلك يقتضي عدم الفرق بينهم إلا فيما شرعه الله، وآخرها إلى ذلك بالتسوية بين النساء والرجال في مطلق التوريث لقرب الأرحام وإن اختلفت الأنصاء"⁽⁴⁾.

(1) انظر: "البحر المحيط" ج3، ص259، وانظر: سورة النساء، دراسة بلاغية تحليلية، (خديجة محمد البناني، رسالة دكتوراة، جامعة أم القرى، 1422هـ-2001م)، ص206.

(2) سورة النساء الآية: 176.

(3) انظر: نظم الدرر، ج2، ص382. تفسير المنار، ج6، ص95.

(4) نظم الدرر، ج2، ص382.

وإذا كان التقوي والتوكيد لا يكون بتقديم المسند إليه على خبره الفعلي فحسب بل يكون في تقديم المسند أحياناً، فمن أساليب التوكيد في اللغة العربية بشكل عام، وفي القرآن الكريم بوجه خاص تقديم موضع الكلام الذي من حقه أن يتأخر لولا قصد الاهتمام به وتوكيده وتقريره، فمن سبيل تقوية الحكم وتركيز معناه وتقريره تقديمه في الكلام⁽¹⁾.

وفي آيات حقوق المرأة تبدو ظاهرة التوكيد طابعاً عاماً فقد ظهر ذلك في أكثر من موضع من هذه الآيات.

يقول تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ...﴾⁽²⁾.

فقد قدم المسند (للذين) على المسند إليه (تربص) للاهتمام بهذه التوسعة التي وسع الله بها على الأزواج، وللتشويق لذكر المسند إليه⁽³⁾. "فهذه المدة كفيلة بالإصلاح بين الزوجين، وكفيلة بتكوين نظرة متأملة للزوج واختبار لمشاعره، وتشويق لذكر المسند إليه، فالسامعون لم يبتدعوا الإيلاء، بل كان موجوداً منذ الجاهلية، وأحكامه متروكة للزوج ليس للمرأة فيها أدنى حق؛ فإذا تقدم المسند اشتاقت النفس لمعرفة المسند إليه فإذا سمعته تمكن منها فضل تمكن، وعرفته حق المعرفة وهو المقصود بالكلام"⁽⁴⁾، "لأن الإيلاء من النساء هضم لحقوقهن"⁽⁵⁾.

فالتوقيت بهذه المدة يدفع الضرر عن الزوجة بعد أن كان أهل الجاهلية يؤلون السنة والسننتين، وأكثر من ذلك، يقصدون بذلك ضرار النساء، وقد قيل إن الأربعة الأشهر هي التي لا تطيق المرأة الصبر عن زوجها زيادة عليها.

(1) انظر: "بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، د . علي أبو القاسم عون، (بيروت: دار المدار

الإسلامي، ط الأولى، 2006م)، ص159.

(2) سورة البقرة الآية:226.

(3) انظر: التحرير والتنوير، ج2، ص385

(4) انظر: الأسرار البلاغية للتقديم والتأخير في سورة البقرة، خالد بن محمد بن إبراهيم العثيم، (رسالة

ماجستير: جامعة أم القرى، 1418هـ)، ص229.

(5) انظر: التحرير والتنوير، ج2، ص396.

إن الإسلام هنا لم يترك للرجل مطلق الإرادة يتصرف كيف شاء، وإنما وضع الضوابط التي تحمي كرامة المرأة بعد أن كان الإيلاء يذلها ويضرها ويحرمها من حقها في المعاشرة الزوجية⁽¹⁾.

ومن تقديم المسند قوله تعالى: ﴿وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَ دَرَجَةٌ﴾⁽²⁾.

"فتقديم الظرف (لهن) للاهتمام بالخبر، لأنه من الأخبار التي لا يتوقعها السامعون فقدم ليصغى السامعون إلى المسند إليه، بخلاف ما لو أخرج فقيل (ومثل الذي عليهن لهن بالمعروف). وفي هذا إعلان لحقوق النساء وصداع بها وإشادة بذكرها، ومثل ذلك من شأنه أن يتلقى بالاستغراب فذلك كان محل الاهتمام"⁽³⁾. والاهتمام لون من ألوان التوكيد، والآية بهذا صريحة في تأكيد احترام الإسلام لحقوق النساء، والداعي لذلك "أن حقوق الرجال على النساء مشهورة مسلمة من أقدم عصور البشر، فأما حقوق النساء فلم تكن مما يلفت إليه أو كانت متهاونا بها، وموكولة إلى مقدار حظوة المرأة عند زوجها، حتى جاء الإسلام فأقامها، وأعظم ما أسست به هو ما جمعته هذه الآية"⁽⁴⁾.

وفي صياغة القول الكريم على هذا التركيب ما يؤكد أن هذه الحقوق ثابتة غير منتزعة من حق الرجل بل هي مماثلة مبنية على حقوق في مقابل واجبات عند الطرفين، وكلما كانت الواجبات أكثر كانت الحقوق أكثر، وهذا ما يفصح عنه التركيب "ولهن مثل الذي عليهن": حيث قام على أسلوب الاحتباك⁽⁵⁾.

(1) انظر: من البلاغة القرآنية في آيات أحكام النساء. ص 315.

(2) سورة البقرة الآية : 228.

(3) التحرير والتنوير ، ج2، ص397.

(4) المصدر السابق، ص396، ويؤيد هذه النظرة ما ذكره ابن عباس عن عمر قال: "كنا في الجاهلية لا نعد النساء شيئاً فلما جاء الإسلام وذكرهن الله رأينا بذلك علينا حقاً من غير أن ندخلهن في شيء من أمورنا". فتح الباري، ج10، ص314.

(5) الاحتباك: وسماه الزركشي الحذف المتقابل: هو أن يجمع في الكلام متقابلان فيحذف من كل واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه". انظر الإتيان في علوم القرآن، ج2، ص61، وانظر: معجم المصطلحات البلاغية، ج1، ص56.

وهو أسلوب لا يخفى لطفه حيث حذف في الأول بقرينة الثاني، وحذف في الثاني بقرينة الأول، كأنه قيل: ولهن عليهم مثل الذي لهم عليهن، أو ولهن على أزواجهن مثل الذي لأزواجهن عليهن، فحذف عليهم و (على أزواجهم) لإثبات (عليهن) وحذف (لهم) أو لأزواجهن لإثبات (لهن)⁽¹⁾.

ويضاف إلى هذا ما يؤديه الطباق بين لهن وعليهن من تأكيد المعنى وتقويته وإبراز هذه الحقوق في صورة المقابلة والواقعية التي لا سبيل إلى إنكارها.

ثم يأتي التعبير بـ(المعروف) حاملاً معه في ظل هذه الكلمة المأنوسة ما يوحي برعاية هذه الحقوق على وجه من الجمال وحسن المعاشرة المبنية على ما تعرفه العقول السليمة والمجردة من الانحياز إلى الأهواء أو العادات فهي حقوق معتبرة وقائمة لكلا الزوجين.

ويسري أسلوب التقديم في الآية بعد ذلك في قوله: "وللرجال عليهن درجة" حيث قدم المسند "للرجال" على المسند إليه (درجة) وأقام المظهر مقام المضمرة وكل ذلك للتنويه بالرجولية التي ظهرت بها المزية للرجال على النساء فالعلة في هذا التفضيل كما يقول أبو حيان: كونه رجلاً يغالب الشدائد والأهوال ويسعى في مصالح زوجته، ويكفيها تعب الاكتساب حتى قال ابن عباس رضي الله عنه: تلك الدرجة إشارة إلى حض الرجال على حسن العشرة والتوسع للنساء في المال والخلق أي أن الأفضل ينبغي أن يتحامل على نفسه ويبيدي في المعاملة ما يكشف عن استحقاق هذه الرتبة والمنزلة، فالدرجة ليست درجة تشريف بقدر ما هي درجة تكليف، وإذا كان هذا الرجل لا يحمل من معاني الرجولية إلا الذكورية فقط خفتت قيمة تلك الدرجة، وتبين من خلال هذه الجملة أنها كالتهديد للرجال في الإقدام على مضارة النساء وإيذائهن، وذلك لأن كل من كانت نعم الله عليه أكثر، كان صدور الذنب عنه

(1) انظر: "البحر المحيط" ج2، ص189، روح المعاني، ج2، ص35.

أقبح واستحقاقه للزجر أشد، ولهذا قدم الخبر "وللرجال" للاهتمام بما تفيده اللام من استحقاقهم تلك الدرجة⁽¹⁾.

ونلاحظ أثر التقديم في إثبات المعنى وتمكينه في نفس السامع في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْعُرُوفِ لَا يُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارُّ وَالِدَةُ بَوْلِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ ۗ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾⁽²⁾.

فقد جاءت هذه الجملة في صورة المبتدأ والخبر، وقدم المسند على المسند إليه: "وجاء الخبر جاراً ومجروراً بلفظ (على) الدال على الاستعلاء المجازي المفيد معنى الوجوب والإلزام، فأكد بذلك مضمون الجملة، لأن من عادة المرء أن يمنع ما في يده من المال، ويهمل ما يجب عليه من الحقوق فأكد ذلك، وقدم الخبر على سبيل الاعتناء به وجاء الرزق مقدماً على الكسوة لأنه الأهم في بقاء الحياة والمتكرر في كل يوم"⁽³⁾.

ويزداد حق الأم المرضعة وضوحاً في العدول عن لفظ الوالد إلى المولود له ففي ذلك إشارة إلى المقتضى الذي أوجب عليه بذلك مؤونة المرضعة يقول الزمخشري: "فإن قلت: لم قيل (المولود له) دون (الوالد) قلت ليعلم أن الوالدات إنما ولدن لهم لأن الأولاد للآباء ولذلك ينسبون إليهم لا إلى الأمهات، فكان عليهم أن يرزقوهن ويكسوهن إذا أرضعن ولدهم كالأظار"⁽⁴⁾. والآية بهذا الأسلوب ربطت بين حق الرجل، وحق المرضعة وسعت إلى شد الروابط بينهما بكل أسباب الشفقة والحنان فالولد ليس أجنبياً عن الوالدين هذه أمه وذاك أبوه، وكيف يبخل الرجل في الإنفاق على المرضعات، وهن قد حبسن أنفسهن لخدمة هؤلاء الصغار من أجل التربية والإرضاع⁽⁵⁾.

(1) انظر في هذا: البحر المحيط، ج2، ص197، التفسير الكبير للرازي، ج6، ص443، التحرير والتنوير، ج2، ص401.

(2) سورة البقرة الآية: 233.

(3) انظر: البحر المحيط، ج2، ص215.

(4) انظر الكشاف، ج1، ص141، وانظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية " د. عبد العظيم المطعني، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط الأولى، 1413هـ-1992م). ج1، ص285.

(5) انظر: قيس من نور القرآن للصابوني، ص73.

ويلفت الرازي إلى أن حق الأم هنا أكثر من حق الأب من خلال تكرار الوصية بالولد في كل الأحوال حيث وصى الأم أولاً برعاية الطفل ثم الأب، وفي هذا دليل على أن الطفل محتاج إلى رعاية أمه أكثر من رعاية الأب⁽¹⁾. وتشعر الإضافة في (رزقهن) و(كسوتهن) بأحقية الأمهات في هذا الأمر. وفي سبيل تقرير هذا الحق تسلك الآية نفس المسلك في قوله: ﴿وعلى الوارث مثل ذلك﴾ ففيه أيضاً تقديم الخبر اهتماماً به وتقريباً لهذا الحق الذي يبقى في ذمة الوارث للمولود له.

إن الإسلام هنا يضع المرأة مسؤولة عن رعاية الأسرة، ويحاول حمايتها من عوامل الفساد والهلاك وتهيئة الوضع المناسب للقيام بهذه الرعاية التي لا ينهض بها إلا الأم، ولما كانت حاجة الكدح من أجل الرزق تشكل عثرة كبرى من شأنها أن تصد الزوجة الأم عن النهوض بمهامها - كما هو الحال في المجتمعات الغربية. فقد أراح الشارع هذه العثرة عن طريق الزوجة عندما حمل الزوج مهمة كفايتها المعيشية على المستوى اللائق من التكريم⁽²⁾. وفي قوله تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾⁽³⁾. يأتي تقديم المسند "للمطلقات" بغية الاهتمام بهن والتأكيد على حقهن في المتعة التي سبق الكلام عليها⁽⁴⁾.

ويظهر أثر التقديم واضحاً جلياً في قوله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾⁽⁵⁾.

فتقديم المسند (للرجال، للنساء) في الموضعين جاء لإثبات وتأكيد هذا النصيب وإرادة تقوية الحكم والاهتمام بنصيب كل من الفئتين الرجال

(1) انظر: التفسير الكبير للرازي، ج6، ص462.

(2) انظر: "المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني"، د. محمد سعيد رمضان البوطي، (دمشق: دار الفكر، ب.ط، 1996م)، ص66.

(3) سورة البقرة الآية: 241.

(4) انظر: ص194، من هذا البحث.

(5) سورة النساء الآية: 7.

والنساء مما يشعر بالاستحقاق الذي تدل عليه اللام وبالعدل الذي يفيد التقسيم والغرض البلاغي هنا هو إيراد حكم شرعي عظيم قلب ذلك المفهوم الخاطئ الذي كان سائداً زمن الجاهلية في عدم توريث النساء، فمن أجل تثبيت ذلك في نفوس المتلقين قدم المسند وآخر المسند إليه لأنه مناط الحكم⁽¹⁾.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ^٢ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَأَتَوْهُمْ نَصِيحَةً^٣ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا⁽²⁾﴾.

فقدم الجار والمجرور (لكل) على متعلقه (جعلنا) ليفيد التأكيد والاهتمام بشمولية هذا الجعل يقول أبو السعود: "كل مفعول ثان لجعلنا قدم عليه لتأكيد الشمول، ودفع توهم تعلق الجعل بالبعض دون البعض"⁽³⁾.

والآية بهذا البيان تنبه إلى هذه الشرعة الواجبة في الحقوق والأموال التي يتساوى فيها الجميع خلافاً لما جرت به عاداتهم في الجاهلية في توزيع ذلك.

وفي تقديم المسند في قوله تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ⁽⁴⁾﴾.

يذكر الطاهر بن عاشور لفظة بلاغية جميلة في سر التقديم حيث يرى أن ذلك "للتنبيه من أول الأمر على أن الذكر صار له شريك في إرث وهو الأنثى لأنه لم يكن لهم به عهد من قبل إذ كان الذكور يأخذون المال الموروث كله، ولا حظ للإناث، فالتقديم جعل حظ الانثيين هو المقدار الذي يقدر به حظ الذكر وفي هذا إشارة إلى أن حظ الأنثى صار في اعتبار الشرع أهم من حظ الذكر إذ كانت مهضومة عند أهل الجاهلية"⁽⁵⁾.

(1) انظر: التحرير والتنوير، ج4، ص247، وانظر: "سورة النساء دراسة بلاغية تحليلية"، ص211.

(2) سورة النساء الآية: 33.

(3) إرشاد العقل السليم، ج2، ص172، وانظر: التحرير والتنوير، ج5، ص33، 34.

(4) سورة النساء الآية: 11.

(5) التحرير والتنوير، ج4، ص256، 257.

وشاع أسلوب التقديم في بيان المواريث في أكثر من موضع كما في قوله تعالى: ﴿ فَلهُنَّ ثُلُثًا مَّا تَرَكَ ﴾ ﴿ فَلهَا النِّصْفُ ﴾ ﴿ وَلهِنَّ الرُّبْعُ ﴾ ﴿ فَلهُنَّ الثُّمْنُ ﴾ ﴿ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ﴾ ﴿ فَلِأُمَّهَ الثُّلُثُ ﴾ ﴿ فَلِأُمَّهَ السُّدُسُ ﴾ (1).

وتقديم الخبر هنا نص على تأكيد الملكية لهذه الأنصبة دون منازعة وفيه اهتمام بهذه الأحكام.

ومن ذلك أيضاً قوله: ﴿ فَلهَا نِصْفُ مَّا تَرَكَ ﴾، وقوله: ﴿ فَلهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ﴾ (2). فالتقديم هنا تأكيد لأحقية الأخت في نصف تركة أخيها عند عدم وجود الفرع أو الأصل الوارثين، وكذلك أحقية الأختين في ثلثي تركة أختهم عند عدم وجود الفرع أو الأصل الوارثين، والمقتضى البلاغي لهذا التأكيد هو غرابة الخبر حيث إنهم قد يستغربون أن يكون للأنثى ما ذكر فإنهم ما كانوا يورثونها على الإطلاق، فكيف تنفرد بنصف تركة أخيها أو بثلثيها عند وجود أخت معها، فإن ذلك ربما جعلهم يقابلون هذا الحكم بالإنكار فضلاً عن أن يستغربوه فاستدعى ذلك مجيء الصياغة بهذا التأكيد لمقابلة حالة الإنكار عندهم (3).

إن التقديم في مثل المواقع السابقة أحدث " تغييراً في المواقع، وفي الصلاحيات، وفي الأضواء وفي الأثر النفسي، لأن المقدم يحتل مركزاً ممتازاً، فهو أول ما يقع عليه العين، وأول ما يعجب به، وأول ما تقع النفس تحت أضوائه فتتشغل به، لأنه يستحق هذا، ولأنه في غير مكانه الذي تعودنا أن نراه فيه" (4).

ومثل التقديم فيما سبق ظاهرة بلاغية رائعة أكسبت الكلام جمالاً وتأثيراً ومنحته قوة وتوكيداً.

(1) سورة النساء الآية: 11-12.

(2) سورة النساء الآية: 176.

(3) أساليب التوكيد في سورة النساء، ص 525.

(4) بلاغة الكلمة والجملة والجمل، د. منير سلطان، (الإسكندرية: منشأة المعارف، ب.ت)، ص 38.

4-القصر:

حين يأتي القصر في موضعه فإنه يصيب المعنى الدقيق، بالإضافة إلى ما يحويه هذا الأسلوب من إقرار وتوكيد بأوجز عبارة وأروع أسلوب.

وقد ورد هذا الأسلوب في التنزيل كثيراً، وما ذلك إلا لأنه وسيلة إلى تمكين الكلام وتقريره في الأذهان، لدفع الإنكار أو الشك في أمر ما.

ونظراً لحاجة هذه الحقوق إلى الإثبات والتقرير فقد اعتمدت في شيء منها على هذا الأسلوب كقوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلِينَ كَامِلِينَ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بَوْلِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ (1).

فجملة: (لا تكلف نفساً إلا وسعها) جاءت بعد أن أمر الله الوالدات أن يرضعن أولادهن حولين كاملين، وبعد أمر الوالد بالإنفاق والكسوة، ولأن هذا الأمر تكليفي فيظن معه المخاطبون أن الله يكلفهم بما يطيقون وما لا يطيقون، من أجل ذلك كانت هذه الجملة بمثابة التأكيد على أن التكليف مقصور على الوسع والطاقة حيث قصرت الآية تكليف النفوس على الطاقة الواسعة، ونفيه عن عدم الطاقة والمشقة، وهذا القصر من قبيل قصر الموصوف على الصفة: أي "أن الله لا يكلف واحداً منهما ما ليس في وسعه" (2). "لأن النفس إذا لم تكلف إلا طاقتها لا يقع ضرر لا للوالدة ولا للمولود له" (3).

ويفهم من هذا أن النفقة والكسوة الواجبتين على الأب مما يتعارف به الناس لا يكلف منها إلا ما يدخل تحت وسعة وطاقته لا ما يشق عليه ويعجز عنه وقيل لا تكلف المرأة الصبر على التقدير في الأجرة، ولا يكلف الزوج الإسراف، بل يراعي في ذلك القصد (4).

(1) سورة البقرة جزء من الآية: 233.

(2) الكشاف، ج1، ص252.

(3) البحر المحيط، ج2، ص415.

(4) انظر: المصدر السابق، ج2، ص214، الجامع لأحكام القرآن، ج3، ص108.

وقد فصلت هذه الجملة: " لا يكلف الله نفس إلا وسعها " عن الجملة السابقة لكمال الاتصال بينهما فهي كالمفسرة لها كما أنها وقعت معترضة بين المعطوف (وعلى المولود) والمعطوف عليه (وعلى الوارث) وأبرزت هذه الجملة أيضاً في صورة الفعل ومرفوعة، وأتى بمرفوعه نكرة لأنه في سياق النفي فيعم ويتناول بذلك حكم الوالدات في الإرضاع، وحكم المولود في الرزق والكسوة للذين للوالدات⁽¹⁾.

ومن القصر بطريق النفي والاستثناء ما ورد في قوله تعالى في بيان أحكام الظهر: ﴿إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ﴾⁽²⁾.

فهنا قصر حقيقي قصر فيه الموصوف (الأمهات) على الصفة الولادة وفي هذا تمهيد لإبطال صيغة الظهر في تحريم الزوجة، أي أن قول المظاهر في تشبيه الزوجة بـ(الأم) في الحرمة تشبيه باطل لا صحة له، فالأمهات حقيقة هن الوالدات.

ولما كان هذا الحكم قد استقر في نفوسهم استقراراً لا يزول إلا بالتأكيد ساق الكلام على هذا الوجه: ﴿إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ﴾، ونسأؤهم لم تلدهم، وهذا دليل على قبح هذا الفعل. وتقريع لهم على هذا الاعتقاد الباطل في جعل الزوجة أمّاً تحرم حرمة مؤبدة ويدفعهم هذا كما كانوا يصنعون إلى تجنب الزوجة كما يتجنبون المطلقة⁽³⁾، وفي هذا التصرف " استهانة بحق الزوجة الجنسي حين يظاهرها الزوج ويعتبرها أما له، وما هي كذلك بل هي زوجة لها من الحقوق الجنسية ما له"⁽⁴⁾.

ومن طرق القصر تعريف الطرفين، وغالباً ما يأتي في خاتمة الآيات المتعلقة بحقوق المرأة كقوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾⁽⁵⁾.

(1) انظر: البحر المحيط، ج2، ص216.

(2) سورة المجادلة الآية: 2.

(3) انظر: نظم الدرر، ج7، ص480، 482.

(4) المرأة من خلال آيات القرآن الكريم، ص118.

(5) سورة البقرة الآية: 229.

جاءت هذه الآية بعد سياق يعالج أحكاماً وحقوقاً خاصة بالنساء (كالطلاق والعدة والإيلاء) وبين فيها -تعالى- أن هذه الأحكام إنما هي في الحقيقة حدود تتحقق بها المصالح، وتزول بها المفسد والأضرار، وتجاوزها يعني التساهل في التكاليف، وهو أمر لا يرضاه الله لما يترتب عليه من العبث بشؤون الأسرة التي كثف القرآن عنايته باستقرارها، ولهذا نهى الله عن تجاوز هذه الحدود رفضاً أو مخالفة أو تساهلاً⁽¹⁾، ورتب على هذا التجاوز أشد العقاب، واعتمدت الآية على أسلوب الشرط وما فيه من ترتيب وتسبب ولزوم بين الجزاء والشرط ثم جاءت جملة الجواب: (فأولئك هم الظالمون) (مشمئلة على مسالك التوكيد من خلال القصر بتعريف الطرفين وضمير الفصل (هم) واسمية الجملة كل ذلك مبالغة في التهديد والتنفير إلى أقصى مدى⁽²⁾).

ومن هذا القبيل ما ذكره الله في عقوبة الذين يرمون المحصنات حين ختم الآية بقوله: "وأولئك هم الفاسقون"⁽³⁾. فقد جاء القصر بتعريف الطرفين للتأكيد والمبالغة في شناعة فسقهم حتى كأنهم المستحقون وحدهم اسم الفاسقين لا غيرهم، وهو قصر موصوف على صفة، وقد زاد هذا التأكيد تعريف المسند إليه باسم الإشارة: ﴿أولئك﴾ الدال على تمييزهم أكمل تمييز بهذا الوصف، كما أن بناء الجملة على الاسمية دل على ثبوت هذا الحكم وتعلقه بهم ما لم يتوبوا، ويضاف إلى كل هذا توسط الفصل بـ (هم) بين المسند إليه والمسند مؤكدة ومفيدة اختصاصهم بهذا الحكم⁽⁴⁾.

5- الفصل والوصل:

يقوم هذا الأسلوب على النظر في معاني الكلام ولمح ما بين هذه المعاني من صلات وترابط وتلاؤم اقتضاه المقام وفرضه سياق الآيات، وهو ترابط

(1) انظر الأساليب الإنشائية، د. صباح عبيد دراز، (مصر: مطبعة الأمانة، ط الأولى، 1406هـ-1986م)، ص 89.

(2) انظر: البحر المحيط، ج 2، ص 200، إرشاد العقل السليم، ج 1، ص 227، التحرير والتنوير، ج 2، ص 413.

(3) سورة النور الآية: 4.

(4) انظر: إرشاد العقل السليم، ج 6، ص 158، وانظر "مع النظم القرآني في سورة النور"، ص 44.

وثيق يدعو إلى فصل جملة عن أخرى لما بينهما من كمال الاتصال لكون الثانية بمنزلة التأكيد للأولى.

ومن الآيات التي يمكن أن تؤخذ في هذا المقام ما ذكره أبو حيان في جملة "كتاب الله عليكم"⁽¹⁾. حيث جاءت بعد عدّ المحرمات من النساء، فأبو حيان يرى أن هذه الجملة جيء بها على سبيل التأكيد لجملة ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ...﴾ كآنه قيل: "كتاب الله عليكم تحريم ذلك كتاباً" ولهذا جعل قوله تعالى: (وَأَحْلَلْنَا لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ) معطوفاً على جملة (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ) لأنها مؤسّسة مثلها⁽²⁾.

والزمخشري يذهب إلى أن (كتاب) نصب بفعل محذوف أي كتب الله ذلك عليكم كتاباً وفرضه فرضاً وهو تحريم ما حرّم⁽³⁾.

والغرض من التأكيد هو المبالغة في تحريم هذه الأصناف والإحجام عن التفكير في مثل هذا النكاح مراعاة لحق الاحترام ومحافظة على العلاقة الأسرية وتقدير مشاعر المرأة لتعيش في علاقة أسرية نقية طاهرة بعيدة عن مواطن الخلل والبغض⁽⁴⁾.

ومن أقرب الأمثلة وأوضحها على هذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ...﴾⁽⁵⁾. فجملة "إن أمهاتهم إلا اللاتي ولدنهم" أكدت جملة (ما هن أمهاتهم) لأن الجملة الأولى نفت كون الزوجة أما فهو تشبيه باطل لا صحة له، والجملة الثانية أكدت هذا المعنى فالأمهات حقيقة هن الودات "فهو نفي لصيرورة المرأة أما بالظهار، وإثبات الأمومة للتي تلد الولد والزوجات لم يلدن القائلين⁽⁶⁾.

(1) سورة النساء الآية: 23.

(2) انظر: البحر المحيط، ج 3، ص 214.

(3) الكشف، ج 1، ص 435.

(4) انظر: "قبس من نور القرآن، ص 20، وانظر: أساليب التوكيد في سورة النساء، ص 116.

(5) سورة المجادلة الآية: 2.

(6) انظر: التحرير والتنوير، ج 28، ص 12، وانظر "إعراب القرآن وبيانه"، محيي الدين درويش (سوريا:

دار ابن كثير، ب. ط، 1408 هـ - 1988 م)، ج 10، ص 8.

والكلام في هذه الجملة يجري فيه كلام الإمام عبد القاهر حول جملة "ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم" فالإثبات تأكيد وتثبيت لنفي ما نفي"⁽¹⁾.

6- الإطناب وأنواعه:

يذكر الإطناب كما سبق لفائدة عظيمة هي : التوكيد وتثبيت المعنى في النفس وزيادة التقرير، حتى يتمكن في الذهن ويحيط به الشعور ولذلك كان الإطناب صفة محمودة في البلاغة⁽²⁾. إذا صادف مقاماً يقتضي ذلك.

ولأن مقامات التشريع من المقامات التي تستدعي الإحاطة بالشيء وامتلاء المشاعر به، فقد اعتمدت على هذا الأسلوب بغية البيان والتوضيح والتقرير.

ومن أهم أنواع الإطناب التي اشتملت عليها الآيات مناط الدراسة ما يلي:

- التكرار:

فحيث كانت هذه الحقوق موضع شأن كما يعلم كل مسلم؛ فالتكرار سيكون من طرق التوكيد الواضحة فيها وهي طريقة تجري في كلام العرب يقول العز بن عبد السلام: "واعلم أنه لا تؤكد العرب إلا ما تهتم به، فإن من اهتم بشيء أكثر من ذكره، وكلما عظم الاهتمام كثر التأكيد، وكلما خف خف التوكيد وإن توسط الاهتمام، توسط التأكيد"⁽³⁾.

ويذكر الزمخشري بعض أسرار التكرار فيقول: "النفوس أنفر شيء عن حديث الوعظ والنصيحة، فإن لم يكرر عليها عوداً على بدء لم يرسخ فيها، ولم يعمل عمله، ومن ثم كانت عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكرر عليهم ما كان يعظ به، وينصح ثلاث مرات وسبعاً ليركزه في قلوبهم ويغرسه في صدورهم"⁽⁴⁾.

(1) انظر: دلائل الإعجاز، ص229

(2) انظر: فن البلاغة، ص200، وانظر ، ص43، 105، 69، من هذا البحث.

(3) الإشارة إلى الإيجاز: ص274.

(4) الكشف، ج3، ص395.

وأول ظاهرة للتكرار يمكن تقييدها هنا هي تكرار لفظ الجلالة وإظهاره في موضع الإضمار ففي قوله تعالى: ﴿الطَّلِقُ مَرَّتَانٍ فَأَمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ وَلَا تَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (1).

تكرر لفظ الجلالة أربع مرات في مقام واحد " إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله، فإن خفتم ألا يقيما حدود الله، وتلك حدود الله، ومن يتعد حدود الله ". والحدود هنا كناية عن الشرائع والحقوق التي تقوم عليها الحياة الزوجية فكأن المقتضى البلاغي لهذا التكرار هو المبالغة في التهديد وتربية المهابة من الله والروعة والتخويف من انتهاك هذه الحدود والحث على تعظيمها، ولذا حسن هذا التكرار كون ذلك في جمل مختلفة (2). ومثل هذا: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يُخْرِجَنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ...﴾ (3). إن إبراز هذه الحدود وإضافتها إلى الله بعد سياق يعالج شؤون النساء يشعر بأهمية هذه الحقوق وأنها موصولة بشرع الله والالتزام بها التزام بالشرع والخروج عنها تعرض لسخط الله وغضبه.

وقد تردد هذا أيضاً بعد بيان الموارد فجاء في ختامها: ﴿فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (4). ﴿وَصِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ (5). فقد ذكر المسند له مرتين تأكيداً وتقريراً لمراقبة الله في مثل هذه القضايا، وكان يغني في السياق لو جاء: (فريضة من الله إنه كان عليماً حكيماً)، (وصية من الله العليم الحليم).

(1) سورة البقرة الآية : 229.

(2) انظر في هذا : البحر المحيط، ج2، ص199، إرشاد العقل السليم، ج 1، ص227، نظم الدرر، ج1، ص432.

(3) سورة الطلاق الآية: 1.

(4) سورة النساء الآية: 11.

(5) سورة النساء الآية: 12.

وكل هذا يدعو إلى وجوب تحري العدل وعدم الظلم في هذه الموارد التي شرعها الله فأظهار هذا الاسم الشريف (الله) وتكراره "يدفع في القلوب المؤمنة كل نزعة شر، ويطهرها على أمر الله، فأحرى به أن يذكر في هذه الفواصل التي جاءت تؤكد الحث على اتباع ما أمر به، و اجتناب ما نهى عنه"⁽¹⁾.

ومن الظواهر التعبيرية تكرار الوصية بالتقوى كقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾⁽²⁾.

فـ "تكرار الأمر بالاتقاء تأكيد وتبنيه لنفوس المأمورين"⁽³⁾. في مطلع سورة ترعى حقوق النساء ويأتي ذلك متناغماً مع مقصودها : "فلكثرة ما يعرض من رعي حظوظ النفوس عند الزوجية ومع القوامة -ويدق ذلك ويغمض- تكرر كثيراً في هذه السورة الأمر بالاتقاء، وبه افتتحت السورة : (يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ...)"⁽⁴⁾.

يقول الدكتور محمود توفيق: "والمتمثل في مساقات سورة النساء الكلية والجزئية والخصائص التركيبية المعجزة، وما بينهما من أواصر النسب يدرك وجه عناية هذه السورة بالأمر بالتقوى إذ كررته في فاتحة بيانها مرتين، فضلاً عما كرر فيها من بعد ذلك"⁽⁵⁾.

إن افتتاح السورة بالتأكيد على التقوى يؤكد أن هذه الحقوق والشرائع لا يمكن أن تصان إلا باستحضار التقوى وملازمة خشية الله، وتلك براعة استهلال أشار إليها ابن الأثير موضحاً أنه ابتداء يهيي أذهان المتلقين لاستقبال

(1) "من أسرار التعبير القرآني، ص 52.

(2) سورة النساء الآية: 1.

(3) المحرر الوجيز: ج 2، ص 3.

(4) نظم الدرر، ج 2، ص 170.

(5) سبل الاستنباط، ص 457.

ما في السورة من أحكام، وينبئ بعظمة هذه التشريعات وأهميتها في إصلاح حال الناس⁽¹⁾.

والوصية بالتقوى تلازم هذه الحقوق فتأتي كالتذييل لما سبقها من أحكام يأتي هذا واضحاً في سورة الطلاق التي عالجت أحكام الطلاق وبينت حقوق المطلقة، فقد جاء في أول السورة: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢٠﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾⁽²⁾. وبعد ذكر أحكام أخرى في نفس السورة عقبته بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ ثم جاء بعد ذلك وبعد أن قطعت السورة شوطاً كبيراً في بيان هذه الأحكام قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾⁽³⁾.

وقد استوقف هذا الأمر العلماء ورأوا فيه ضرباً من ضروب التقرير والتأكيد والتحذير، يقول أبو حيان: "لما كان الكلام في أمر المطلقات من أحكامهن من العدة وغيرها، وكن لا يطلقن أزواجهن إلا عن بغض لهن وكراهية جاء عقيب بعض الجمل الأمر بالتقوى مبرزاً في صورة شرط وجزاء (ومن يتق الله) إذ الزوج المطلق قد ينسب إلى مطلقته بعض ما يشينها، وينفر الخطاب عنها ويوهم أنه فارقها لأمر ظهر له فيها فلذلك تكرر قوله (ومن يتق الله) في العمل لما أنزله من هذه الأحكام محافظة على الحقوق الواجبة عليه من الإسكان، وترك الضرر والنفقة على المعتدات، وإيتاء أجر المطلقات، وغير ذلك مما يلزمه ويرتب له تكفير السيئات وإعظام الأجر"⁽⁴⁾.

ويقول الإسكافي: "إنما اقترن بالطلاق والعدة هذا الوعظ لأن الطلاق رفض حال متمهدة، وقطع آمال متأكدة، والعدة باستيفائها يخلص النسب ويصح للزوج الثاني الولد، ولو لم يكن هذا الحد الذي حده الله -تعالى- لكان

(1) انظر: المثل السائر، ج2، ص224.

(2) سورة الطلاق الآية: 2، 3.

(3) سورة الطلاق الآيات: 2، 4، 5.

(4) البحر المحيط، ج8، ص284.

الفساد متصلاً إلى انقضاء الدنيا، فهو أحق الأشياء بالمرعاة وتأكيد المقال فيه والوصاة⁽¹⁾.

ومن بلاغة التكرار وأثره في تأكيد المعنى ما جاء في قوله تعالى :
﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ
وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾⁽²⁾.

فقد أعادت الآية الكلام وكررت جملة كاملة : ﴿ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ
الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾ بكل ما فيها من أركان وقيود، والمقتضي من وراء ذلك
إيراد حكم النساء على الاستقلال دون الدرج في تضاعيف أحكام الرجال.

وما كان لهذه الحقيقة أن تكون ماثلة بهذا القدر من البيان فيما لو قيل :
للرجال وللنساء نصيب مما ترك الوالدان... "إن الآية سلكت هذا المسلك باعتبارها
فاتحة ذلك الحكم في المواريث حيث قلب هذا الحكم الموازين والعادات
الجاهلية حين أوردت الآية الحكم مستقلاً للاعتناء بأمر النساء والإيدان
بأصالتهن في استحقاق الإرث، والمبالغة في إبطال حكم الجاهلية حيث كانوا
يجعلون المرأة جزءاً من الإرث، وكانوا يقولون : إنما يرث من يحارب
ويحمي الحوزة ويحوز الغنيمة وللدرد عليهم نزلت هذه الآية⁽³⁾.

يقول البقاعي: "كرر قوله "مما ترك الوالدان والأقربون " موضع مما
تركوا لقصد التصريح للتأكيد، إشارة إلى أنه لا فرق بينهن وبين الرجال في
القرب الذي هو سبب الإرث"⁽⁴⁾.

(1) درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، الخطيب الإسكافي،
(بيروت: دار الأفق الجديدة، ط الثالثة، 1979م)، ص 489، 490.

(2) سورة النساء الآية: 7.

(3) انظر: إرشاد العقل السليم، ج 2، ص 146. ويذكر أيضاً أن أوس بن ثابت مات وترك ابنتين وابناً

صغيراً، فجاء ابن عمه خالد وعرفطة وهما عصبية، فأخذوا ميراثه كله، فأنت امرأته رسول الله

صلى الله عليه وسلم، فذكرت له ذلك، فقال : "ما أدري ما أقول؟ فنزلت " للرجال نصيب.... " الآية

انظر: المصدر السابق، لباب النقول، ص 64.

(4) نظم الدرر، ج 2، ص 217.

وتأخذ كلمة نصيب دوراً كبيراً في التأكيد على حق النساء فتكرارها يثبت أن كل فئة منهم مستحقين لأصل النصيب⁽¹⁾ وإن كان هذا النصيب غير متماثل بينهما إلا إنه يبقى نصيباً مفروضاً.

ومما زاد في التأكيد على هذا الحق العظيم أسلوب البديل في قوله: "مما قل منه أو أكثر" فهي بدل من قوله: "مما ترك" والغرض من هذا توضيح حق النساء والتنصيب على أحقيتهن في كل جزء من المال فالتوريث كما يكون في التركات الضئيلة يكون في التركات العظيمة، ولا يحق لأحد أن يستأثر بشيء دون الآخر.

يقول أبو حيان: "قوله: "مما قل منه أو أكثر" هو بدل من قوله: "ما ترك" الأخير، جاء على سبيل التوكيد إذ ليس فيه إلا توضيح أنه أريد بقوله (مما ترك) العموم في المتروك، وهذا البديل ذكر فيه نوعي المتروك من القلة أو الكثرة"⁽²⁾.

وقد أضفى الطباقي بين قل وكثر على الأسلوب قوة وتأكيداً وكل هذا يؤكد أن حق النساء في الميراث "حق معين مقطوع به لا محاباة فيه وليس لأحد أن ينقصهن منه شيئاً"⁽³⁾.

ومثل هذا التكرار يجري أيضاً في قوله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا...﴾⁽⁴⁾.

فقد أعاد أيضاً الجملة الخاصة بالنساء مستقلة، ولو لم تستقل لظلت شبهة النقص قائمة، ولكن الله بدد مخاوفهن بهذا التكرار وأكد حظهن وحقهن في نعيم الدنيا وثواب الآخرة، فالميزان كما تقرره الآية هو السعي والاكْتِسَاب، والاشتغال بهذا هو النافع المفيد، والاشتغال بغيره إنما هو مجرد عناء، فالله الذي خلق وهو العليم بما يصلح لكل مخلوق.

(1) انظر: التفسير الكبير للرازي، ج9، ص502.

(2) البحر المحيط، ج3، ص175.

(3) تفسير المنار: ج4، ص324.

(4) سورة النساء الآية: 32.

وقد يكون التكرار بإعادة حرف م عين لما يمثله من قوة في بيان المعنى والتأكيد عليه ترى هذا في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ...﴾ (1).

فقد ذكر الزمخشري أن (لا) الواردة في لا تعضلوهن لتأكيد النفي أي: لا يحل لكم أن تراثوا النساء كرها ولا أن تعضلوهن... (2).

والمقتضى البلاغي لهذا التأكيد هو تقرير حق المرأة في ممارسة حياتها والنهي عن الإضرار بها فقد كانوا يبيلون النساء بضروب من البلايا ويظلمونهن بأنواع من الظلم فزجروا عن ذلك (3).

ومن أقبح صور هذا الظلم العضل، وجعل النساء ميراثا يرثهن أقارب أزواجهن مثلما يرثون أموالهم ويتحكمون فيهن تحكماً ظالماً (4).

وفي ترجيح صيغة النفي بلاغة تبعث على ضرورة الالتزام وسرعة التسليم بالبعد عن هذه الشرعة الظالمة، فالنفي أكد في الحكم وألزم في الحجة وأبعث على الخوف.

يقول الدكتور محمود توفيق: "ومن خلال التبصر في كثير من المنهيات الآتية في صورة نفي بدا لي أن تلك المنهيات ذات خطر عظيم في الأمة فرداً وجماعة إما لذاتها أو لمقامها وملابساتها" (5).

(1) سورة النساء الآية:19.

(2) انظر: الكشف، ج1، ص431، البيان للعكبري، ص239، والمحزر الوجيز، ج2، ص27، وعلى هذا الوجه يكون الفعل تعضلوهن منصوب بالعطف على تراثوا ويقويه قراءة ابن مسعود (ولا أن تعضلوهن) وهو اختيار البيضاوي، وفيها وجه آخر وهو أن (لا) نهي في (تعضلوهن) والفعل مجزوم بها والواو عاطفة جملة إنشائية لفظاً ومعنى، على خبرية لفظاً (لا يحل) إنشائية معنى لتضمنها معنى النهي، فمعنى (لا يحل لكم أن تراثوا لا تراثوا النساء كرها " انظر: مسالك العطف بين الخبر والإنشاء، د. محمود توفيق (مصر، مطبعة الأمانة، ط الأولى، 1413هـ، 1993م)، ص34.

(3) انظر: الكشف، ج1، ص429، المحزر الوجيز، ج2، ص26.

(4) انظر: الطبري، ج4، ص207، أسباب النزول للواحي، ص154، تفسير ابن كثير، ج464، 465.

(5) صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم، ص95.

فإيثار التعبير بقوله (لا يحل لكم) دون (لا تراثوا) قطع للتأويل بأن النهي ترشيدي تهذيبي، فالتعبير هنا يشعر بشدة التنفير من هذا الفعل.

وفي التعبير بـ (لكم) وتقديمه على المفعول (أن تراثوا) إيذان بأن في هذا الحكم استشرافاً بهم إلى أفق أعلى مما هم عليه، وأن ما كان منهم لا يتناسق مع عدالة الإسلام الذي يدينون به، وفي تأخير المفعول تشويق للنفس المؤمنة، وإرعاب للنفس الأمامة فإنها ما إن تسمع بقوله (لا يحل لكم) إلا وأصابها هلع وكمد، ففي هذا القيد تحطيم لسلطانهم وتضييق الخناق عليها⁽¹⁾.

ويضاف إلى هذا إيثار التعبير بالمصدر المؤول (أن تراثوا) دون المصدر الصريح إيذاناً بأن فعل هذا الحدث يتجدد ويستمر مع النفوس الضعيفة، ويأتي القيد (كرها) ليزيد من بلاغة التحذير والتنفير فالغرض منه (التنفير عما هم فيه من شرعة ظالمة تنفر منها كل نفس سوية، وإن لم تنزل السماء ما يقضي بالتنفير والتحريم، فالنفس الأبية والرجولة الفتية تنفر بذاتها عن إرغام أي امرأة على أن تكون قريناً وشريكاً، إنه لا يكون في شرعة الحيوانات المستأنسة والمستوحشة، فالقيد خرج هنا مخرج الغالب لأن غالب أحوالهن أن يكن مجبورات على ذلك إذا كان أولياؤه أحق بها من أولياء نفسها⁽²⁾.

ويستنفر النص القرآني هنا كل وسيلة من وسائل التعبير وكل مسلك من مسالك التوكيد لمحاربة هذه العادة السيئة فيتأتى النهي مصحوباً بالتعليل (لتذهبوا) "فالتعليل يفيد التقرير والأبلغية"⁽³⁾. وهو "نوع من أنواع التأكيد

(1) دلالة الألفاظ، ص 200.

(2) المصدر السابق، ص 201، 200، وفي إعراب كرها وجهان : 1- حال: على معنى لا يحل لكم أن تراثوا نساء موتاكم على شرعتكم الجائرة وهن كارهات لكم أو كارهات لذلك، أو مكرهات على ذلك، أو أنتم مكرهون لهن على ذلك ، 2- مفعول به: والمعنى لا يحل لكم أن تأخذوا من النساء المال بطريق الإرث بإكراهها على البقاء في عصمتها حتى تموت فيرثها، ويكون بذلك الخطاب للأزواج وهو صورة من صور ظلم المرأة في الجاهلية طمعاً في المال ، انظر: البحر المحيط، ج 3، ص 202. وانظر دلالة الألفاظ ، ص 200، 201.

(3) معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، تصحيح: أحمد شمش الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط الأولى، 1408هـ-1988م)، ج 2، ص 272.

والتثبيت والاطمئنان بصحة الخبر أو الحكم، وذكر الشيء معللاً مما يقوي تأثيره في النفس وثقتها به" (1).

وجاء التعبير بقوله (لتذهبوا) دون التعبير بالأخذ "مبالغة في تقيحه لبيان تضمنه لأمرين كل منهما محذور شنيع الأخذ والإذهاب لأنه عبارة عن الذهاب مصطحباً به" (2).

ويزداد الإبلاغ في التعبير في قوله: "ببعض" ففيه إشارة إلى أن أخذ كل ما آتاه عظيم الفحش، فكيف يأخذ ما هو فوق ما أعطى صداقاً ونحلة (3). وهكذا يبلغ النص بهذا البيان قمة الإعجاز ليكون مأوى الحق والعدل.

ويركز النص القرآني أحياناً في هذه الآيات على كلمة هي موطن القضية فيكررها، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَسْتَبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهْتِنَا وَإِنَّمَا مِثِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ (4).

فقد تكرر لفظ الأخذ مصحوباً تارة بالنهي وتارة بالاستفهام مبالغة في التنفير وبياناً لبشاعة هذا الفعل حتى لكان النص يتابع شخصاً متلبساً بجريمته ولا يدعه يفلت منها، وهكذا هو القرآن يحاول الوصول إلى أعماق النفس البشرية ليرشدها إلى الحق ويبعدها عن الضلال. فإذا ك ان فراق الحياة الزوجية يعد خسارة بالنسبة للمرأة فكيف لو حرمت أيضاً من المال.

إن القرآن الكريم هنا يساند هذا الضعف بكل بيان ووضوح ويعطي المرأة حقها من الإنصاف والعدل، ويصون حقوقها من الاعتداء والظلم فيقابل ويجانس بين أخذ المال وأخذ العهد والميثاق ليصل بالمؤمن إلى التسليم والإيمان.

(1) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار الفكر، ط الثالثة، 1400هـ-)، ج 3، ص 91، وانظر: التراكيب اللغوية، د. هادي نهر، (عمان: دار اليازوري، ب.ط، 2004م)، ص 49.

(2) روح المعاني، ج 4، ص 143.

(3) التحرير والتنوير، ج 4، 287، دلالة الألفاظ، ص 202.

(4) سورة النساء الآية: 20.

ومن عادة القرآن في سبيل التأكيد والتقرير أن يعطف الأوامر على النواهي، والنواهي على الأوامر وهو: "مسلك في بيان القرآن يوضح به الشرائع ويؤكدها"⁽¹⁾.

ويكون ذلك حين: "يريد أن يوفر العناية والحث والاهتمام بالأمر الخطير أثره فيتبعه حينئذ بنهي يؤكد مفهومه بعد الأمر به اهتماماً بخطورة هذا الشأن الخاص"⁽²⁾.

وهذا النوع من الأساليب يدخله ابن الأثير في تكرار المعنى دون اللفظ وفيه لون من عطف العام على الخاص، والخاص على العام وكل ذلك يحقق ضرباً من التوكيد⁽³⁾.

ففي قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا مِنَ النِّسَاءِ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾⁽⁴⁾.

فالنهي في جملة "ولا تقربوهن" جاء تأكيداً للأمر باعتزالهن وبياناً للمراد من الاعتزال وأنه ليس من التباعد عن الأزواج بالأبدان كما كان يفعل اليهود⁽⁵⁾، وكان مقتضى الظاهر أن تكون جملة (ولا تقربوهن) منفصلة بدون عطف، لأنها مؤكدة لمضمون جملة (فاعتزلوا النساء) ومبينة للاعتزال وكلا الأمرين يقتضي الفصل، ولكن خولف مقتضى الظاهر اهتماماً بهذا الحكم ليؤكد النهي عن القربان مقصوداً بالذات معطوفاً على التشريعات⁽⁶⁾، ولأن المقام مقام نزوات نفس قد تكون جموحة ولاسيما حين تكون الزوج واحدة،

(1) مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني، د. محمد محمد أبو موسى، (القاهرة، مكتبة وهبة، ط الأولى، 1418هـ-1998م)، ص307.

(2) الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية، ص81-82.

(3) انظر: ص108، من هذا المبحث.

(4) سورة البقرة الآية: 222.

(5) روي عن أنس أن اليهود كانت إذا حاضت امرأة منهم أخرجوها من البيت ولم يواكلوها ولم يشاركوها ولم يجامعوها. انظر صحيح مسلم، ج3، ص172، حديث: 646.

(6) التحرير والتنوير، ج2، ص366.

وممن يطول حيضها، فتدفعه النفس إلى أن يعتدي فكان التأكيد أنس بالمقام⁽¹⁾.
ويتضح من ذلك كيف منح الإسلام العلاقة مع المرأة هذا السمو والذوق
والتعامل الإنساني الرفيع في المحافظة على كرامتها وحماتها من الأذى بعيداً
عن عادات الجاهلية.

ومما سلك فيه القرآن هذا المسلك في توكيد حق المرأة قوله تعالى: ﴿وَإِذَا
طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلِّغْنَ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ
ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا
نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾⁽²⁾.

فقد تعاقبت جملة أوامر ونواه يؤكد بعضها بعضاً.

فالنهي في قوله: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾ تأكيد للأمر في ﴿وَأَمْسِكُوهُنَّ
بِمَعْرُوفٍ﴾، وإعادة للحكم في بعض صورته وتوضيح لمعناه، وهو أدل منه على
الدوام والثبات وأصرح في الزجر عما كانوا يتعاطونه من المراجعة إرادة
الإضرار بهن، فقد كان المطلق يترك المعتدة حتى إذا شارفت انقضاء الأجل
يراجعها لا لرغبة فيها بل ليطول عليها العدة فنهى عنه بعد ما أمر بضده⁽³⁾.

فالمعنى متضمن في الأسلوبين والغرض من ذلك تقريره في الذهن
بطريقتين غايتهما واحدة⁽⁴⁾.

وفي اختيار صيغة الضرار مبالغة في بيان هذا الضرر تشنيعاً على من
يقصده بأنه مفحش فيه⁽⁵⁾، كما أن حذف المفعول في قوله (لتعتدوا) يدل على
الشمول فيشمل بذلك الاعتداء على النساء وعلى أحكام الله تعالى، وكل هذا

(1) سبل الاستنباط ، 127.

(2) سورة البقرة الآية: 231.

(3) انظر: إرشاد العقل السليم، ج1، ص228، روح المعاني، ج2، 441، التحرير والتنوير، ج2، ص423.

(4) انظر: التحرير والتنوير، ج2، ص423، وانظر: مدخل إلى كتابي عبد القاهر، ص307.

(5) انظر: التحرير والتنوير ، ج2، ص423.

يدل على أن إمساك الضرار من أخس ضروب السلوك التي يلجأ إليها الزوج، وبه تسقط الحياة الزوجية في مستقر الجحيم⁽¹⁾.

وتتوارد بعد ذلك الأوامر والنواهي في الآية لتؤكد هذا المعنى، الذي جاءت الآية لتقريره، فالنهي في قوله: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾ فيه إشارة لما سبق فهو يؤكد الكلام السابق وينفر من المخالفة، ويحذر أشد التحذير من المضارة، لأن الاجترار على اتخاذ آيات الله هزواً من الأمر العظيم، وكأن من راغ عن أمر الله في هذا الشأن واتبع نوازعه الشريرة في معاشرة زوجته، يكاد يخرج بهذا الشر وهذا الإيذاء إلى حيز الاستهزاء بآيات الله.

وهكذا أيضاً التذكير بنعمة الله وما والاه فيه دعوة إلى صقل النفوس وتهذيبها وإقامتها على الطريق المستقيم، والارتفاع بها إلى أفق التسامح والمعروف والإحسان⁽²⁾.

ومن قبيل ما سبق قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوْا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾⁽³⁾.

فجملة "وعاشروهن بالمعروف" من قبيل عطف العام على الخاص، فهي تؤكد مفهوم النهي السابق "لأن حسن المعاشرة جامع لنفي الإضرار والإكراه، وزائد بمعنى إحسان الصحبة"⁽⁴⁾.

إن تقرير حق النساء على الرجال في المعاشرة بالمعروف⁽⁵⁾ بعد تقرير عدم عضلن والإضرار بهن يتحقق به التوازن بين الحقوق والواجبات وبذلك يتحقق التطبيق الصحيح للإسلام فأما حين يستبد الرجل بحقه ولا يؤدي ما

(1) انظر: مدخل إلى كتابي عبد القاهر، ص308.

(2) انظر: المرجع السابق، ص308.

(3) سورة النساء الآية: 19.

(4) التحرير والتنوير، ج4، ص282.

(5) المعروف الذي تسعى الآية إلى تحقيقه يقتضي العدل في المبيت والنفقة والإجمال في القول وحسن الصحبة. انظر الكشف، ج1، ص429، البحر المحيط، ج3، ص204، إرشاد العقل السليم، ج2، ص158.

عليه من واجب، فإنه يكون فيه من الجاهلية بقدر ما يحيد عن أوامر الإسلام⁽¹⁾.

ومما يجري فيه ما سبق قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ هُمَا أَفِيٍّ وَلَا تَهَرَّهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾⁽²⁾، فهي جملة أوامر ونواه يدخل بعضها في بعض ويؤكد بعضها بعضاً مبالغة وتأكيداً على البر بالوالدين.

ومن صور الإطناب الإيضاح بعد الإبهام، والتفصيل بعد الإجمال وما يؤديه هذا الأسلوب من تقرير المعنى واضح كل الوضوح. ففي قوله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِّنْ وُجْدِكُمْ﴾⁽³⁾.

نجد أن قوله: "من وجدكم" عطف بيان لقوله من حيث سكنتم، فبعد الأمر الدال على الوجوب بأحقية المطلقة في السكن، يأتي عطف البيان ليزيد الكلام تأكيداً، ويوضح أن هذا الإسكان لا يخرج عن طاقة المطلق، إن كان موسعاً وسع عليها، وإن كان فقيراً فبقدر طاقته، فحقها ثابت على كل الأحوال.

وفي قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ﴾⁽⁴⁾.

يأتي قوله: (من ذكر أو أنثى) بياناً وتفسيراً وتفصيلاً لـ (عامل) "ووجه الحاجة إلى هذا البيان أن الأعمال التي أتوا بها أكبرها الإيمان، ثم الهجرة ثم الجهاد، ولما كان الجهاد أكثر تكرراً خيف أن يتوهم بأن النساء لاحظنهن في تحقيق الوعد الذي وعد الله على السنة رسله، فدفع هذا بأن للنساء حظهن في ذلك فهن في الإيمان والهجرة يساوين الرجال، وهن لهن حظهن في ثواب الجهاد، لأنهن يقمن على المرضى ويداوين الكلى ويسقين الجيش"⁽⁵⁾.

(1) انظر: دراسات قرآنية، محمد قطب، (القاهرة: دار الشروق، ط السادسة، 1411هـ-1991م)، ص437.

(2) سورة الإسراء الآية:23.

(3) سورة الطلاق الآية:6.

(4) سورة آل عمران الآية:195.

(5) التحرير والتنوير، ج4، ص203.

ومثل هذا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾⁽¹⁾.

وقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾⁽²⁾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾⁽³⁾.

فقوله تعالى: ﴿من ذكر أو أنثى﴾ بيان بعد إبهام وتفصيل بعد إجمال وذكر للخاص رغم دخوله في لفظ (من) كل هذا من أجل تتميم المعنى ودفع توهم التخصيص بالذكر، والتأكيد على أن هذا الثواب لا يتوقف على نوع الفاعل وإنما من يعمل الصالحات سوف يحظى بهذا الأجر والثواب، وهذا يتناسب مع ما كان يعتري وضع المرأة حيث جاء القرآن ليصحح الصورة ويبين أنهم ينلن الجزاء على أعمالهم كما الرجال⁽⁴⁾.

ويقول الألوسي: "قسم العمال إلى ذكر وأنثى للاهتمام والاحتياط في الشمول لاحتمال نقص الإناث"⁽⁵⁾.

ويتبين مما سبق أن كلاً من الذكور والإناث ذكروا مرتين مرة في الإجمال ومرة في التفصيل، وفي هذا تأكيد وتقوية للكلام وزيادة تقرير.

ومثل هذا أيضاً تخصيص الأنثى بالذكر في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ۗ الْحَرُّ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ﴾⁽⁶⁾. فجملة (الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى) بيان وتفصيل لجملة (كتب عليكم القصاص في

(1) سورة النساء الآية: 124.

(2) سورة النحل الآية: 97.

(3) سورة غافر الآية: 40.

(4) انظر في هذا: بديع القرآن لابن أبي الأصبع المصير، تحقيق: حفني محمد شرف، (القاهرة: مكتبة نهضة مصر، 1377هـ-1957م)، ص46، حاشية الشهاب، المسماة عناية القاضي، وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ب.ط، ب.ت)، ج5، ص367.

(5) روح المعاني، ج24، ص70-71.

(6) سورة البقرة الآية: 178.

القتلى) فالآية أشارت ابتداءً إلى ذكر هذه الأصناف (الحر بالحر والعبد بالعبد والأنتى بالأنتى) في لفظ (القتلى) الذي يشمل المذكورين، ثم فصلت الآية كذلك حين خصت الأنتى بالذكر رغم أنها مشمولة بعموم الحر بالحر والعبد بالعبد⁽¹⁾.

ويذكرون من الدواعي والمقتضيات وراء ذلك التأكيد والاهتمام بإذهاب أمر الجاهلية حيث كانوا لا يعتدون بجناية الأنتى، فمراد الآية على هذا التسوية بين هذه الأصناف لئلا يتوهم أن صيغة التذكير في الحر والعبد مراد بها الذكور خاصة، وأن القصاص يكون بين النساء كما يكون بين الرجال ويكون أيضاً بين الرجال والنساء⁽²⁾.

والقرآن بهذا يسوي بين إنسانية المرأة وإنسانية الرجل ويرى أن من يعتدي على إنسانية المرأة كمن يعتدي على إنسانية الرجل يستحق عقوبة الدنيا وجزاء الآخرة⁽³⁾.

وعلى سبيل التفصيل بعد الإجمال جاء قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾⁽⁴⁾.

فهي جملة مستأنفة جاءت بمنزلة البيان والتفصيل لقوله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ...﴾⁽⁵⁾.

فحيث أسست الآية الأولى المبدأ العام الذي أعطى الإسلام النساء منذ أربعة عشر قرناً حق الإرث كالرجال، وحفظ حقوق الصغار الذين كانت الجاهلية تظلمهم وتأكل حقوقهم، وقررت ذلك في صورة مجملة يأتي قوله

(1) انظر: التحرير والتنوير، ج2، ص134.

(2) انظر المحرر الوجيز، ج1، ص245، التحرير والتنوير، ج2، ص134-139. ويؤيد هذا ما ذكر في سبب نزول هذه الآية وهو أن العرب كان أه ل العزة فيهم والمنعة إذا قتل منهم عبد قتلوا به حراً وإذا قتلت امرأة قتلوا بها ذكراً فنزلت الآية في ذلك. انظر: لباب النقول: ص33.

(3) الحقوق العامة للمرأة، د. صلاح عبد الغني محمد، (مصر:الدار العربية للكتاب، ط الأولى، 1418هـ-1998م)، ج1، ص157.

(4) سورة النساء الآية:11.

(5) سورة النساء الآية:7.

تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ مبيناً ومقررأً ذلك على وجه من التفصيل الدقيق فهي كما يقول أبو السعود (1): "شروع في تفصيل أحكام المواريث المجملة في قوله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانُ وَالْأَقْرَبُونَ...﴾

وهو تفصيل محكم لا مثيل له على الإطلاق، ولا تملك كثير من القوانين سن مثل هذه التنظيمات التي راعت أحوال المجتمع والنفوس وتمثلت في بيانها الدقة والإحكام وصاغت المعلومات في أسلوب بديع فيه من حسن التقسيم والجمع والتفريق ما يبرز هذه الحقوق في صورة واضحة وصياغة يصعب التحكم فيها في مثل هذه الموضوعات لكنه إجاز القرآن الذي يسعى لإيضاح هذه الأمور المهمة والتأكيد عليها في أسلوب لا يشعر الإنسان معه بصعوبة المادة العلمية التي احتوتها الآية (2).

والحكمة من وراء الإجمال ثم التفصيل هو التدرج في بيان الأحكام في مجتمع كان من عاداته توريث الكبار من الرجال دون الصغار والنساء، فحتى يتحقق التسليم بهذه الحقوق ويرسخ الإيمان بها جاءت الآية الأولى كالمقدمة في إجمال الحق والنصيب في الميزان وتلاها بعد ذلك التفصيل في قوله (يُوصِيكُمُ)، وفي ذلك كما يشير الرازي تهيئة النفوس حتى تسكن إلى التسليم بالتدرج بعد أن كانت عادة القوم تخص الكبار بلميراث دون الصغار فأراد الله أن ينقلهم عن تلك العادة قليلاً قليلاً، ولهذا المعنى ذكر الله هذا المجمل أولاً، ثم أردفه بالتفصيل (3)، فـ(الفظام من المؤلف شديد، والتدرج في الأمور دأب الحكيم) (4). كما أن النهج المؤلف في كلام العرب إذا أرادوا بيان معنى وتفصيله اعتناء بشأنه أن يذكروا قبله ما هو عنوان وترجمة له، وهذا لا يكون إلا أن يبني الكلام على جملتين (5).

(1) إرشاد العقل السليم، ج2، ص148.

(2) انظر: سورة النساء دراسة بلاغية تحليلية، ص497.

(3) انظر: التفسير الكبير للرازي، ج9، ص502، وانظر: التحرير والتنوير، ج4، ص247.

(4) غرائب القرآن ورغائب الفرقان بهامش جامع البيان، في تفسير القرآن، نظام الدين الحسن بن حسين

النيسابوري، (بيروت؛ دار المعرفة، ط الأولى، 1406هـ)، ج4، ص182.

(5) انظر: تفسير آيات الأحكام، محمد علي السائيس وزملاؤه (بيروت، دار ابن كثير، ط الرابعة،

1422هـ - 2002)، ج4، ص355.

وقد اتبع النص أيضاً هذا الأسلوب في جملة: (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين).

فجملة للذكر مثل حظ الأنثيين في موضع التفصيل والبيان للوصية فهي تقرير بعد تقرير وذلك لعظم هذه الأحكام، فإن التفصيل بعد الإجمال أدهى لرسوخ الحكم وأوفى في ثبوت مضمونه.

ومما يستوقف النظر هنا إيثار كلمة (نصيب) في الإجمال، واستعمال كلمة (حظ) عند التفصيل، وذلك لأن الحظ: هو النصيب المقدر فلما كان في كلمة نصيب معنى الحق ناسب إقراره في النفوس أولاً على الإجمال، ولما كانت كلمة حظ في مقام تعيين هذا النصيب وتحديده ناسبت هذه الكلمة هذا التحديد للذكر مثل حظ الأنثيين⁽¹⁾.

ومن التفصيل بعد الإجمال ما يحققه أسلوب البديل من التأكيد والتقرير، ومن أمثلة ذلك ما سبق الحديث عنه⁽²⁾. في قوله تعالى: ﴿مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾⁽³⁾.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿...وَلِأَبْوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾⁽⁴⁾. فقوله "لكل واحد منهما" بدل من أبويه بتكرير العامل لتأكيد أحقية كل منهما في السدس إن كان لولدهما - المورث - ولد.

وقد ذكر الزمخشري العلة في هذا البديل مشيراً إلى بلاغته فقال: "وفائدة هذا البديل أنه لو قيل ولأبويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه، ولو قيل: ولأبوي السدسان لأوهم قسمة السدسين عليهما على السوية وعلى خلافهما، فإن قلت: فهلا قيل لكل واحد من أبويه السدس، وأي فائدة في ذكر الأبوين أولاً ثم الإبدال منهما؟

(1) انظر: أساليب التوكيد في سورة النساء، ص 67

(2) انظر: ص 228، من هذا البحث .

(3) سورة النساء الآية : 7

(4) سورة النساء الآية: 11

قلت: لأن في الإبدال والتفصيل بعد الإجمال تأكيداً وتشديداً كالذي تراه في الجمع بين المفسر والمفسر" (1).

ويشير أبو حيان أيضاً إلى بلاغة التأكيد في هذا الأسلوب فيقول: "ولأبويه لكل واحد منهما السدس، أبلغ وأكد من قولك لكل واحد من أبويه السدس، إذ تكرر ذكرهما مرتين مرة بالإظهار ومرة بالضمير العائد عليهما" (2).

ويقول البقاعي: "فصل بعد أن أجمل ليكون الكلام أكد ويكون سامعه أشوق" (3).

ويظهر من خلال ذلك أن نصيب المرأة في حالات يكون مساوياً لنصيب الرجل، وليس الحال كما يزعم أصحاب الأهواء الذين يقفون عند حدود آية: ﴿للذكر مثل حظ الأنثيين﴾، فيرون فيه تفضيل الذكر على الأنثى دون نظر في فقه الآيات، وتفصيل سياقاتها (4).

ومن الأساليب التي تحقق التفصيل بعد الإجمال: "أسلوب الاستثناء ووجه التوكيد فيه نثي ذكر الشيء مرة مجملاً ومرة مفصلاً، وهذا يجعل النفس

(1) الكشف، ج 1، ص 507.

(2) البحر المحيط، ج 3، ص 183.

(3) نظم الدرر، ج 5، ص 220.

(4) فأحياناً يفوق نصيب المرأة في الميراث نصيب الرجل ويساويه، كما في الآية السابقة فالرجل الذي يموت عن ابنة وأب وأم توزع تركته كالتالي: تأخذ البنت النصف وتأخذ الأم السدس، ويأخذ الأب السدس أيضاً. ويلاحظ هنا أن الابنة تأخذ أكثر من نصيب الأب وأن نصيب الأم مساوٍ لنصيب الأب من التركة: ﴿وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس﴾. وحالة أخرى تخص الأخ لأم: فإن مات رجل (أو امرأة) وترك أخ أو أخت لأم (أو أكثر) فهم يرثون كالتالي:
- السدس للشخص الواحد ذكراً كان أم أنثى.

- تلت التركة للأنثيين فأكثر، ويتساوى في قسمة المال الذكور والإناث على حد سواء قال تعالى:

﴿وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أختا فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء

في الثلث﴾. انظر: أحكام المرأة بين الاجتهاد والتقليد دراسة مقارنة في الشريعة والفقه والقانون

والاجتماع، شيماء الصراف (بيروت: الانتشار العربي، ط الأولى، 2008م)، ص 128، 129، وانظر:

عناية القرآن بحقوق الإنسان، ج 1، ص 343-345.

تستعد وتتوق إلى معرفة هذا الشيء، فيرسخ المعنى في النفس، ويثبت المعنى في العقل، وهو ما يفعله أسلوب التوكيد⁽¹⁾.

وقد ذكر ابن يعيش أن حقيقة الاستثناء تخصيص صيغة عامة من خلال صرف اللفظ عن عمومها بإخراج المستثنى من أن يتناوله الأول⁽²⁾.

وقد ورد هذا الأسلوب في الآيات مناط الدراسة محققاً شيئاً من التأكيد والتقرير كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافًا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ...﴾⁽³⁾.

فالآية صريحة في تحريم أخذ العوض عن الطلاق إلا إذا خيف فساد المعاشرة وذلك إذا لم تحب المرأة زوجها وكرهت الحياة معه وقد أكد الله هذا الحكم بالاستثناء بعد النفي: (إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله) لأن مفهوم الاستثناء قريب من الصريح في أنهما إن لم يخافا ذلك لا يحل الخلع⁽⁴⁾.

فحق المرأة يجب ألا يهضم في هذا الجانب فيؤخذ منها ما استحل به حرمتها فالمهر ملك خاص للمرأة المدخول بها لا يحق للرجل أن يأخذ منه.

وكذلك يقيم الاستثناء حقاً آخر للمرأة في حالة بخس حقوقها وسوء عشرتها فلها عند ذلك حق الخلع الذي جاءت السنة بتفصيله.

والإسلام بتشريعه للخلع يراعي جميع الحالات التي تعرض للناس، ويراعي مشاعرهم التي لا حيلة لهم فيها، فلا يقسر الزوجة على حياة تنفر منها، وفي الوقت نفسه لا يضيع على الرجل ما أنفق، بل يعوضه عن تحطيم عش بلا سبب متعمد منه⁽⁵⁾.

(1) انظر: أسلوب التوكيد في اللغة العربية، محمد حسين أبو الفتوح، (رسالة دكتوراة، جامعة الأزهر، 1978م)، ص286.

(2) انظر: شرح المفصل لابن يعيش، ج1، ص75-76.

(3) سورة البقرة الآية: 229.

(4) انظر: التحرير والتنوير، ج2، ص411.

(5) انظر: في ظلال القرآن، ج1، ص248، التفسير القرآني للقرآن، ج2، ص270.

ويلفت أبو حيان هنا إلى أسلوب الالتفات الذي استدعاه المقام في قوله :
﴿إلا أن يخافا﴾ حيث كان الخطاب في بداية الآية للأزواج ثم التفت إليه
وللمرأة بضمير الغيبة، لأن الخوف من عدم إقامة حدود الله متوقع من كليهما
يقول أبو حيان: "الألف في (يخافا)، و (يقيما) عائد على صنفى الزوجين، وهو
من باب الالتفات، لأنه إذا اجتمع مخاطب وغائب وأسند إليهما حكم كان
التغليب للمخاطب. ولما كان الاستثناء بعد مضي الجملة للخطاب جاز
الالتفات، ولو جرى على النسق الأول لكان: إلا أن تخافوا أن يقيموا، ويكون
الضمير إذ ذاك عائداً على المخاطبين وعلى أزواجهم، والمعنى: إلا أن يخافا
أي صنفا الزوجين..."(1).

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ
بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ...﴾(2).

يقول الزمخشري: "هذا استثناء من أعم عام الظرف أو المفعول له كأنه
قيل: ولا تعضلوهن في جميع الأوقات إلا وقت أن يأتين بفاحشة ولا
تعضلوهن لعله من العلل إلا أن يأتين بفاحشة"(3).

فالاستثناء هنا: "تخصيص لعموم الأحوال، وقد دل على تأكيد النهي عن
العضل في غير هذه الحالة أو ذلك الوقت أو تلك العلة، ولاسيما أنه قيد
الفاحشة بوصف (مبينة)، وهذا القيد يمنع الأزواج من تلمس الخطايا لنسائهم،
والتعلق ببعض صور النشوز التي لا يكاد يسلم من أوارها زوج، ولا تعصم
منها امرأة"(4).

ومن البلاغيين من يجري القصر في مثل هذا التركيبي، ويكون ذلك من
قبيل قصر الموصوف (العضل) على الصفة (حال أو وقت إتيان الفاحشة)

(1) البحر المحيط، ج2، ص196، 197.

(2) سورة النساء الآية: 19.

(3) الكشف، ج1، ص431.

(4) دلالة الألفاظ، ص204، 205.

باعتبار أن القصر يأتي من النفي والاستثناء سواء ذكر المستثني منه أم لا " وسواء كان الاستثناء تاماً أم مثبتاً⁽¹⁾.

والآية بهذا تدفع الظلم والضميم عن المرأة وتقلب ذلك المفهوم الخاطيء الذي كان يعتقد الزوج فيه أن له حق عضلها وأخذ صداقها فتقرر أن أخذ الصداق ليس من حق الرجل في أي وقت إلا في وقت إتيان الفاحشة.

وفي قوله تعالى ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾⁽²⁾

فالغرض من الاستثناء هو المبالغة في تحريم هذا الزواج وسد الطريق إلى إباحته لما فيه من القبح وذهاب المروءة⁽³⁾. والاستهانة بالمرأة وجعلها كالعارية والمتاع.

ومثل هذا الأسلوب نراه أيضاً في قوله تعالى: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ...﴾⁽⁴⁾.

فقد جاء الاستثناء ليؤكد النهي عن إخراجهن على أبلغ وجه، وكأن النفس استشعرت قبل ذكر ما بعد (إلا) أن لهم حالة معينة تبيح إخراجهن أو خروجهن، وتاقت إلى معرفة هذه الحالة فقبل (أن يأتين بفاحشة مبينة) حيث ربط جواز إخراجهن بالفاحشة المبينة وهي الحالة الوحيدة التي تبيح ذلك ولا مجال في الآية لحالات أخرى توجب إخراجها من بيتها فرسخ المعنى المراد في النفس بعد أن أجمله ثم فصله وخصصه بحالة معينة، وهو نهى شامل لإخراجهن غصبا عليهن أو كراهة لمساكنتهن⁽⁵⁾.

والتأكيد على حق الزوجة في المسكن هنا تفرضه الضرورة والواقع وذلك لما يحققه الإسكان من جبر خاطر والرفق بها، والتلطف بالحياة الزوجية والخروج بها إلى مأمّن الخطر المحيط بها، ولأن المطلقة حين تستقر

(1) انظر: شروح التلخيص، مواهب الفتاح، ج 2، ص 191-192، عروس، الأفراح، ح 2، ص 493، حاشية الدسوقي على مختصر السعد، تحقيق: دكتور. خليل إبراهيم، ج 2، ص 348.

(2) سورة النساء: الآية: 22.

(3) انظر: الكشاف، ج 1، ص 430، 431.

(4) سورة الطلاق الآية: 1.

(5) انظر: روح المعاني، ج 28، ص 849.

في بيت زوجها تكون أيضاً في مأمن من سوء الظن الذي قد يتسرب إليها وبه تحفظ نسب زوجها وعرضه⁽¹⁾.

ولهذا: "أضاف البيوت إليهن وهي لأزواجهن لتأكيد النهي، وبيان كمال استحقاقهن للسكنى في مدة العدة"⁽²⁾.

ويأتي التعبير بالبيوت بدلاً من السكن متلائماً مع هذا الجو الذي يخيم فيه الخصام وتغيب عنه السكينة بين الزوجين.

ويقترب من المسالك السابقة ذكر الخاص بعد العام في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْقُوا رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾⁽³⁾.

فعطف الخاص على العام والفرع على الأصل في قوله: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ تأكيد على وحدة الأصل توصلاً للتأكيد على حق الفرع (النساء) ولفت الانتباه إليهن" وتبيان لمنزح العلاقة بين الرجل وزوجه، وأنها ليست إلا بضعة منه، وما يكون لأحد أن يجور على بعضه، وما يكون لبعض أن ينشز على أصله ويستعلي، وفي هذا أساس راسخ لصرح التراحم والتواصل الذي هو روح بناء المجتمع السليم القوي الذي جاءت سورة النساء للهداية إليه⁽⁴⁾.

فالإقرار بمثل هذه الوحدة وإدراكها يمثل تهيئة وتمهيداً وباعثاً للاعتراف بحقوق النساء التي تفرضها لها السورة الكريمة، وهذه بلاغة القرآن في التعامل مع النفوس حين يدرك نفور هذه النفوس من الأشياء الجديدة عليها، يأتيها من ناحية يجعلها تسلم له وتقر بما جاء به عن يقين، فالمرأة تعد جزءاً حقيقياً من الرجل، منه خلقت، وإليه تعود، يأنس كل منهما بالآخر ويألفه ويحن إليه ولا يمكن أن يكون للكون تكامل إلا بوجود عنصري الذكورة والأنوثة، فهما مصدر بقاء النوع الإنساني، ولم يشأ الخالق - سبحانه - إنشاء

(1) انظر: "التحرير والتنوير"، ج28، ص299، وانظر: الإعجاز البياني، في القرآن، ص593.

(2) انظر: الكشف، ج4، ص413، وانظر: فتح القدير، ج5، ص240، والتحرير والتنوير، ج28، ص298.

(3) سورة النساء الآية: 1.

(4) سبل الاستنباط: ص456.

حواء من مادة مستقلة وهو القادر سبحانه على خلقها من زوجها لتوافقه فطرة وطبعاً وكل هذا تأكيد على عمق الصلة ورعاية الحقوق بينهما⁽¹⁾.

ولزيادة تقرير هذه الحقيقة يأتي الطباق بين الرجال والنساء في قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ فالنساء على الجانب المقابل للرجال، فلهن بالطبع حقوق مثل ما لمقابلهن، وفي تخصيص الرجال بوصف الكثرة دون النساء - رغم أنهن أكثر عدداً في غالب الأمر - علة يشير إليها الرازي فيقول: "إن شهرة الرجال أتم فكانت كثرتهم أظهر فلا جرم أن خصوا بوصف الكثرة، وهذا كالتنبيه على أن اللائق بحال الرجال الاشتهار والخروج والبروز، واللائق بحال النساء الاختفاء والستر"⁽²⁾.

ومن عطف العام بعد الخاص قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقاتِ مَتَّعُ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾⁽³⁾.

فقد جاءت بعد سياق تناول شيئاً من أحكام الطلاق وحقوق المطلقة، كالمتعة في حالات خاصة "فعم المطلقات بإيجاب المتعة بعدما أوجبها لواحدة منهن"⁽⁴⁾.

وذلك من أجل رعاية هذا الحق، فالآية: تتميم و توكيد لبعض أحكام المطلقات التي سبقت⁽⁵⁾.

ومن أنواع الإطناب التي أسهمت في تقرير حق المرأة أسلوب الاعتراض الذي يذكر الزمخشري أنه لا يساق إلا للتوكيد⁽⁶⁾. ففي قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ

(1) انظر: أساليب التوكيد في سورة النساء : ص 27، سورة النساء دراسة بلاغية تحليلية ، ص 63.

(2) التفسير الكبير للرازي ، ج 9، ص 481.

(3) سورة البقرة الآية: 241.

(4) الكشاف، ج 1، ص 261.

(5) البحر المحيط، ج 2، ص 246، 247، روح المعاني، ج 2، ص 61، أنوار التنزيل، ج 1، ص 540.

(6) انظر: ص 45، من هذا البحث .

رَزَقُهُنَّ وَكَسَوْنَهُنَّ بِالْعُرُوفِ لَا تَكْلَفُ نَفْسٌ إِلَّا وَسْعَهَا لَا تُضَارُّ وَالِدَةً بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ﴿١﴾.

تأتي جملة "لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده" معترضة بين المعطوفين (وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن)، وقوله: (وعلى الوارث مثل ذلك)، وهي اعتراض ثان بعد الاعتراض بقوله: "لا تكلف نفس إلا وسعها" والغرض من ذلك الرغبة في طرد المضارة بين طرفي القضية هنا فلا يمنع الوالد الأم أن ترضع ولدها فيضرها في فقدها له، ولا يسيء معاملتها في رزقها وكسوتها وولدها، فكما لم يصلح أن يمسكها زوجة إلا بمعروف، لم يصلح أن يسترضعها إلا بالمعروف ولا يتم المعروف إلا بالبراءة من المضارة⁽²⁾. أما مضارة الأب فهو رفض الأم إرضاع ولدها إضراراً بأبيه، وأن تطلب أكثر من أجر مثلها.

ومبالغة في تحقيق هذا المعنى جاءت الصياغة على المفاعلة (لا تضار) والفعل واحد وكأن في الإضرار بالولد إضراراً بكل منهما. وجاء التعبير بالجملة الفعلية إيذاناً بأن مضارة أحد الزوجين الآخر تتجدد كل وقت فمن الواجب ضبط النفس في ذلك⁽³⁾.

ويشير البيضاوي إلى ما يحققه الاعتراض بجملة (بعضكم من بعض) في قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ﴾⁽⁴⁾.

حيث يرى أنها جاءت مبينة لسبب انتظام النساء في مسلك الرجال في الوعد، فإن كون كل منهما من الآخر لتشعبهما من أصل واحد، أو لفرط الاتصال بينهما، أو لاتفاقهما في الدين والعمل، مما يستدعي الشركة

(1) سورة البقرة الآية: 233.

(2) نظم الدرر، ج3، ص335، وانظر: التفسير الكبير للرازي، ج6، ص458.

(3) انظر: المصدر السابق، وانظر: البحر المحيط، ج2، ص215.

(4) سورة آل عمران الآية: 195.

والإتحاد⁽¹⁾. وهذا تأكيد على احترام إنسانية المرأة وشراكتها مع الرجل وهو معنى أكد عليه القرآن الكريم في مواضع شتى.

ومثل هذا الاعتراض ما نراه في قوله تعالى: ﴿فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فَتْيَتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ...﴾⁽²⁾.

ففي ظل إباحة نكاح الإماء جاء الاعتراض بقوله: "والله اعلم بإيمانكم بعضكم من بعض" ليؤكد ويدل على أن مناط التفاضل ومدار التفاخر هو الإيمان دون الأحساب والأنساب وأن الجميع من أولاد آدم، فلا ينبغي أن تدخل الأنفة النفوس من تزوج الإماء عند الضرورة وإنما الواجب مراعاة رابطة الدين وعدم التعالي على الإماء، والقرآن بهذا قرب بين الإماء والأحرار بالوحدة الدينية وبالوحدة النوعية⁽³⁾.

ومن التأكيد بالاعتراض قوله تعالى: ﴿ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾⁽⁴⁾.

جاءت هذه الجملة في سياق آية طويلة حددت الموارِيث، وبينت حقوق الجميع فيها، وهي جملة معترضة بين قوله: (من بعد وصية يوصي بها أو دين) وقوله (فريضة من الله)، وقد عد البقاعي هذا الاعتراض للتأكيد - كما هو الشأن في كل اعتراض - وبين أن المقتضى البلاغي لذلك هو الحث على لزوم ما حدّه الله في هذه الموارِيث لأن هذه القسمة مخالفة لما كانت العرب تفعله⁽⁵⁾ وهي على وجوه لا تدرك عللها، فالخير في تقدير هذه الأمور يعود إلى حكمة لا يعلمها إلا الله⁽⁶⁾.

(1) انظر: أنوار التنزيل، ج2، ص129، وانظر أيضاً: البحر المحيط، ج3، ص144.

(2) سورة النساء الآية: 25.

(3) انظر في هذا: "الرازي، ج10، ص11، إرشاد العقل السليم، ج2، ص167. التحرير والتنوير، ج5، ص15.

(4) سورة النساء جزء من الآية: 11.

(5) حيث كانوا لا يورثون النساء والصغار.

(6) انظر: نظم الدرر، ج52، ص220، وانظر: الكشاف، ج1، ص423.

وكان هذه الجملة "لفتة قرآنية لتطبيب النفوس تجاه هذه الفرائض فقد أراد الله أن يسكب في القلوب كلها راحة الرضا والتسليم لأمر الله، ولما يفرضه لها بإشعارها أن العلم كله لله، وأنهم لا يدرون أي الأقرباء أقرب لهم نفعاً، ولا أي القسم أقرب لهم مصلحة"⁽¹⁾.

ومن شواهد الاعتراض التي تؤكد على حقوق المرأة متمثلاً ذلك في حق الأم العظيم ما أشار إليه علماء البلاغة والتفسير في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلُهَا فِي عَمِيمٍ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ.....﴾⁽²⁾.

حيث جاء قوله: (حملته أمه وهنا على وهن...) معترضا بين (الوالدين) (المفسر، والمفسر التوصية بالشكر).

وفائدة هذا الاعتراض التأكيد على حق الأم العظيم والتذكير بما تعانيه في سبيل رعاية ولدها.

وقد وقف ابن الأثير أمام هذا الاعتراض مبينا ما فيه من الحسن والبلاغة فقال: "ألا ترى إلى هذا الاعتراض الذي قد طبق مفصل البلاغة، وفائدته أنه لما أوصى بالوالدين ذكر ما تكابده الأم من المشاق في حمل الولد وفصاله إيجاباً للتوصية وتذكيراً بحقها، وإنما خصها بالذكر دون الأب لأنها تتكل ف من أمر الولد ما لا يتكلفه، ومن ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لمن قال له: "من أبر؟ فقال أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك"⁽³⁾.

وإلى مثل هذا أشار القونوي حيث بين أن: "المراد بهذه الجملة المعترضة المبالغة في التوصية بالأم"⁽⁴⁾.

وقال الشوكاني: "وإنما ذكر سبحانه حمل الأم ووضعها تأكيداً لوجوب الإحسان إليها الذي وصى الله به"⁽⁵⁾.

(1) في ظلال القرآن، ج1، ص593،

(2) سورة لقمان الآية: 14.

(3) المثل السائر: ج2، ص174.

(4) حاشية القونوي على تفسير البيضاوي (بدون بيانات): ج6، ص185.

(5) فتح القدير، ج5، ص18.

وجاءت جملة: "واتقوا الله" معترضة بين جملة (وأحصوا العدة) وجملة (لا تخرجوهن...) في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ...﴾ (1).

والغرض من ذلك هو: "التحذير من التساهل في أحكام الطلاق والعدة حيث لم يكن أهل الجاهلية يقيمون للنساء وزناً، وكان قرابة المطلقات قلما يدافعن عنهن فتناسا الناس تلك الحقوق وغمطوها فلذلك كانت الآيات شديدة اللهجة في التحدي" (2).

يقول أبو السعود: "واتقوا الله ربكم" في تطويل العدة عليهن والإضرار بهن" (3).

ويرى الزمخشري أن جملة "ومن يتق الله يجعل له مخرجاً" (4). جاءت معترضة بين أحكام الطلاق لتؤكد على إجراء الطلاق على السنة، لأن ذلك أحسن وأبعد من الندم ويكون المعنى: ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من سكنها واحتاط وأشهد يجعل الله مخرجاً له إن أوفى في المهر وأدى الحقوق والنفقات" (5).

فملازمة التقوى تدفع إلى تنفيذ الحقوق.

ومن أوضح صور الإطناب دلالة على التأكيد جملة التذييل وما تحقق ه من تقرير المعنى السابق. فالتعقيبات في هذه الآيات تأتي: "منبئة بضخامة هذا الأمر وخطورته، تلاحق الضمير الإنساني ملاحقة موقظة موحية، وبخاصة عند التوجيهات التي يناط تنفيذها بتقوى القلب وحساسية الضمير" (6).

وتمثل تلك التعقيبات التي ترد في خواتم الآيات: "سمة بارزة من سمات الأسلوب القرآني، ووجهاً فائقاً من أوجه بلاغته، وذلك لأنها تجمع بين

(1) سورة الطلاق: الآية: 1.

(2) التحرير والتنوير، ج28، ص298.

(3) روح المعاني، ج28، ص846، إرشاد العقل السليم، ج8، ص260.

(4) سورة الطلاق الآية: 2.

(5) الكشاف، ج4، ص414.

(6) في ظلال القرآن، ج1، ص230.

وظائف معنوية، لكونها تزيد معاني الآيات بياناً وإيضاحاً، ووظائف جمالية لكونها تمهد للتناسب الإيقاعي في رؤوس الآيات، وفي فواصلها، والمراد بالتعقيب على الآيات ذلك الجزء أو المقطع الذي يأتي في ختامها تذييل به الآية زيادة في البيان، ومحافظة على وحدة الإيقاع⁽¹⁾.

ومضى سابقاً ما تحققه فواصل الآيات من التأكيد على المعاني التي تتناولها الآيات، وكيف تقود تلك الفواصل النفوس إلى التسليم والإقرار، فالفواصل القرآنية كما يقول الرماني كلها بلاغة وحكمة لأنها طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدل بها عليها⁽²⁾.

وقد أخذت الفواصل في هذه الآيات: "سمة الاستقلال بمعنى أنها تأتي بعد تمام معنى أو معان رئيسة في الآية، وتكون هي بمثابة تعليق عليها وتؤدي حينئذ وظيفة التعليل أو الإنكار، أو التوكيد أو الترغيب، أو زيادة الإيضاح والتقرير، وهي غالباً ما تكون جملة مستوفية الأركان، ويغلب عليها أن تكون اسمية"⁽³⁾.

ويمكن الوقوف هنا إلى جانب ما سبق مع قوله تعالى: ﴿وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾⁽⁴⁾.

ففي تذييل الآية بقوله: ﴿والله عزيز حكيم﴾ إقناع للمخاطبين بأن هذه الأوامر والنواهي صادرة من صاحب القهر والغلبة سبحانه وممن أتقن الأشياء ووضعها على ما ينبغي أن توضع، وذلك أن الله تعالى لما شرع حقوق النساء كان هذا التشريع مظنة التلقي بفرط التحرج من الرجال الذين ما اعتادوا أن يسمعوا أن للنساء معهم ح ظوظاً غير حظوظ الرضا والفضل

(1) "التناسب البياني في القرآني دراسة في النظم المعنوي والصوتي"، د. أحمد أبو زيد، (الدار البيضاء، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1992م)، ص91، وانظر: نهايات الآيات القرآنية بين إعجاز المعنى وروعة الموسيقى، د. أحمد عبد المجيد محمد خليفة، (القاهرة: مكتبة الآداب، ب.ط، 1426هـ-2006م)، ص9-18.

(2) النكت في إعجاز القرآن، ص98.

(3) خصائص التعبير القرآني، ج1، ص235

(4) سورة البقرة الآية: 228.

والسقاء، فأصبحت لهن حقوق يأخذنها من الرجال لو كرهاً إن أبوا، وربما داخل نفوس الرجال شيء بحيث يرون في هذا تلماً لعزتهم، فبين تعالى أنه هو العزيز الذي لا يعجزه أحد، وأنه الحكيم الذي يعلم صلاح الناس (1)، فهي إذن حقوق وضعت بحكمة وعدل، فناسب هذا التذليل ما تسعى الآية لتبينه وأكد المعنى فيه.

ومثل ذلك التذليل الذي ختمت به المواريث حيث جاء في خاتمتها قوله تعالى: ﴿وَصِيَّةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ (2).

فقد تضمن هذا التذليل معنى الآية فـ (الذي شرع هذه الأحكام الأعم بمصالح خلقه ومضارهم وما يستحقه كل منهم، وهو الحليم في تركه معاجلتهم بالعقوبة على ظلم بعضهم بعضاً في إعطائهم الميراث لأهل الجلد والقوة من ولد الميت، وأهل الغنى والبأس منهم دون أهل الضعف والعجز من صغار ولده وإنائهم) (3).

وهكذا يأتي أيضاً التذليل في قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلْبَةِ إِنَّ امْرَأَتَهُ لَبِئْسَ لَهَا وَجَدٌ وَأَخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ...﴾ (4).

فقد جاء في تذييلها قوله تعالى: ﴿يَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضْلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. فهذا التذليل مؤكد بالجملة الاسمية لتأكيد إحاطته سبحانه وتعالى بعباده وإطلاعه على كل شيء من تصرفاتهم وأفعالهم، ولعل المقتضى البلاغي لهذا التذليل، -وقد جاء في نهاية هذه السورة- المشتتلة على أحكام وحقوق عظيمة، لعل المقتضى البلاغي هو الحث على المسارعة في تنفيذ الأمور التي تناولتها السورة، لما فيها من المصالح التي تتحقق بها حياتهم ويصلح بها شأنهم، فالذي شرعها هو الذي خلقهم وهو العليم بما ينفعهم.

(1) انظر: البحر المحيط، ج 2، ص 190، التحرير والتوير ن ج 2، ص 403.

(2) سورة النساء الآية: جزء من الآية: 12.

(3) جامع البيان: ج 4، ص 198.

(4) سورة النساء الآية: 176.

ويتبين مما سبق أن الفاصلة ذات صلة معنوية بما قبلها حتى وإن استقلت في التركيب بنفسها.

ومن التذييل البليغ الذي يجري مجرى المثل في تأكيد الجمل السابقة ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا سِحْلٌ لَّكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَ إِلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (1).

فلما نهى عن تجاوز الحدود المقررة شرعاً في عدم أخذ شيء من مال المرأة المطلقة إلا في حال الخلع ذيل هذا النهي بجملة: ﴿ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾.

وهو تذييل يؤكد المعنى السابق في جملة: ﴿تلك حدود الله فلا تعتدوها﴾ ويعطي معناها مزيداً من التقرير والتثبيت مبالغة في التهديد والوعيد (2).

وفي قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا سِحْلٌ لَّكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآءِ آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (3).

فبعد الأمر بحسن المعاشرة يأتي التذييل بقوله: ﴿فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾ ليؤكد ما سبق من توطيد العلاقة بين الزوجين وضرورة الصبر فيها فهي ليست مجرد لعبة يجعلها الإنسان "عرضة لنزوة العاطفة وحماسة الميل الطائر هنا وهناك" (4).

وفي صياغة هذه الجملة ما يؤكد ذلك ويدل عليه، فمن ذلك اختيار (إن) من بين جميع الأدوات إشارة إلى تضيق الدائرة أمام هذا الكره وأنه مما لا ينبغي أن يكون بين الرجل وامرأته.

(1) سورة البقرة الآية: 229.

(2) انظر: الرازي، ج6، ص447، أنوار التنزيل، ج1، ص517، التحرير والتنوير، ج2، ص413.

(3) سورة النساء الآية: 19.

(4) في ظلال القرآن، ج1، ص600.

وهي كراهية مطلقة فلم تحدد الآية المكروه من المرأة ليشمل اللفظ كل ما يكرهه الرجل في امرأته مما يجم ل معه الصبر طمعاً في الثواب من الله تعالى، وكلما تجددت هذه الكراهية (تكرهوا) تجددت رعاية ثوابه⁽¹⁾.

وجاء التعبير بـ(شيئاً) ليفيد أن ترتيب الخير الكثير من الله تعالى ليس مخصوصاً بمكروه دون مكروه بل هو سنة إلهية جارية على الإطلاق حسب اقتضاء الحكمة، وأن ما يخير فيه مادة من موادها، وفيه من المبالغة في الحمل على ترك المفارقة وتعليم الإرشاد ما لا يخفى⁽²⁾.

فقد يتولد الخير من شيء يظن فيه شراء، وهذا تأكيد على عدم عضل المرأة، وضرورة معاشرتها بالمعروف في حالتها الحب أو الكره⁽³⁾.

يقول أبو السعود موضحاً أثر هذه الجملة في أنها: "علة للجزاء أقيمت مقامه للإيذان بقوة استلزامها إياه، كأنه قيل فإن كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة لعل لكم فيما تكرهونه خيراً كثيراً ليس فيما تحبونه"⁽⁴⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾⁽⁵⁾.

فالتذييل بقوله: ﴿وَإِنْ تَحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾. تأكيد لما سبق بيانه من الترغيب في الإحسان في عشرة الزوجة ومراعاة حقوقها، واتقاء ما لا يجوز من النشوز والإعراض والأذية لاسيما عند ظهور أمارات الكراهة فمراعاة ذلك مما يفرضه عهد الصحبة.

(1) انظر: من البلاغة القرآنية في آيات أحكام النساء، ص 175، 176.

(2) إرشاد العقل السليم، ج 2، ص 114.

(3) انظر: أساليب التوكيد في سورة النساء، ص 108.

(4) إرشاد العقل السليم، ج 2، ص 114.

(5) سورة النساء الآية: 128، وقد نزلت في المرأة تكون عند الرجل يريد فراقها ولربما كان لها ولد، فتراضيه على أن يمسكها، ولا يطلقها ويكون في حل من شأنه من الفسحة لها. انظر أسباب النزول، ص 150.

وهكذا أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ نَسْتَبِيْعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ الْنِسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾⁽¹⁾.

فبعد الحث على تحري العدل بين النساء، والتحذير من الجور والظلم، يأتي التذييل بقوله: ﴿وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفوراً رحيماً﴾ ليؤكد الكلام السابق فالإصلاح يعني هنا الإصلاح بالعدل في القسم، والتقوى تعني ترك الجور واتقاء الميل والله متكفل بالمغفرة والرحمة لمن سلك هذا السبيل⁽²⁾.

ومن الجمل المقررة والمؤكد لما قبلها ما سبق بيانه⁽³⁾ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرَهُوا فَتِيَنَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ حَخْصًا لِيَتَبَتَّغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁽⁴⁾.

وقد يفيد الإطناب التوكيد بغير ما ذكر كالتقيد بالوصف في قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾⁽⁵⁾.

فالوصف بـ(كاملين) أفاد اعتبار الحولين دون نقص طرداً لما يتسرب إلى النفس من جواز التسامح في الحول الثاني فالتقدير تحقيقي لا تقريبي، ولولا ذكر الصفة (كاملين) لجاز أن يحمل على ما دون الحولين بالشهر والشهرين⁽⁶⁾.

ويذكر الرازي أن المقتضى البلاغي من وراء التأكيد بـ(كاملين) هو "فض التنازع وقطعه بين الزوجين إذا تنازعا في مدة الرضاع، فقدر الله ذلك بالحولين حتى يرجعا إليه عند وقوع التنازع بينهما فللمرأة الحق أن ترفض

(1) سورة النساء الآية: 129.

(2) انظر: روح المعاني، ج 5، ص 261، نظم الدرر، ج 2، ص 329.

(3) انظر: ص 167، من البحث.

(4) سورة النور الآية: 33.

(5) سورة البقرة الآية: 233.

(6) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن، ج 2، ص 301-302، إرشاد العقل السليم، ج 1، ص 276، التبيين في إعراب القرآن، ص 139.

فطام الولد قبل الحولين حتى لو أراد الأب ذلك، وكذلك لو كان على عكس هذا، فأما إذا اجتمعا على أن يפטما الولد قبل تمام الحولين فلهما ذلك فليس التحديد بالحولين تحديد إيجاب⁽¹⁾.

ويتبع هذا في نفس الآية قوله: ﴿فإن أراد فصلاً عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما﴾.

فذكر الجار والمجرور: (منهما) يشعر أن الرضا يتوقف على الزوجين كليهما فلا يحق لأحدهما أن يستأثر ويستبد برأي فطام الطفل إذا لم يرض الآخر فـ (منهما) أي من الوالدين لا من أحدهما فقط لاحتمال إقدامه على ما يضر بالولد بأن تهمل المرأة الإرضاع ، ويبخل الأب بإعطاء الأجرة⁽²⁾. فالشارع هنا يعطي المرأة الحق في إبداء رأيها في القضية عند حصول النزاع بين الزوجين.

وفي قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾⁽³⁾. يأتي تقييد النفس بالوصف (واحدة) رغم دلالة لفظ نفس على الوحدة وذلك للتأكيد على وحدة الأصل "فالجميع ينزع إلى أصل واحد ولا يصلح حالهم إلا ذلك التواصل والتراحم الذي أراده الله لهم منهم"⁽⁴⁾.

وقد ناسب هذا التأكيد ما تقرره الآيات من أحكام وحقوق تتصل بالضعيفين المرأة واليتيم فكان الوصف (بمثابة القاعدة التي يركز عليها النظم القرآني ثم ينطلق نحو إرساء القوانين والتشريعات المتعلقة بأبناء هذين المخلوقين (آدم وحواء)⁽⁵⁾.

وهذه الوحدة جاءت من نفس واحدة، ولم تجئ من جسد واحد ولعل ذلك " لأن النفس جماع الخصائص الإنسانية وقوام ما فضل به الإنسان من التفكير

(1) التفسير الكبير للرازي، ج 6، ص 460.

(2) إرشاد العقل السليم، ج 1، ص 231.

(3) سورة النساء الآية: 1.

(4) سبل الاستنباط ، ص 456.

(5) حواء أم البشرية تصورها البلاغة القرآنية، ص 99.

والوجدان⁽¹⁾. وخلق الناس منها مدعاة " لزيادة شفقة الخلق بعضهم على البعض⁽²⁾، وإدراكهم للتساوي في أصل الخلق والبعد عن التكبر.

"إن الحقيقة التي تتضمنها الإشارة إلى: (النفس الواحدة) كانت كفيلة -لو أدركتها البشرية- أن توفر عليها الأخطاء الأليمة التي تردت فيها، وهي تتصور في المرأة شتى التصورات السخيفة، وتراها منبع الرجس والنجاسة، وأصل الشر والبلاء... وهي من النفس الأولى فطرة وطبعاً، خلقه الله لتكون لها زوجاً، وليبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً، فلا فارق في الأصل والفطرة إنما الفارق في الاستعداد والوظيفة، ولقد خبطت البشرية في هذا التيه طويلاً جردت المرأة من كل خصائص الإنسانية وحقوقها فترة من الزمان تحت تأثير تصور سخيف لا أصل له،... فلما أرادت معالجة هذا الخطأ الشنيع اشتطت في الضفة الأخرى، وأطلقت للمرأة العنان، ونسيت أنها إنسان خلقت لإنسان ونفس خلقت لنفس، وشطر مكمل لشطر، وأنهما ليسا فردين متماثلين، إنما هما زوجان متكاملان، والمنهج الرباني القويم يرد البشرية إلى هذه الحقيقة البسيطة بعد ذلك الضلال البعيد⁽³⁾.

"وكل هذا يتناسب مع مقصود سورة النساء التي جاءت لتقرير الحقوق فخلقهم من نفس واحدة سبب في مراعاتهم الحقوق وداع إليه، وهذا مسلك من مسالك الإلزام والحجاج وتقرير المعاني في القرآن، وسبيل من سبل الدلالة عليها بطريق اللزوم الذي هو أقوى في التقرير⁽⁴⁾.

ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَرَبِّبْكُمْ لَأْتِيَ فِي حُجُورِكُمْ﴾⁽⁵⁾. ففي التقييد بقوله (اللاتي في حجوركم) بيان لعة التحريم، وتأکید على حق الرببية في المعاملة بالحسنى كما يعامل الرجل أولاده، يقول الزمخشري: "فإن قلت ما فائدة قوله (في حجوركم) قلت : فائدته التعليل للتحريم، وأنهن

(1) للناس والحياة - سورة النساء ، ص80.

(2) التفسير الكبير، ج6، ص477.

(3) في ظلال القرآن، ج1، ص568.

(4) انظر: أساليب التوكيد في سورة النساء ، ص26.

(5) سورة النساء الآية: 23.

لاحتضانكم لهن، أو لكونهن بصدد احتضانكم وفي حكم التقلب في حجوركم إذا دخلتم بأمهاتهن، وتمكن بدخولكم حكم الزواج وتثبيت الخلطة والألفة، وجعل الله بينكم المودة والرحمة، وكانت الحال خليقة أن تجروا أولادهن مجرى أولادكم، كأنكم في العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم" (1).

وفي هذا قدر كبير من عناية الإسلام برعاية المرأة على كل المستويات وفي مختلف الظروف والأحوال.

وحين يكون الإنكار على عادة ذميمة في التعامل مع المرأة يأتي الإطناب ليزيد المعنى تأكيداً كقوله تعالى في حادثة الإفك: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾ (2). وكقوله تعالى في إبطال عادة الظهار: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ...﴾ (3).

فالقول لا يكون إلا بالأفواه، والقلب لا يكون إلا في الجوف وإنما ذكرت هذه القيود "مبالغة في النكير عليهم، وزيادة في التصوير والتجلي للمدلول عليه" (4).

7- المقابلة (5):

تمثل المقابلة وجهاً من وجوه تقرير القول: "فالمقابلة تعين على تجلية الحقائق، وإبراز معادتها" (6).

(1) الكشف، ج1، ص433.

(2) سورة النور الآية: 15.

(3) سورة الأحزاب الآية: 4.

(4) انظر: الكشف، ج3، ص547، المثل السائر، ج2، ص122، 121، الطراز، ج2، ص236.

(5) في الاصطلاح: أن يؤتى بمعنيين فأكثر ثم يؤتى بما يقابل هذه المعاني على الترتيب. انظر مفتاح

العلوم، ص200، الإيضاح ج6، ص16.

(6) قراءة في الأدب القديم، د. محمد محمد أبو موسى: (القاهرة: مكتبة وهبة، ط الثانية، 1419هـ-

1998م)، ص286.

وهي "مسلك من مسالك تأطيد الأشياء وترسيخها وتهويلها وتصويرها على نحو لا تتناهى أوطاره"⁽¹⁾.

وفي الآيات مناط الدراسة جاء هذا الأسلوب ليعطي هذه الحقوق مزيداً من التثبيت والإقناع كقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾⁽²⁾.

ففي سبيل الإقناع بتفضيل الأمة المؤمنة والعبء المؤمن، وما تمثله الحياة الزوجية في ظل المرأة المسلمة" لأن رابطة النكاح رابطة اتصال ومعايشة"⁽³⁾ تأتي المقابلة هنا "تضع المخاطب في موضع الرؤية الكاشفة لحالين تقابل كل منهما الأخرى، وذلك أبلغ في التأثير والإقناع إذ يقف المخاطب على النتيجة بنفسه، ويقرر مصيره بنفسه الذي يضع أمامه باب النجاة ووسيلته، وينفره من باب العذاب ووسيلته، فلا شك أن العامل سيختار لنفسه باب النجاة فراراً بنفسه من النار، وبذلك تتجاوز علاقة التضاد في المقابلة حدود الزينة اللفظية ليصبح عليها مدار الدلالة، ولتشكل جوهر المعنى، وهذه هي بلاغة المقابلة"⁽⁴⁾ المقابلة"⁽⁴⁾

وبعد بيان الموارد وتفصيلها تأتي المقابلة لتدل دلالة واضحة على عمق هذه الحقوق والميزان الذي توزن به مؤكدة على ضرورة الالتزام بها حتى وإن كانت مخالفة لما جرت عليه عاداتهم في قسمة الموارد.

يقول تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁽⁵⁾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ⁽⁵⁾.

(1) أسرار الفصل والوصل، ص 61، 82.

(2) سورة البقرة الآية: 221.

(3) التحرير والتنوير، ج 2، ص 363.

(4) "السياق وتوجيه دلالة النص"، ص 467.

(5) سورة النساء الآية: 13-14.

فالمقابلة هنا تتضمن ترغيباً وترهيباً، والترغيب والترهيب أسلوب قرآني يحمل النفس على الموازنة، ويدفعها إلى العمل، ويمنحها الصبر واليقين ويمدها بالعزم والثبات على الحق.

يقول حازم القرطاجاني: "إن للنفس في تقارن المتماثلات وتشافعها، والمتشابهات والمتضادات وما جرى مجراها تحريكاً وإبلاغاً بالانفعال إلى مقتضى الكلام، لأن تناصر الحسن في المستحسنين المتماثلين والمتشابهين أمكن من النفس موقعاً من سnoch ذلك لها في شيء واحد، وكذلك حال القبح، وما كان أمك للنفس وأمكن فيها فهو أشد تحريكاً لها . فلذلك كان موقع المعاني المتقابلات من النفس عجباً"⁽¹⁾. وتعتمد المقابلة هنا في صياغة تركيبها على مسالك من التوكيد بليغة، فالقصر بتعريف الطرفين: (ذلك الفوز العظيم) يوضح أن تنفيذ هذه الأحكام والحقوق هو الفوز الحقيقي لا ما كان يجري في عاداتهم حيث كانوا يعدون اختصاصهم بالإرث دون النساء والأطفال من الفوز، فالآية قلبت هذا المفهوم الخاطئ وقصرت الفوز على الالتزام بحدود الله.

ويقابله في الآية الثانية القصر بالتقديم (وله عذاب مهين) وما فيه من التهديد والوعيد على مخالفة هذه الحدود بظلم الضعفاء من النساء والصغار⁽²⁾، ومنعهم من الإرث استهانة بهم، وهكذا تجلت هذه الحقائق على صورة واضحة بليغة.

ومن المقابلة البليغة التي زادت المعنى تأكيداً قوله تعالى: ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ ﴿ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا ﴾⁽³⁾. فهي مقابلة معنوية تؤكد على أن الأذية والمضارة ليست من الإسلام وأن الواجب المحافظة على المودة ورعاية حقوق المرأة في كل الأحوال.

(1) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجاني، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة،

(دار الكتب الشرقية، بدون بيانات)، ص84.

(2) انظر: نظم الدرر، ج2، ص225.

(3) سورة البقرة الآية: 231.

ومن المقابلة في هذه الآيات ما جاء في قوله تعالى: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ (1).

فبعد الأمر بالإنفاق على المطلقات والمرضعات ذيل الأمر بهذه الجملة القائمة على أسلوب المقابلة بين أحوال المنفق، ليؤكد بذلك ثبوت هذا الحق على كل الأحوال، ويحقق هذا التقابل طمأنينة في القلب وانسراحاً في النفس يدفع بالرجل لأداء هذا الحق وبذله على الوجه المطلوب .

8- الصورة البيانية:

يتخذ القرآن التصوير وسيلة إلى تقرير ما يريد تقريره في النفوس واقتلاع ما يريد اقتلعه منها: " فهو يعبر بالصورة المحسنة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية، ثم يرقى بالصورة التي يرسمها ليمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية، أما الحوادث والمشاهد والقصص والمناظر فيردها شاخصة حاضرة فيها الحياة وفيها الحركة" (2).

والحقيقة أن قيمة التعبير البلاغية إنما تعتمد على المقام الذي يعالجه فقد يدعو أحياناً إلى التوضيح أو التجديد أو التقريب، وأحياناً يدعو إلى المبالغة أو التأكيد، أو تكفي فيه الإشارة أو يفى به الرمز ولكل ذلك ما يناسبه من التعبير الحقيقي أو المجازي بحيث لا يغني أحدهما عن الآخر في نقل المعنى أو رسم الصورة (3).

ومن هنا فإن التصوير في هذه الآيات - رغم قلة ارتكازها عليه كما يشير إلى ذلك الباقلائي (4)، يأتي في موقعه ليحقق الإقناع بمبادئ هذه الحقوق،

(1) سورة الطلاق الآية: 7.

(2) "التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، (مصر: دار المعارف، ط التاسعة، ب.ت)، ص34.

(3) انظر: القرآن والصورة البيانية، د. عبد القادر حسين، (القاهرة: دار نهضة مصر، ب.ط، 1975م)، ص98

(4) انظر: إعجاز القرآن. الباقلائي، ص199.

ويعرضها في صورة محسوسة وكأنها ماثلة أمام العيان وهي صور نابضة بالحياة تهدف أن يكون لها أثر عميق في التوكيد على هذه الحقوق والتسليم بها.

وفي بيان علمائنا الذين سبق الحديث عنهم في الفصل الأول ما يؤكد هذه الحقيقة⁽¹⁾.

وسأعرض هنا بعض الآيات التي اشتملت على التصوير البياني:

من ذلك قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾⁽²⁾. فهي جملة تصور العلاقة الزوجية بصورة حسية فقد: "شبه المرأة باللباس للرجل، وشبه الرجل باللباس للمرأة"⁽³⁾.

وهو تشبيه: "يستمد عناصره من الطبيعة، وذلك هو سر خلود القرآن، فهو باق ما بقيت هذه الطبيعة، وسر عمومته للناس جميعاً، يؤثر فيهم لأنهم يدركون عناصره، ويرونها قريبة منهم وبين أيديهم، ولهذا اختار القرآن كلمة لباس لما توحى به تلك الكلمة من شدة الاحتياج كاحتياج المرء للباس يكون مصدر راحة، وعنوان زينة معاً"⁽⁴⁾.

إن "اللفة اللباس ذات الدلالة الحسية، تعرض صورة دقيقة محكمة في أبعادها، نابغة من واقع ملموس حيث تصور لنا علاقة الرجل بالمرأة لحظة الاتصال، فهما بمثابة لباس يضم جسماً وروحاً واحداً، إن أبعاد هذه اللفة لا يقتصر على هذا المعنى فقط، بل إنها توحى لنا بعمق علاقة الجنسين بعضهما ببعض، وإن دقة هذه العلاقة تكمن في طبيعة كل جنس منهما، لا في غريزة دون أخرى، لأنه كائن بشري يحتاج إلى دفء بشري خاص"⁽⁵⁾.

(1) انظر: ص53، 80، 120، من هذا البحث .

(2) سورة البقرة الآية: 187.

(3) المثل السائر: ج1، ص383.

(4) من بلاغة القرآن، ص 151، 156.

(5) الإعجاز الفني في القرآن، عمر السلاسي، (تونس: مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، ط، 1400هـ -

1980م): ص93.

ومن أجل التأكيد على أهمية اللباس قدمه على الجار والمجور (لكم) (لهن) وهذا يؤكد أهمية الصورة بمحتواها الإنساني العميق هذه الصورة المنبعثة من لفظة (لباس)⁽¹⁾.

ومن الدلالات التي يفيض بها هذا اللفظ ما أشار إليه الطبري حيث ذكر أنه يمتد ليشمل حياة الزوجين بوجه عام وكأن كل واحد من الزوجين سكن للآخر يسكن إليه ويرتاح فيه كما أن اللباس سكن لصاحبه⁽²⁾.

وفي هذا التشبيه أيضاً دلالة على اختصاص الرجل بالمرأة، واختصاصها به كاختصاص اللباس بصاحبه، وأن ه ذا الجماع يصون كلاً من الرجل والمرأة عما لا يحل ويحفظهما عن الدنس والفحش كما يصون اللباس عورة صاحبه عن أنظار الناس بجامع الحفظ والصيانة، فاللباس في القرآن يتخطى الستر المادي إلى المعاني المجازية من الحفظ والصيانة والوقاية ودفع الأذى والضرر ومن أجل هذه المعاني شبه القرآن النساء باللباس للرجال، ثم شبه الرجال باللباس لهن لأن كلا منهما يحفظ الآخر ويحميه ويزينه⁽³⁾.

وهكذا تحمل هذه الصورة أبعاداً من المعاني وتكشف عن نظرة الإسلام لهذه العلاقة ومكانتها في شريعته، وهذا يؤكد على وجوب العناية بها وأنها أمر فطري قائم في الرجل والمرأة فلا غنى لأحدهما عن الآخر ولا صبر عنه، والإسلام من هذا المنظور يرتفع بهذه العلاقة إلى أسنى درجات العفة والطهارة والذوق والجمال، وأي إساءة للمرأة أو الرجل في هذه اللحظة من شأنها أن تذهب بجمال العلاقة وروعة الاتصال، فمن الواجب حفظها وصونها عن أعين الناس والارتفاع بها إلى جمال لا يضاهيه جمال.

ومما يحسن الكلام فيه هنا قوة التركيب الذي قام عليه التشبيه فتكرار لفظة اللباس مع إمكان الاستغناء عنه يؤكد المعنى ويوضح أن اللباس لازم لكل من الرجل والمرأة وأن حقهما في هذه العلاقة ثابت يجب ألا يهضم، ويبين كذلك وظيفة كل واحد من الزوجين وأهميته في بناء الحياة الزوجية،

(1) انظر: المصدر السابق . .

(2) انظر: جامع البيان، ج3، ص232.

(3) انظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، ج2، ص241.

وكان يكفي في اللغة أن يقال: ﴿هن لباسكم وأنتم لباسهن﴾ ويكون المعنى متحققاً لكن التعبير القرآني أثر هنا اللام في (لهن، ولكم) ليبرز المعنى بصورة التملك والأحقية في هذا الشأن⁽¹⁾. ومن أجل هذا فصلت الجملة عن سابقتها لأنها واقعة موقع البيان لسبب الإحلال.

ومن التشبيه البليغ الذي أسهم بقدر كبير في تقوية المعنى قوله: ﴿نساؤكم حرث لكم﴾⁽²⁾. فقد شبه الله المرأة بالحرث وهي الأرض التي تحرث للزرع، وكذلك الرحم يزرع فيه الولد ازدياداً كما يزرع البذر في الأرض⁽³⁾.

والقرآن بهذه الصورة يضيف على العلاقة الزوجية بهاءً، فلم تعد في نظره تلك العلاقة التي يراد بها إشباع رغبة جنسية، وإنما هي حرث يرجى منه ثمرة، وينتظر منه خير عميم وتوضح لنا الصورة أمراً مهماً في الحياة الزوجية فكما يتعهد الفلاح أرضه ويمهد لزراعته، وكما تكون الأرض بحاجة إلى الحرث فالغريزة الطبيعية للمرأة تحتاج إلى تعهد يمنحها الصلاح والنفعة فمن حق المرأة أن تتال الاحترام والرضا وبسط المودة والرحمة والكلمة الطيبة التي تلتف الأجواء بعيداً عن العنف والغلظة والاستكبار والاستبداد وبذلك تؤتي الحياة الزوجية أكلها بإذن ربها.

وقد يكون الغرض من التشبيه المبالغة في التنفير من حالة معينة يكون فيها ظلم للمرأة وبخس لحقوقها كقوله تعالى محذراً من ظلم الزوجات وعدم العدل بينهن: ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ...﴾⁽⁴⁾.

يقول: أبو حيان: "شبهت المرأة بالشيء المعلق من شيء لأنه لا على الأرض استقر ولا على ما علق منه"⁽⁵⁾.

(1) انظر: الكشاف، ج1، ص210، نظم الدرر، ج1، ص350، من البلاغة القرآنية في آيات أحكام النساء، ص132.

(2) سورة البقرة الآية: 223.

(3) انظر: المثل السائر، ج1، ص383.

(4) سورة النساء الآية: 129.

(5) البحر المحيط، ج3، ص358، وانظر: المحرر الوجيز، ج2، ص120، الجامع لأحكام القرآن، ج5، ص407.

فالمشبه هنا هي الزوجة التي يهجرها زوجها هجراً طويلاً، يؤثر عليها ضررتها ويتركها مهملة مضطربة، لا هي موصولة من زوجها تشعر بالدفء ولا هي خالية من زوج فترضى وتصبر، والجامع في التشبيه هو عدم الاستقرار على وضع واحد.

إن القرآن هنا يجعلنا أمام صورة محسوسة تلقي بظلالها على معنى الظلم والقسوة الذي تحاربه السورة، وتتوثق من خلال هذه الصورة: "صلة السامع بالمعنى، ويستقر في ذهنه ويؤثر في فؤاده وتتجاوب معها أصداء نفسه فيمتلئ بها إحساساً ويتيقظ إلى ما فيها من مغزى واضح يتصور اضطراب المرأة وقلقها وعدم استقرارها حين تكون حياتها مليئة بالمتاعب⁽¹⁾.

إن فائدة التشبيه هنا تكمن في: "إنك إذا مثلت الشيء بالشيء فإنما يقصد به إثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به، أو بمعناه وذلك يؤكد في طرفي الترغيب فيه أو التنفير عنه"⁽²⁾.

والقرآن بهذا التشبيه البليغ يقف إلى جانب المرأة، ويرفض رفضاً تاماً هذا الإهمال الذي يسلب منها راحتها وكرامتها.

"وتبرز فوائد الأمثال من ناحية تأكيد المعاني وتقريرها في النفوس بإخراج المعقول في صورة المحسوس مما يستدعي الأنس إليها والتأكد من صدقها، والكشف عن غامضها، وتقريب بعيدها وإحضار غائبها"⁽³⁾.

نلمح هذا في قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ^٤ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ أَلَّتِي تَطْهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ...﴾⁽⁴⁾.

فالله تعالى: "ضرب هذا المثل تمهيداً لإبطال ما تواضع عليه أهل الجاهلية، فكما أنه سبحانه لم يكن ليخلق للإنسان قلبين فلذلك لم يكن ليجعل

(1) انظر: القرآن والصورة البيانية، ص321، من بلاغة القرآن، ص198.

(2) المثل السائر، ج2، ص124.

(3) التعبير الفني في القرآن د. بكرى شيخ أمين، (بيروت: دار العلم للملايين، ط الأولى، 1994م، ط

السابعة، 2004م)، ص239.

(4) سورة الأحزاب الآية:4.

الزوجات أمهات لأن الأم مخدومة والزوجة مستخدمة، ولم يكن ليُجعل الأُدعياء أبناء، لأن البنوة أصالة في النسبة والدعوة إصاق عارض ب التسمية لا غير" (1).

يقول الدكتور أبو موسى: "وهذا فن من البيان القرآني الذي نلمح فيه صورة المشبه به أو المثل المقيس عليه، وقد توفرت فيه فنون من صنعة الصياغة والنظم يزداد بها البيان قوة وجلاء..." (2).

ويسعى القرآن في سبيل التأكيد على حقوق المرأة أن يصور حياتها مع الرجل برابطة قوية تستوجب الوفاء.

ففي قوله تعالى: ﴿أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ (3).

يظهر ما تؤديه الاستعارة هنا من جمال المعنى والتأكيد عليه، فقد شُبِهُت الآية رابطة الزواج بـ (عقدة الحبل) توثيقاً وتأكيداً على عمق هذه الرابطة ثم استعيرت عقدة على سبيل الاستعارة التصريحية تجسيدا لقوة الارتباط بين الزوجين كما يقوى الارتباط بين خيوط الحبل بالعقدة.

هذه العقدة التي أفضت إلى النكاح، وإلى المسيس، وإلى اتخاذ الزوجة سكناً والإفضاء إليها، كان لزاماً على الزوج أن يحافظ على هذه النعمة وأن يشكر الله الذي ملكه إياها (4).

ومثل هذا ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (5).

فالميثاق هو العهد والعقد وقد وصفه بالغلظ وهو من صفات الأجسام الصلبة على سبيل الاستعارة لتقوية المعنى فاللفظ يستلزم القوة (6). وتوحي الاستعارة هنا بشدة نهى الزوج عن الطمع في أخذ شيء مما أعطى للمرأة

(1) الكشاف، ج3، ص236.

(2) من أسرار التعبير القرآني، ص63.

(3) سورة البقرة الآية: 237.

(4) انظر: من البلاغة القرآنية في آيات أحكام النساء، ص87.

(5) سورة النساء: الآية: 21.

(6) انظر: التحرير والتنوير، ج6، ص16.

بعد عهد الصحبة والعشرة، وهي تؤكد كذلك على منع هذا الفعل . يقول الشيخ محمد عبده "إن المرأة لا تقدم على الزوجية وترضى بأن تترك جميع أنصارها وأحبائها لأهل زوجها إلا وهي واثقة بأن تكون صلتها به أقوى من كل صلة وعيشها معه أهنأ من كل عيشة وهذا ميثاق فطري من أغلظ المواثيق وأشدّها إحكاماً"⁽¹⁾.

ومن خلال هذه اللفظة (غليظ) تتضح نظرة القرآن إلى هذه الصلة التي تربط بين الزوجين وإحكامه بتوطيدها عن طريق التنويه بقيمتها بتصويرها كالعقدة الغليظة التي يصعب فكها، وهذا يدعو إلى الشعور بالمسؤولية ووجوب المحافظة على هذا العقد بالمودة والرحمة والمعاشرة بالمعروف، وألا يكون الطلاق إلا بسبب مشروع، وبعد استنفاد كل الوسائل والطرق الإصلاحية⁽²⁾.

وهكذا أيضاً تأتي استعارة الرمي للقذف في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾⁽³⁾. لتؤكد على خطورة وتأثير القذف في المحصنات.

يقول أبو السعود: "وفي التعبير عن التفوه بما قالوا في حقهن بالرمي المنبئ عن صلابة الآلة وإيلام الرمي وبعده عن الرامي إيذان بشدة تأثيره فيهن وكونه رجماً بالغيب"⁽⁴⁾.

فالرمي في الأصل: القذف بشيء صلب وقد استعير هنا للشتم بفاحشة الزنا لكونه جناية بالقول، فاستعماله في سب العفيفات وقذفهن بالزنا استعارة تصريحية تبعية، شبه القذف باللسان بالرمي بجامع شدة التأثير والإيلام في كل، ثم استعير الرمي للقذف واشتق منه يرمي بمعنى يقذف⁽⁵⁾.

(1) تفسير المنار، ج4، ص460.

(2) انظر: الإعجاز الفني في القرآن، ص81، قيس من نور القرآن، ص72، 73.

(3) سورة النور: الآية:4.

(4) إرشاد العقل السليم، ج4، ص439.

(5) انظر: مع النظم القرآني في سورة النور، ص43.

وفي هذا تصوير لهذا الفعل القبيح الذي لا يقف أثره عند حدود المرأة فحسب وإنما يمتد ليشمل أهلها ويفسد عليها حياتها الزوجية ويجلب معه الشك والريبة في المجتمع حتى كأن أثره واضح للعيان.

وهكذا يسعى القرآن بهذه المسالك المختلفة إلى تأكيد هذه الحقوق والبيان عنها بأبلغ صورة وأدق بيان، والمسلم حين يوازن بين المنهج الرباني في الآيات السابقة وبين غيره من الأنظمة التي حاولت سن بعض القوانين الاجتماعية، يحس مدى الكرامة والنظافة والسلام الذي أراده الله للبشر وهو يشرع لهم هذا المنهج، وترى المرأة بصفة خاصة مدى رعاية الله لها وحفظه لكرامتها، وما من امرأة سوية تدرك هذه الرعاية الظاهرة في هذا المنهج إلا وينبثق في قلبها حب الله⁽¹⁾.

(1) انظر: في ظلال القرآن الكريم، ج 1 ، ص 233.

المبحث الثالث

مشتبه النظم في مسالك توكيد
حقوق المرأة في القرآن الكريم

أخذ الحديث عن مشتبه النظم في القرآن الكريم بعداً كبيراً في دراسات العلماء قديماً وحديثاً، وكان الدافع وراء ذلك ما لمسناه هؤلاء العلماء في عرض حقائق القرآن في سياقات مختلفة، وتقليب وجوه صياغتها بفروق تدل على إعجاز القرآن ودقة بيانه.

وقد حاول العلماء من خلال تلك البحوث إدراك أسرار هذا التنوع، والبحث عن فهم أحكام القرآن وشرائعه، والرد على من قصر فهمه، وقعد به جهله عن إدراك تلك الأسرار فمضى يطعن في أسلوب القرآن ونظمه من غير وجه حق، والمتأمل يدرك أن "المقاصد الكلية للقرآن الكريم لا يأتي البيان عنها في موضع واحد من القرآن الكريم بل تراه يصرف البيان عنها في مواضع عديدة، وينوع طرائق الدلالة عليها تنوعاً لا يكاد التدبر النافذ والوسيع يحيط بها"⁽¹⁾.

إن العلماء وقفوا أمام هذا الافتتان في عرض المعنى بصور مختلفة وصياغات متشابهة في القرآن الكريم، وأشاروا إلى ذلك في كتبهم يقول صاحب كتاب مناهل العرفان: "وهكذا تجد القرآن يفتن في أداء المعنى الواحد بألفاظ وطرق متعددة، بين إنشاء وإخبار وإظهار وإضمار، وتكلم وغيبة وخطاب، ومضي وحضور واستقبال واسمية وفعلية، واستفهام وامتنان، ووصف ووعد ووعيد، إلى غير ذلك، ومن عجب أنه في تحويله الكلام من نمط إلى نمط كثيراً ما تجده سريعاً لا يجارى في سرعته، ثم هو على هذه السرعة الخارقة لا يمشي مكباً على وجهه، مضطرباً أو متعثراً، بل هو محتفظ دائماً بمكانته العليا في البلاغة «يمشي سوياً على صراط مستقيم»⁽²⁾، ولقد خلع هذا التصرف والافتتان، لباساً فضفاضاً من الجدة والروعة على القرآن، ومسحه بطابع من الحلاوة والطلاوة حتى لا يمل قارئه ولا يسأم سامعه مهما

(1) الإمام البقاعي جهاده ومنهاج تأويله بلاغة القرآن الكريم، د . محمود توفيق (ط الأولى، ب. ت)، ص272.

كثرت القراءة والسماع، بل ينتقل كل منهما من لون إلى لون، كما ينتقل الطائر في روضه غناء من فنن إلى فنن، ومن زهر إلى زهر"⁽¹⁾.

ويقول الباقلاني: "والقرآن على اختلاف ما يصرف منه من الوجوه الكثيرة، والطرق المختلفة يجعل المختلف كالمؤتلف، والمتشابه كالمتناسب والمتنافر في الأفراد إلى حد الأحاد، وهذا أمر عجيب، تبين به الفصاحة، وتظهر به البلاغة، ويخرج معه الكلام عن حد العادة ويتجاوز العرف، وأنت ترى الكلمة من القرآن يتمثل بها في تضاعيف كلام كثير، وهي غرة جميعه وواسطة عقده، والمنادي على نفسه بتميزه، وتخصصه برونقه وجماله واعتراضه في جنسه ومائه"⁽²⁾.

ومن أجل هذا حمل الإمام عبد القاهر على عاتقه مهمة البحث عن سر الإعجاز في كتابه (دلائل الإعجاز) محاولاً الوقوف على هذا السر في قوله: "أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم في مبادئ آية ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها، وفي مضرب كل مثل، ومساق كل خبر، وصورة كل عظة وتنبية وإعلام وتذكر وترغيب وترهيب...، وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وعشراً عشراً، وآية فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها ولفظة ينكر شأنها، أو يرى أن غيرها أصلح أو أحرى وأخلق، بل وجدوا اتساقاً بهر العقول، وأعجز الجمهور ونظاماً والتتاماً واتقاناً وإحكاماً، لم يدع في نفس بليغ منهم، ولو حك بيافوخه السماء، موضع طمع، حتى خرست الألسن عن أن تدعي وتقول، وخذيت القروم فلم تملك أن تصول"⁽³⁾.

وفي العصر الحديث تحدث الرافي عن سر الإعجاز من ه ذا الطريق فقال: "وإنك لتحار إذا تأملت تركيب القرآن ونظم كلماته في الوجوه المختلفة التي يتصرف فيها، وتقعد بك العبارة إذا أنت حاولت أن تمضي في وصفه

(1) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، (دار إحياء الكتب العربية، ب . ط،

ب.ت)، ج2، ص218.

(2) إعجاز القرآن، ص60، 67.

(3) دلائل الإعجاز، ص39.

حتى لا ترى في اللغة كلها أدل على غرضك وأجمع لما في نفسك، وأبين لهذه الحقيقة غير كلمة الإعجاز⁽¹⁾.

وفي سبيل النظر في هذا الوجه من الآيات قامت الدراسات وتعددت البحوث، فألف جماعة من أهل العلم والفضل كتبهم وحصروها في دراسة المتشابه في القرآن الكريم يأتي في مقدمتهم الخطيب الإسكافي في كتابه (درة التنزيل وغرة التأويل) ثم الكرمانلي في كتابه (البرهان في متشابه القرآن) ثم ابن الزبير الغرناطي في كتابه (ملاك التأويل) ثم بدر الدين بن جماعة في كتابه (كشف المعاني) إلى غير ذلك من الكتب في هذا المجال، ناهيك عما تفرق من كلام حول الآيات المشتبهات في كتب التفسير والبلاغة.

إن دراسة الآيات في كتب المتشابه كانت تهتم بعرض الآيات المتناظرة في كتاب الله مستظهرة في دراستها الأسرار والفروق تبعاً للمناسبات الدقيقة التي جاءت فيها، وهي دراسات تختلف وتتفاوت في أسلوب تناول وطريقة العرض ومستوى الاستظهار.

ومشتبه النظم الذي سأقف عليه في هذا المبحث له صلة بتلك المؤلفات والدراسات التي قامت حولها، والتي سعت إلى تعريفه وتحليل الفروق بينه وبين مصطلحات أخرى تعلق به كالمتشابه والتكرار والتصريف البياني⁽²⁾، وسأخلص منها إلى بيان المقصود من هذا المصطلح (مشتبه النظم) الذي يتناول وفقاً للنظر في تلك المؤلفات والدراسات: التغيير في بنية العبارة ودراسة التراكيب التي اشتبهت صياغاتها وما بينها من فروق، أي تشابه البيان في علاقاته النظمية من تقديم وتأخير، وفصل ووصل وذكر وحذف وتعريف وتكثير، واختلاف مقاطع الجمل بالنسبة لما قبلها، واختلاف خواتيم

(1) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى الرفاعي (القاهرة: مؤسسة المختار، ط الأولى، 1423هـ-2003م)، ص192.

(2) انظر في مثل هذه الدراسات: مشتبه النظم في القرآن الكريم، عبد العزيز حسين خضر (رسالة دكتوراه: جامعة الأزهر، 1404هـ-1984م) بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم، د. محمد عبد الله النقراط، (دمشق: دار قتيبة، ط الأولى، 1423هـ-2002م).

المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية، صالح عبد الله الشثري، (رسالة دكتوراه: جامعة أم القرى، 1421هـ-2001م).

الآيات بالنظر إلى أوائلها، ومناطق كل ذلك العلاقات النحوية بين معاني الكلم في بناء الجملة في الآية، أو بين معاني الآيات في بناء المعقد، ومما يقرره الباحثون في هذا المجال أن المتشابه أصل في الاشتباه فكل مشتبه متشابه ولا عكس⁽¹⁾.

ولأن هذا الموضوع دقيق وعميق اشترط ابن الزبير الأندلسي لمن يخوض هذا المضمار أن يعرف غريب اللغة والمشارك والمجمل، والظاهر والمؤول، وأساليب العربية في التقديم والتأخير والتقييد والإطلاق، والتخصيص والتعميم، والنحو والصرف، والمنطوق والمفهوم والإيجاز والإطناب في علوم البلاغة، كما يلزم معرفة وجوه إعجاز القرآن⁽²⁾.

وحيث عُرِضَتْ حقوق المرأة في القرآن الكريم بصور وأساليب مختلفة، وتواردت الآيات ذات الموضوع الواحد فيها بنوع من التغيير في تركيبها ونظمها مظهرة بذلك إعجاز القرآن الكريم وبلاغته من خلال تلك التنقلات البديعة المحكمة من مسلك إلى آخر حسب مقتضيات الأحوال، وما يحققه هذا التنوع من مقاصد عظيمة سيتم النظر فيها والوقوف على أسرارها، وتفقد المعاني واستبصار دلالات تراكيبيها التي اشتبهت في صياغتها، ورغم صعوبة هذا الأمر فقد بذلت فيه وسعي وطاقتي مستعيناً بالله، ذلك أن النظر في مثل هذه المسالك كغيرها من المسالك يعتمد على نظر فاحص في تراكيب الكلام وألفاظه وعلاقات كلماته بعضها ببعض، ومما اقتضاه المقام من بسط وإشارة، واهتمام بجزء من المعنى وتصويره وجعل الآخر تابعاً له، وسوق الكلام على الخبر أو الاستخبار أو التصوير أو الإنكار، أو التنفير أو الترغيب، ووقوع كل واحد من هذه الطرق موقعه الأشكل للمعنى والأنسب لأحوال النفس والشعور⁽³⁾.

(1) انظر: الإمام البقاعي جهاده ومنهاج تأويله بلاغة القرآن الكريم، ص 273، مشتبه النظم في القرآن الكريم، ص 2-12.

(2) انظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من أي التنزيل، ابن الزبير الغرناطي، تحقيق: سعد الفلاح، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط الأولى، 1403هـ-1983)، ج 1، ص 3.

(3) خصائص التراكيب، ص 224.

وبناء على ما سبق سأقف على آيات رأيت فيها شيئاً من مشتبه النظم في اتفاقها على موضوع واحد واختلافها في هيئة التراكيب واعتمادها على مسلك دون آخر، ومجيء هذا المسلك في صيغة تختلف من آية إلى أخرى، مشيراً إلى آراء العلماء فيها ومحاولاً إدراك الأسرار في نظمها.

ومن ذلك ما يلي:

1- قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ...﴾⁽¹⁾.

وقال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾⁽²⁾.

وقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾⁽³⁾.

وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٣٦﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾⁽⁴⁾.

أكدت الآيات السابقة على الوصية بالوالدين، وصلة الأرحام من رجال ونساء، وقد اختلف نظم الآيات بعضها عن بعض وإن اتحد أصل المعنى فيها، ومسلك التوكيد عليه المصدر (إحساناً) وما تبع ذلك من عناصر النظم.

فقد ورد لفظ (ذي القربى) في سورة البقرة بدون الباء. بخلاف سورة النساء فقد ورد اللفظ مصحوباً بالباء (بذي القربى) التي تدل على التوكيد والمبالغة يقول أبو حيان معللاً السر في ذلك: "بولغ في هذه الآية (آية النساء) لأنه في حق هذه الأمة، ولم يبالغ في تلك (آية البقرة) لأنها في حق بني

(1) سورة البقرة الآية: 83.

(2) سورة النساء الآية: 36.

(3) سورة الأنعام: 151.

(4) سورة الإسراء الآية: 23.

إسرائيل، والاعتناء بهذه الأمة أكثر من الاعتناء بغيرها، إذ هي خير أمة أخرجت للناس»⁽¹⁾.

ويشير البقاعي إلى أن مجيء الباء في سورة النساء يتوافق مع مقصود السورة لأنها جاءت تبني الوشائج، وتقيم الحقوق ولاقتضاء هذه السورة مزيد الحث على التعاطف أعاد الجار، ثم أتبع ذلك من تجب مراعاته لله⁽²⁾.

فإذا نظر المتأمل في سورة الأنعام وجد الخطاب فيها على حق الوالدين فقط وذلك لأن الخطاب فيها موجه إلى المشركين.

في حين جاءت آية الإسراء مختلفة في نظمها وفي قوة الوصية، معتمدة على التفصيل في حق الوالدين ومفتحة الخطاب بفعل يقتضي الإلزام، ويعود ذلك إلى كونها أول تفصيل للشريعة للمسلمين وقع بمكة فاستدعى المقام هذا المسلك البليغ⁽³⁾.

فسياق الآيات كما نرى يقتضي نظماً خاصاً ينتاسب مع مقصود الخطاب فيها ويتبين من خلالها علاقة المبنى بالمعنى.

ومما أشتبهه نظمه:

2- قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِنْ نَسَائِهِمْ تَرِيصٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾⁽⁴⁾.

وقوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾⁽⁵⁾.

وقف العلماء عند تقييد التربص في الآية الثانية (بأنفسهن) دون الأولى فلم يقل (يتربصن ثلاثة قروء) مباشرة كما في الآية الأولى.

وقد ذكروا أن تقييد الفعل بالأنفس له أثر في تهيج وبعث النساء على التربص، فالمرأة قد تستتكف عن التربص، وتطمح نفسها إلى التزوج بأخر فجاء التقييد للتنبيه على ما يكون في أنفسهن من رغبة واندفاع، فأمرن أن

(1) انظر: البحر المحيط، ج3، ص229.

(2) انظر: نظم الدرر، ج2، ص255.

(3) انظر: التحرير والتنوير، ج15، ص65.

(4) سورة البقرة الآية: 227.

(5) سورة البقرة الآية: 228.

يقمعن أنفسهن ويجبرنها على التربص، بخلاف الآية الأولى فإن المأمور فيها بالتربص الأزواج، وهم وإن كانوا طامحين إلى النساء لكن ليس لهم استتكاف منه، فذكر الأنفس لا يفيد تحريضهم على التربص⁽¹⁾.

وفي هذا اللفظ (أنفسهن) تأكيد للضمير المرفوع المتصل في الفعل (يتربص) وفائدة التوكيد هنا أنهن يباشرن التربص بأنفسهن فهن المأمورات بذلك، لا أن غيرهن يباشرن منهن التربص فيكون ذلك أدعى لوقوع الفعل منهن وأبلغ في المراد، فمتى أكد الكلام دل على شدة المطلوب⁽²⁾.

ووقوع الفعل منهن إشارة إلى الأمانة الموكولة بهن في هذا الشأن فكما أن الطلاق أمانة في حق الرجل فكذلك العدة أمانة في حق المرأة لما يترتب عليها من شأن في حياتهن وحياة الأمة⁽³⁾.

وأشير هنا إلى مغزى لطيف أشار إليه سيد قطب حين ذكر أن التعبير بهذا اللفظ (أنفسهن) يكشف أن التربص في المرأة "حالة طبيعية تدفع إليها رغبة المرأة في أن تثبت لنفسها ولغيرها أن إخفاقها في حياة الزوجية لم يكن لعجز منها أو نقص، وأنها قادرة على أن تجتذب رجلاً آخر، وأن تنشئ حياة جديدة، هذا الدافع لا يوجد بطبيعته في نفس الرجل لأنه هو الذي طلق، بينما يوجد بعنف في نفس المرأة لأنها هي التي وقع عليها الطلاق"⁽⁴⁾.

ومنه أيضاً:

3- قوله تعالى: ﴿الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾⁽⁵⁾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ...﴾⁽⁶⁾.

(1) انظر: الكشاف "ج1، ص245، روح المعاني، ج2، ص31، التحرير والتنوير، ج2، ص390.

(2) انظر: البحر المحيط، ج2، ص174.

(3) انظر: نظم الدرر، ج1، ص425، وانظر: صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم، ص74، 75.

(4) في ظلال القرآن، ج1، ص239.

(5) سورة البقرة الآية: 229.

(6) سورة البقرة الآية: 231

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾⁽¹⁾.
والنظر في نظم هذه الآيات البيّنات من وجوه:

الأول: هل تعد آية البقرة وهي قوله عز شأنه: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ تكراراً لقوله تعالى في نفس السورة: ﴿فَأَمْسَاكِ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِحِي بِإِحْسَانٍ﴾ أجاب عن هذا الإمام الرازي موضحاً أن موضوع الآيتين مختلف، فالآية الأولى تفيد التخيير بين الإمساك والتسريح في مدة العدة أما الآية الثانية فإنها تفيد التخيير عند مشاركة العدة، فلكل منهما مقام.

وتعود الحكمة في تكرار الوصية بالإمساك أو التسريح إلى كون التذكير بهما عند مشاركة انتهاء العدة أولى من أي وقت مضى ليقرر الزوج ما يبيت به في هذه الحالة، لأن مراجعة الزوجة عند آخر الأجل من أجل تطويل العدة دون قصد الاستمرار من أقوى صور المضارة وأولها في وجوب الاحتراز منها، ومن أجل هذا ذكر الفعل مع متعلقه في الآية الثانية: "فَأَمْسِكُوهُنَّ - أَوْ سَرِّحُوهُنَّ" بخلاف الآية الأولى: "فَأَمْسَاكِ بِمَعْرُوفٍ، أَوْ تَسْرِحِي بِإِحْسَانٍ"⁽²⁾.

الثاني: من وجوه النظر ما جاء عليه نظم الآيات من حيث اصطفاء المصدر النائب عن فعله، وإيثار الرفع فيه في الآية الأولى من سورة البقرة، والتعبير بالفعل في الآية الثانية من سورة البقرة وآية سورة الطلاق، والسياق والسباق داعيان إلى ذلك، فالآية الأولى (الطلاق مرتان) جاءت لتحد الطلاق الرجعي، وتبين أن الطلقة الأخيرة يكون الحكم معها على وجه الدوام إما الإمساك بالمعروف أو التسريح الذي لا رجعة فيه، وينبغي أن يكون ذلك على الوجه الأمثل الأكمل، ولهذا كان اصطفاء المصدرين ورفعهما تأكيداً لمعنى الثبات والتحقيق لاسيما وقد جاء الأمر في حد الطلاق الرجعي على صورة الخبر (الطلاق مرتان) وهو أبلغ من الأمر المباشر، ولكون الطلاق ذو أثر بالغ في نفس الزوجة، وكان إتباعه بالإمساك بالمعروف أو التسريح

(1) سورة الطلاق الآية : 2

(2) انظر: التفسير الكبير، ج6، ص451.

بالإحسان يزيل ما كان من أثر الطلاق، وكلما بولغ في تحقيق ذلك كلما كان ذلك أشفى وأجدى⁽¹⁾.

الثالث: من وجوه النظر ما وقف عنده علماء المتشابه من بيان الحكمة في اختصاص آيتي البقرة بلفظ (السراح والتسريح) واختصاص آية الطلاق بلفظ الفراق.

وقد أجاب ابن الزبير الغرناطي عن هذا وبنى جوابه على مناسبة السياق لكل من اللفظين:

يقول: "والجواب -والله أعلم- أن آية البقرة قد اكتنفها النهي عن مضارة النساء، وتحريم أخذ شيء منهن ما لم يكن منهن ما يسوغ ذلك من ألا يقيما حدود الله، فلما اكتنفها ما ذكر واتبع ذلك بالمنع، من عضلهن وتكرر أثناء ذلك ما يفهم الأمر بمجاملتهن والإحسان إليهن حالي الاتصال والانفصال لم يكن ليناسب ما قصد من هذا أن يعبر بلفظ: "أو فارقوهن"، لأن لفظ الفراق أقرب إلى الإساءة منه إلى الإحسان، فعدل إلى ما يحصل منه المقصود مع تحسين العبارة وهو لفظ التسريح فقال تعالى: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ وليجاري ما تقدم من قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فِإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ إلى أن قال: "وقد روعي في هذه الآي كلها مقصد التلطيف وتحسين الحال في المحنة والافتراق، ولما لم يكن في سورة الطلاق تعرض لعضل ولا ذكر مضارة جاء التعبير بلفظ "فارقوهن" في حالة الانفصال، ووقع الاكتفاء فيما يراد من المجاملة في الحالتين بقوله: "بمعروف" وبأن افتراق اللفظين في السورتين وورد كل من العبارتين على ما يجب من المناسبة، والله أعلم"⁽²⁾.

(1) انظر: صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم، ص 56.

(2) ملاك التأويل، ج 1، ص 268، 269.

ومن الآيات المشتبهات:

4- قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (1).

وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (2).

والوقوف مع الآيتين حول التعريف في قوله: "بالمعروف" في الآية الأولى مع اختصاصه بالباء، والتكثير في الثانية (من معروف) واختصاصه بـ(من) بالإضافة إلى الكلام حول تعقيب الآية الأولى بقوله: ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ وتعقيب الثانية بقوله: ﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

فأما توجيه الأول: فقد ذكر العلماء أنه مبني على المعنى المراد من الآيتين، فلما كان المراد من الآية الأولى هو أنه لا جناح على أولياء النساء فيما فعلن مما شرعه الله تعالى لهن من التعرض للخطاب والتزوج بعد انقضاء العدة، جاء لفظ "المعروف" معرّفاً بالألف واللام وبالإلصاق (3). يقول ابن الزبير الغرناطي: "المراد به-أي (بالمعروف) الوجه الذي لا ينكره الشرع ولا يمنعه، ولهذا وصل الفعل هاهنا بالباء، والإحالة على متقرر معلوم وهو الشرع، فورد معرّفاً بأداة العهد وعدى فعلن بالباء" (4).

ولما كان المراد من الآية الثانية (5). فيما فعلن من أفعالهن بأنفسهن من مباح مما يتخيرنه من تزين للخطاب وتزوج أو قعود أو سفر أو غير ذلك مما

(1) سورة البقرة الآية: 234.

(2) سورة البقرة الآية: 240.

(3) انظر: درة التنزيل، للإسكافي، ص 29، والبرهان في توجيه متشابه القرآن، محمود حمزة الكرمانى،

تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، (القاهرة: دار الاعتصام، ب.ط، 1394هـ-1974م)، ص 14.

(4) ملاك التأويل، ج 1، ص 274.

(5) وهي منسوخة بالآية المتقدمة من السورة نفسها وبـ (آية الميراث). =

لهن فعله جاء اللفظ نكرة وجاء فيه بمن⁽¹⁾.

قال الغرناطي: " ثم جاءت الآية الثانية لتأخرها في التلاوة مشيرة إلى تفصيل ما يفعلن في أنفسهن من التزين والتعرض للخطاب، وما يجاري ذلك من معروف مما ليس بمنكر شرعاً، والتكثير هنا محرز للمعنى المقصود، و"من" للتبويض وهو تفسير، وكأن قد قيل في الوجه المباح لهن الذي لا يمنعه الشرع فجوب بتفصيل مشير إلى أنه ليس وجهاً واحداً لا يتعدينه بل لهن أن يتزين ويتعرضن للخطاب ويفصحن بما يطلبن من صداق وغير ذلك من مصالحهن المباحة لهن شرعاً، فهذا موضع (من) وموضع التكثير، والأول موضع الباء والتعريف بحسب ما قصد في كل من الموضعين"⁽²⁾.

كما أعاد الغرناطي في موضع آخر الحكمة في ذلك إلى ما يقتضيه لفظ (إذا بلغن أجلهن)، وما يقتضيه لفظ (فإن خرجن) فالأول يفيد أمداً معلوماً محددًا معروف الغاية فناسبه التعريف.

أما الثاني فحصل فيه إيهام من جهتين : إحداهما كون الأجل لم يذكر بلوغه والثانية ما تقتضيه (إن) من التقيد بالاستقبال دون اقتضاء تعقيب أو مباحة ومن أجل ذلك ناسبه التكثير في قوله: (من معروف)⁽³⁾.

ومن الآراء التي ذكرت في توجيه ذلك أن الآية الأولى متأخرة في النزول عن الآية الثانية، فلهذا نكر اللفظ أولاً ثم عرف ثانياً، لأن النكرة إذا تكررت صارت معرفة⁽⁴⁾. كما قال تعالى: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۗ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ۗ ﴾⁽⁵⁾.

= انظر: صحيح البخاري كتاب التفسير، باب ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً﴾، ج6، ص63، أو ج4، ص1646، حديث رقم 4414.

(1) انظر: كشف المعاني في المتشابه المثاني، بدر الدين بن جماعة، تحقيق : عبد الجواد خلف، (المنصورة: دار الوفاء، ب.ط، 1410هـ-1990م)، ص116.

(2) ملاك التأويل، ج1، ص274.

(3) انظر: المصدر السابق، ج1، ص272، 273.

(4) انظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص42.

(5) سورة المزمّل الآية: 15-16.

وأما توجيهه (التعقيب) في الآيتين فقد أجاب عنه أيضاً الغرناطي بقوله: "إن تعقيب الأولى مناسب لما قبله من تأمينهن على أنفسهن فيما يلزم من في مدة العدة المذكورة من إحداد وما يتعلق به، وفيما فعلن بعده، فإن أضمرن أو كتمن ما لا يجوز فعلم الله - سبحانه - محيط بذلك، وهو الخبير به، ولما وقع في الآية الثانية بعد قوله: ﴿فإن خرجن﴾ وقام فيه احتمال أن يخرجن غير طائعات فيستعجلن أو يتعدين ناسبه ذكر قدرته - سبحانه - عليهن بالمعاقبة بما شاء، أو العفو عن مرتكبهن، فهو العزيز الذي لا مغالب له، والذي لا يفوته هارب، ولا يغيب عنه شيء" (1).

ويقول أبو حيان: "ختم الآية بهاتين الصفتين، فقوله: (عزيز) إظهار للغلبة والقهر لمن منع من إنفاذ الوصية بالتمتع المذكور، أو أخرجهن وهن لا يخترن الخروج، ومشعر بالوعيد على ذلك، وقوله: (حكيم) إظهار أن ما شرع من ذلك فهو جار على الحكمة والإتقان ووضع الأشياء مواضعها" (2).

5- قال تعالى: ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَىٰ الْمَوْسِعِ قَدَرُهُنَّ وَعَلَىٰ الْمُقْتِرِ قَدَرُهُنَّ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ ۗ حَقًّا عَلَىٰ الْحَسَنِينَ﴾ (3).

وقال تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ ۗ حَقًّا عَلَىٰ الْمُتَّقِينَ﴾ (4).

جاء المصدر (حقاً) في الآيتين كما سبق مؤكداً على بذل المتعة للمطلقة، ووقف العلماء هنا مع سر وقوع هذا المصدر في الأولى مع المحسنين، وفي الثانية مع المتقين، ورأوا أن الآية الأولى جاءت في سياق بذل المتعة قبل الدخول والتي لا يعطيها في مثل هذا المقام إلا أهل الإحسان والسبب أن المطلق لم يحصل له تمتع بالزوجة، وهو أمر قد يصد عن بذل المتعة.

(1) ملاك التأويل، ج1، ص274، 275.

(2) البحر المحيط، ج2، ص245.

(3) سورة البقرة الآية: 236.

(4) سورة البقرة الآية: 241.

أما الآية الثانية فجاءت في سياق بذل المتعة للمدخل بها فالمطلق في هذه الحالة إنما تحمله على الإمتاع التقوى⁽¹⁾، فالمتقون أسرع الناس امتثالاً لما أمر الله تعالى، ومن الوجوه في ذلك أن الثانية تأكيد للأولى.

ومما اشتبهه نظمه في هذه الآيات:

6- قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾⁽²⁾.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾⁽³⁾

وقوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾⁽⁴⁾.

جاءت آية النساء بتكرار كلمة (خلق) وعطفها على الجملة السابقة من قبيل عطف الخاص على العام، ووقف العلماء عند اصطفاء كلمة (خلق) وتكرارها دون الآيتين الواردتين في سورتي الأعراف والزمر، ورأوا في توجيه ذلك: أن مقصود سورة النساء اقتضى التعبير على هذا الوجه للدلالة على أن الأنثى خلق قائم بذاته لا يقل عن خلق الذكر في الإعجاز، وفي إدراك ذلك تسليم بحق الأنثى على وجه خاص فيما سيأتي من بيان أمور تخصها كان المجتمع يحرمها منها، بخلاف مجيء الفعل (جعل) في سورتي الأعراف والزمر فقد روعي فيه بيان أن خلق الأنثى مكمل لخلق الذكر إشارة إلى الصيرورة السابقة فهي من نفسه ليسكن ويستريح إليها ويتغشاها، وتحمل بذرته، ويقوم على رعايتها.

(1) انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أحمد بن عبيدة، (دار الكتب العلمية، ب. ط، 2002م)، ج1، ص236.

(2) سورة النساء الآية: 1

(3) سورة الأعراف الآية: 189.

(4) سورة الزمر الآية: 6

فلما كان السياق تعديداً لآيات الله الباهرة واستدلالاً على عظمة الله، وتعريضاً بتوبيخ المشركين على اتخاذ أنداد من دون الله لما كان السياق كذلك تعلق الوصف بالجعل تجسيدا لهذا المعنى؛ ذلك أن خلق الأنثى لما كان إيجاد حي من حي لا على سبيل التوالد وكان المقام لمجرد الإخبار ولكن للترقي في باب الاستدلال على وحدانية الله استدعى فعل الجعل المناسب لهذا الترقي، وذلك من بدیع البناء القرآني⁽¹⁾.

يقول صاحب ملاك التأويل في بيان الفرق بين التعبير بالخلق والجعل :
"إن العبارة بخلق واردة على ما ينبغي، ومطابقة للمعنى المقصود، وهو المراد بجعل، إلا أن (جعل) ثانية عنها لتوقف الجعل على ما يتقدمه، لأن العبارة بخلق تكون عند المتشرعين عن عدم سابق حيث لا تتقدم مادة ولا سبب محسوس، وأما الجعل فيتوقف على وجود مغاير للمجهول يكون منه المجهول أو عنه كالمادة والسبب، ولا يرد في الكتاب العزيز لفظ (جعل) في الذكر مراداً به الخلق إلا حيث يكون قبله ما يكون عنه أو منه، أو سبباً فيه محسوساً عنه يكون ذلك الثاني، بخلاف خلق فإن العبارة تقع كثيراً به عما لم يتقدم وجوده وجود مغاير يكون عنه هذا الثاني⁽²⁾.

وبناء على ذلك جاء التعبير بالخلق بكونه من عدم سابق - مناسباً لمقصود سورة النساء من التعريف بالأولية والابتداء، ولمناسبة ما اتصل بها من قوله (خلقكم) حتى يوافقه في اللفظ وما قصد من المعنى⁽³⁾.

فالكلمة توافقت من خلال دلالتها، وجمال تراكيبيها مع نظم الآية التي كانت استهلالاً بليغاً للسورة يتواءم مع ما اشتملت عليه السورة من أحكام وما أبانت عنه من حقوق⁽⁴⁾.

(1) انظر في هذا: أساليب التوكيد في سورة النساء، ص 28، 29، حواء أم البشرية كما تصورها البلاغة القرآنية، ص 100.

(2) ج 1، 186

(3) انظر: المصدر السابق، ص 188.

(4) من مظاهر براعة الاستهلال ودقة النظم في هذه الآية تكرار الوصية بالتقوى بصيغتين : حيث قال في الأولى (اتقوا ربكم) وقال في الثانية (اتقوا الله) فالآية بذلك جمعت بين جمال الربوبية وجلال الألوهية حتى يتضمن الكلام جانبي الترغيب والترهيب فلفظ الرب يتضمن الإحسان والتربية =

ومن تلك الآيات:

7- قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَنِّي وَتِلْكَ وَرِيعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ (1).

وقوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (2).
الآيتان في المفهوم العام تناديان بإقامة الحياة العادلة مع النساء على هدى وبصيرة.

والنظر في الآيتين بدون تبصر بالمعاني وتفقد دلالات نظمها وسياقها يحمل معه أن الآية الأولى تقول بإمكانية العدل والثانية تنفيه، وقد يفهم من ذلك إباحة التعدد في الأولى، ومنعه في الثانية.
غير أن التأمل الواعي الآخذ في نظره سياق الآيتين وعلاقتهمما النظمية يستطيع أن يسبر مناط التشابه وأغوار التلاقي بين الآيتين.
فالآية الأولى جاءت في سياق خاص تفتح أمام الرجال طريقاً للتخلص من ظلم اليتامى والجور عليهم (3)، وهو نكاح ما طاب لهم من النساء البوانغ

= الدافعة إلى الرغبة في التقوى والامتثال ولفظ (الله) يتضمن الجلال والعظمة الدافعة إلى الرهبة عن المخالفة وقدمت الآية الجمال على الجلال إيناساً وتربية، انظر: سبل الاستنباط، 455-458.
(1) سورة النساء الآية: 3.

(2) سورة النساء الآية: 129.

(3) ذكر العلماء أكثر من سبب لنزول الآية من أقواها ما رواه البخاري عن عروة بن الزبير أنه سأل أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنه - عن هذه الآية فقالت: يا بن أختي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها؟ تشركه في ماله ويعجبه ماله وجمالها، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقتها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره فنها أن ينكحهن إلا أن يقسطوا لهن، ويبلغوا بهن أعلى سنتهن في الصداق وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن".
انظر: البخاري باب " وإن خفتم ألا تقسطوا "، ج2، ص882، حديث رقم 2451 وروي أيضاً في سبب نزولها أنهم كانوا يتأثمون ويخرجون من أموال اليتامى مع أنهم لا يخرجون من ترك العدل بين نسائهم فقيل لهم إن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فخافوا أيضاً ترك العدل بين النساء واكتفوا بأربع، وقد كان الواحد منهم يتزوج عشرة نسوة، انظر: أحكام القرآن للجصاص، ج2، ص341-342، جامع البيان، ج4، ص156، الكشاف، ج1، ص409.

في حد لا يتجاوز الأربع، ولم تكف الآية بذلك بل دلتهم على ما يخلصهم أيضاً من الظلم بين النساء.

في سبيل تقرير هذه الحقيقة جاء نظم الآية وسلكت مسالك متعددة من خلال التأكيد بالحال والتكرار في قوله : (مثنى وثلاث ورباع) فهذه الأعداد: " معدولة عن أعداد مكررة غير منصرفة لما فيها من العدلين، عدلها عن صيغها وعدلها عن تكرارها ومحلن النصب على الحال من فاعل طاب مؤكدة لما أفاده وصف الطيب من الترغيب فيهن، والاستمالة إليهن بتوسيع دائرة الإذن"(1).

والجملة على هذا تدفع ما قد يتوهمه السامع من إباحة التعدد مطلقاً فإنه لما قال: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾ كان من شأنه أن يفهم إباحة التعدد مطلقاً دون تحديد، فجاء التحديد مؤكداً دفع هذا التوهم وليتعرف الناكح حدود ما أبيح له من الجمع بين حرائر النساء بعد أن كان الرجل منهم يتزوج العشر فأكثر دون تخرج مما يؤدي به إلى العجز عن أداء حقوقهن المشروعة(2).

ثم سلكت الآية بعد ذلك مسالك أخرى في التأكيد على هذا الأمر : فكل عنصر فيها وكل تركيب يرمي إلى الدعوة إلى تحقيق العدل الأسري الذي هو نواة العدل الجماعي للأمة(3).

ويأتي هذا متحققاً في التقييد بقوله: ﴿فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة﴾ حيث يفيد أن التعدد وإن كان مباحاً لمصلحة فهناك تحفظ قاس عليه ومشروط بشرط يجب أن تحققه دون أن يتسرب أي شك في ذلك حفاظاً على كرامة المرأة واثقاء لأضرار التعدد المحتملة، وحذراً من سوء تصرف الرجال فيه.

(1) الكشف، ج1، ص409، إرشاد العقل السليم ، ج1، ص142.

ويرى ابن عطية وجهاً آخر في إعرابها فيقول: مثنى وثلاث ورباع بدل من (ما) في قوله (ما طاب) انظر "المحرر الوجيز" ج2، ص7، وانظر البيان في إعراب القرآن للعكبري، ص 231، وفي هذا الوجه يتحقق أيضاً مسلك التوكيد الآتي من البدل ففي البدل تثنية للمراد وتفصيل بعد إجمال .

(2) انظر: التحرير والتنوير، ج4، ص223، ومن لوازم التحديد بهذا العدد أن يكون من حق المرأة على زوجها إن كانت واحدة أن يبيت عندها ليلة من كل أربع، وإن لم ينكحها فذلك لازم وجوب الانتهاء بالعدد إلى أربع وأنه أقصى ما يمكن تحقيق العدل معه. انظر : سبل الاستنباط ، ص479.

(3) سبل الاستنباط، ص472.

هذا القيد يدعو إلى تحقيق العدالة التامة بين الزوجات في النفقة والمسكن والملبس والمعاملة والمبيت إلى غير ذلك مما يدخل في طاقة الإنسان، أما الذي يخشى على نفسه عدم العدالة أو الشك في قدرته فالواجب عليه الاقتصار على زوجة واحدة، أو الاكتفاء بملك اليمين فإن ذلك أقرب إلى عدم الجور والبعد عن الشقاق والنزاع وغيرها من الأمور التي تتناقض مع ما يهدف إليه الإسلام من الزواج⁽¹⁾. والذي يفهم من قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾⁽²⁾.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن جملة القيد هنا جاءت أمرة بالعدل مع النساء عامة بعد أن جاء صدر الآية يأمر بالقسط مع النساء اليتامى⁽³⁾، فهو من باب عطف العام على الخاص، وسبق الحديث عما يحققه هذا الأسلوب من التوكيد.

ناهيك بعد ذلك عن تكرار التعبير بالخوف (إن خفتم) ففيه إحياء بوجوب استشعار لحظة الخوف هذه وأن تظل قائمة في النفوس حتى تستشعر خطورة هذا الأمر، وزاد التعبير بلاغة هنا إيثار الأداة (إن) على (إذا) فهي تثير الشك في النفس وتوجه التحذير من أدنى خوف قد يخامر النفس وينتج عنه وقوع الظلم لاسيما وقد حذف متعلق (تعدلوا) ليفهم منه كل ما يملك الإنسان تقديمه⁽⁴⁾.

ثم جاءت بعد ذلك جملة (ذلك أدنى ألا تعولوا) جارية مجرى التعليل ومؤكدة على وجوب الحذر من الظلم ولهذا فصلت عما سبقها وهو مسلك لا يصار إليه كما يقول السكاكي إلا لجهات لطيفة "لينبه السامع على موقعه أو

(1) قضايا المرأة في سورة النساء ، ص62، 64.

(2) سورة الروم الآية: 21.

(3) جاء البيان هنا بقوله "تعدلوا"، وفي اليتامى (تقسطوا) لأن العدل معنى التسوية وهو إعطاء المرء ما له وأخذ ما عليه فيقتضي تعدد محله، وذلك في الأزواج لتعددن إلى أربع، وفي الإقساط استيفاء لصاحب الحق وإن كان فرداً وذلك في الأيتام لضعفهن، فيجب الوفاء بحق اليتيمة في المهر، فالقسط بهذا أخص من العدل . انظر: سبل الاستنباط، ص468، 469، ومن البلاغة القرآنية في آيات أحكام النساء. ص75.

(4) انظر: سبل الاستنباط، ص471، من البلاغة القرآنية في آيات أحكام النساء ، ص75.

لأنه بمثابة أن يسأل، أو لئلا يسمع منه شيء أو لئلا ينقطع كلامك بكلامه، أو للقصد إلى تكثير المعنى بتقليل اللفظ، وهو تقدير السؤال، وترك العاطف أو غير ذلك مما يخرط في هذا المسلك⁽¹⁾.

الآية الأولى إذن من خلال نظمها تتناول العدل الممكن الذي يستطيعه الإنسان.

أما الآية الثانية: فقد سبق تناولها في مسالك التوكيد بالأداة وهي تتناول القضية من الوجهة السلوكية العملية، وتبين أن هناك شيئاً لا يطالب به الرجل في هذه العدالة، وهو مسألة الحب والمشاعر القلبية والإحساس النفسي وميل الطبع وما يترتب عليها من آثار، كل هذا خارج عن الطاقة البشرية ولا يخضع لإرادة الإنسان لأن محلها القلب ولهذا كان التأكيد على نفيه بالأداة (لن) وهو تأكيد يشعر من جانب آخر بوجود تحري العدل فيما سوى ذلك ومن أجل هذا أتبعه بالنهي المؤكد: ﴿فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة﴾.

يقول الزركشي: "إن المراد بالعدل في الأول العدل بين الأزواج في توفية حقوقهن، وهذا ممكن الوقوع وعدمه، والمراد به في الثانية الميل القلبي فالإنسان لا يملك ميل قلبه إلى بعض زوجاته دون بعض"⁽²⁾.

فالمقام اقتضى أن تسلك كل آية مسلكاً خاصاً بما تدعو إليه.

8- قوله تعالى: ﴿فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾⁽³⁾.

وقوله تعالى: ﴿وَصِيَّةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾⁽⁴⁾.

جاءت الفاصلة الأولى في خاتمة آية المواريث التي تناولت ميراث الأولاد، وجاءت الثانية في خاتمة آية المواريث التي تناولت ميراث الأزواج والإخوة، فما سر الاختلاف بينهما؟

(1) مفتاح العلوم، ص 361.

(2) البرهان في علوم القرآن، ج 2، ص 58.

(3) سورة النساء جزء من الآية: 11.

(4) سورة النساء الآية: 12.

بين الرازي أن السر وراء ذلك هو الدلالة على أن الكل وإن كان واجب الرعاية إلا أن القسم الأول وهو رعاية حال الأولاد أولى⁽¹⁾.

ويعود هذا أن مقام الآية الأولى يشمل الضعفاء من النساء والأيتام الذين كانت حقوقهم مهضومة، فافتضى المقام أن يؤكد الكلام بمؤكدات كثيرة، فالتعبير بالفريضة أكد من التعبير بالوصية لأن الفرض لا يكون إلا من الله بخلاف الوصية فإنها قد تكون منه ومن غيره⁽²⁾. وإلى جانب ذلك أكد الفاصلة بـ(إن واسمية الجملة).

ولما كانت الآية الثانية تختص بميراث الأزواج والإخوة واحتمال الضعف فيهم أخف من الأولاد والآباء جاء الكلام في صورة أقل تأكيداً وتقريراً من الآية السابقة "فنبرة التوكيد تعلو وتهبط في مراقبة دقيقة وبالغة لمواقع المعاني في النفوس، وما تنطوي عليه دواخلها وسبحانه المحيط بالأسرار⁽³⁾.

من ذلك أيضاً:

9- قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُمْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُمْ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَتَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾⁽⁴⁾.

وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾⁽⁵⁾.

اقتصر في الآية الأولى الواردة في سورة النساء على حالة واحدة وعلى جانب الخير دون ذكر مقابلة، بخلاف ما ورد في آية البقرة.

(1) التفسير الكبير للرازي، ج9، ص512.

(2) انظر المصدر السابق، وانظر: الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، تحقيق: حسام الدين المقدسي (القاهرة: دار زاهد، ب.ط، ب.ت)، ص184.

(3) خصائص التراكيب، ص84.

(4) سورة النساء الآية: 19.

(5) سورة البقرة الآية: 216.

وقد أجاب عن السر في ذلك الطاهر بن عاشور بانياً جوابه على ما اقتضاه المقام في كل آية فقال: "أما المقام في سورة البقرة فمقام بيان الحقيقة بطرفيها إذ المخاطبون فيها كرهوا القتال، وأحبوا السلم فكان حالهم مقتضياً بيان أن القتال قد يكون هو الخير لما يحصل بعده من أمن دائم، وحصد شوكة العدو، وأن السلم قد يكون شراً لما يحصل معه من استخفاف الأعداء بهم، وطمعهم فيهم.

أما المقام في سورة النساء فهو بيان حكم من حدث بينه وبين زوجته ما كرهه فيها، ورام فراقها، وليس له مع ذلك ميل إلى غيرها فكان حاله مقتضياً بيان ما في كثير من المكروهات من الخيرات، ولا يناسب أن يبين له أن في بعض الأمور المحبوبة شروراً لكونه فتحاً لباب التعلل لهم بما يأخذون من الطرف الذي يميل إليه هواهم.

واسند جعل الخير في المكروه في سورة النساء لله بقوله: ﴿ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾ للإشارة إلى أنه جعل عارض لمكروه خاص لأن الصبر على هذه الزوجة المكروهة إذا كان لأجل امتثال أوامر الله بحسن معاشرتها فإن جعل الخير في ذلك يكون جزاء من الله على هذا الامتثال، أما (آية البقرة) فبيان لما يقارن بعض الحقائق من الخفاء في ذات الحقيقة، ليكون رجاء الخير من القتال مطرداً في جميع الأحوال غير حاصل بجعل عارض⁽¹⁾.

ومن الآيات التي وقفت على مشتبه النظم فيها:

10- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾⁽²⁾.

وقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّيبَاتِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ

(1) التحرير والتنوير، ج4، ص287، 288.

(2) سورة النساء الآية: 22.

تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلْتِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٦﴾

﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَعَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٧﴾ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّهُنَّ بِفَحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٩﴾ (1).

ترتبط الآيات في القرآن الكريم ارتباطاً قوياً بتعقيباتها وفواصلها حيث يتحقق من خلال هذا الارتباط المقاصد المرادة بدقة متناهية ذلك أن الفاصلة القرآنية تبنى بناءً قوياً مع الآية التي منها بحيث تأتي موافقة لآيتها ومكملة لمعانيها وبذلك تؤدي الفواصل دوراً مهماً في الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم إلى جانب دورها المهم في تأكيد المعاني وإيضاحها (2).

وفي الآيات مناط النظر هنا اختلفت الفواصل تبعاً للمقام الذي تعالجه، ف جاء التعقيب في آية تحريم نكاح ما نكح الآباء قوي اللهجة قوي التوكيد: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ في حين جاء التعقيب على آية المحرمات بقوله "إن الله كان غفوراً رحيماً" ويعود هذا إلى شناعة وقبح من يتزوج بزوجة أبيه حتى كانوا يسمونه نكاح المقت وهو نكاح ينكره الدين والعقل وتستخسه الطباع السليمة (3)، ولم يشرع قط وإنما كان من أفعال الجاهلية، أما

(1) سورة النساء من الآية 23-26.

(2) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، ج1، ص312.

(3) انظر: الكشاف، ج1، ص430. ملاك التأويل، ج1، ص200. =

الجمع بين الأختين فقد ذكر أنه كان شرعاً لمن قبلنا، وقد أسلم بعض الصحابة وتحت امرأتان أختان⁽¹⁾، ومن أجل هذا كان التعقيب مشتملاً على تقرير مغفرة الله ورحمته.

وبالتأمل أيضاً نلاحظ أن التذليل المتضمن صفتي العلم والحكمة قد تكرر في الآيات مرتين، وكذلك التذليل المتضمن صفتي المغفرة والرحمة على التناوب بينهما، واختلاف درجات التوكيد فيهما.

ففي آية المحرمات جاء التذليل مؤكداً: "إن الله كان غفوراً رحيماً" لأن الآية تعبر عن عادات ثابتة راسخة من نكاح من حرمهن الله، فكان لا بد من قوة وشدة في الأسلوب لتغيير هذه العادات فجاء التذليل متلائماً مع المقام، أما قوله تعالى: ﴿والله غفور رحيم﴾.

فقد أعقب تشريعاً يبيح نكاح الإماء عند عدم استطاعة النكاح للحرائر وعند خوف العنت، ويحدد عقوبة من وقع في المخالفات وهذا المقام أخف من الأول فاقضى التعقيب بقوله: "والله غفور رحيم" مؤكداً باسمية الجملة وحدها.

أما التذليل بقوله: ﴿إن الله كان عليماً حكيماً﴾ فقد جاء تعقيباً على تشريع خالص يأمر بإعطاء النساء مهورهن، وعدم أخذ شيء منها دون رضاهن في قوله: ﴿فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة...﴾

ولاشك أن أكل أموال النساء ومنعهن حقوقهن كان أمراً شائعاً عندهم في الجاهلية فكان لا بد من تعقيب قوي لتغيير هذه العادة السيئة فجاء التأكيد قوياً: ﴿إن الله كان عليماً حكيماً﴾ خلافاً لقوله: ﴿والله عليم حكيم﴾ حيث جاء تعقيباً على ما يريده الله من التشريع للناس وأن الغاية العظمى هي هداية

= ولعل ذلك هو السر في زيادة المقت هنا عن آية الإسراء " ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً" الإسراء: 32، فهو يؤدي إلى مقت الابن أباه بعد أن يتزوج بامرأته فإن الغالب أن من يتزوج بامرأة يبغض من كان زوجها قبله. انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج 1، ص 443.

(1) تفسير القرآن العظيم، ج 1، ص 44. وانظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة البغدادي، تحقيق: د. موسى بناي علوان، (بيروت: الدار العربية، ط الأولى، 1989م)، ص 107.

العباد، وبيان الخير لهم، وهو أمر لا ينكره أحد، فكان التعقيب أخف من الأول مما يؤكد أن مسالك التوكيد تتوافق مع مقامات الكلام وتلائمها، ويظهر معه قيمة التوكيد في إبراز المعنى⁽¹⁾.

11- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي خَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْتَغُوا حَكْمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكْمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٢١﴾﴾⁽²⁾.

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾⁽³⁾.

تأتي الآيات هنا في سبيل رعاية الرابطة الزوجية، ومعالجة ما يعترئها من خلاف وخصام من أحد الزوجين، حرصاً على عدم وقوع الطلاق إلا بعد استنفاد الجهد في الإصلاح حتى لا تصبح الحياة الزوجية نقمة على الرجل والمرأة.

ومما يلفت النظر هنا علاقة التوكيد بالسياق والمقام، حيث توالت جملة من المسالك في حالة نشوز الرجل بقدر يفوق الحالة الأولى (نشوز المرأة). ومن هذه المؤكدات المصدر في قوله: ﴿أَنْ يَصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ والإظهار في موضع الإضمار (والصلح خير) والاعتراض بهذه الجملة والجملة التي بعدها ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾.

ويسبق كل هذا التوكيد بالجملة المفسرة: (وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ) فالنحاة يذكرون أن (إِنْ) مختصة بالدخول على الأفعال فإذا دخلت على اسم مرفوع

(1) انظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، ج 1، 237، أساليب التوكيد في سورة النساء، ص124.

(2) سورة النساء الآية: 34، 35.

(3) سورة النساء الآية: 128.

فإنه يكون فاعلاً لفعل محذوف يفسره المذكور بعده⁽¹⁾، وكأن الجملة (وإن خافت امرأة خافت) وتكون الجملة بهذا قد وقع فيها التكرار المقتضي للتوكيد حتى يكون هذا الخوف قائماً على حقيقة وواقع، فلا تقدم المرأة على إيداع ذلك إلا وقد بدا من الزوج شيء يدل على النشوز والإعراض بعيداً عن الوسوسة التي تنتاب مثل هذه المواطن⁽²⁾.

كما أن الآية في تناولها لنشوز الرجل زيد فيها لفظ الإعراض : ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً﴾، بخلاف نشوز المرأة فاكتفى بذكر النشوز (واللاتي تخافون نشوزهن) ولم يسند النشوز فيه مباشرة إلى المرأة فلم يقل (واللاتي ينشزن) إشارة إلى أن المعهود من المرأة ألا يقع منها ذلك لأنه خروج عن مقتضى الفطرة في بحث المرأة عن الاستقرار والسكن. أما زيادة الإعراض في نشوز الرجل فهو يعني بداية (انصراف الرجل عن المرأة بوجهه وبيعض منافعه التي كانت لها منه)⁽³⁾.

وهو: "أمر نفسي يحس ولا يكاد يلمس، فقد يكون الرجل مطيعاً لزوجه مؤدياً لها حقوقها، ولكنه معرض عنها، تحس أنه بعيد مزورة نفسه عنها، وهذا شيء مهم في حياة الزوجة، وفي مكانتها عنده، وفي وجودها كأنتى لرجل تشبع عواطفه، وتملاً وجدانه سكناً ومودة، وتتنظر بحبه لها، ولهذا أوضح الله هذا الأمر النفسي الخفي المهم في الحياة الزوجية، وقرنه بالنشوز في التشريع والعلاج وهذا إنصاف للمرأة، ورعاية لجميع حقوقها الوجدانية والمادية عند الرجل ونسأل: لماذا لم يذكر الله في بيان نشوز المرأة إعراضها عن زوجها؟

ولا تنس أن الرجل قوام على زوجته، ويستطيع إذا أحس إعراضاً منها أن يتصرف بما يريح نفسه، ولكن المرأة إن استطاعت أن تثبت نشوز زوجها، فكيف تستطيع أن تثبت إعراضه عنها على فرض قيامه بجميع حقوقها المادية، لهذا كانت الحاجة على ذكر الجفوة النفسية في صدر بيان

(1) انظر: شرح ابن عقيل، ج1، ص474، 516.

(2) انظر: تفسير المنار، ج1، ص445.

(3) جامع البيان في تفسير القرآن، ج5، 196.

نشوز الرجل أدعى وأوجب وكان الوفاء بما تدعو إليه الحاجة من التشريع
أهدى وأحكم" (1).

ومن أجل هذا الإعراض لم تأمر الآية أن يتم الصلح على يد أجنبي كما
في نشوز المرأة: ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ لأن "الصلح على يد
أجنبي قد يزيل الخصام، ويوصل ما انقطع من أسباب الاتصال فقد يعالج به
النشوز، ولكن ربما لا يعالج به الإعراض" (2)، فدخل الأجنبي قد يزيد في
إعراض الرجل وأنفته من تدخل الآخرين في حياته.

وهكذا يأتي التأكيد ويصاغ التركيب متوافقاً مع طبيعة الرجل لأن نشوزه
غير محقق، وإذا وقع فإن رجوعه عن نشوزه أو إرضاه ليس بالأمر الهين
اليسير بخلاف المرأة، كما أن هذا الأمر بالصلح بين الرجل وزوجه في حالة
إعراض الزوج قد يقابل بالنكير من الزوج إذ كيف يؤمر بالصلح وهو السيد
المطاع القوي الذي يفعل ما يحلو له فجاءت الصياغة الأمرة بالصلح أكثر
توكيداً لتقابل هذا الإنكار (3).

12- قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ
يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا
وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (4).

وقال تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ
الْمِيلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (5).

في الآية الأولى جاء التذييل: ﴿وإن تحسنوا وتتقوا﴾ وفي الثانية جاء (وإن
تصلحوا وتتقوا) والجواب عن ذلك:

(1) للناس والحياة ، سورة النساء، ص142.

(2) المصدر السابق، ص143.

(3) انظر: أساليب التوكيد في سورة النساء، ص42، 421.

(4) سورة النساء الآية : 128.

(5) سورة النساء الآية : 129.

أن الآية الأولى: حديث عن خوف المرأة من ترفع زوجها عنها لملل أو إعراض وفي هذه الحالة فلا إثم أن يتصالحا على أن تترك المرأة له من مهرها أو نفقتها، فالصلح خير من الفرقة وسوء العشرة، ولأن نفس كل من الزوجين تشح بما لها اقتضى ذلك مخاطبة الأزواج بتغليب المسامحة، ومحاولة التغلب على هذه الصفة الذميمة (الشح) حتى تتمكن النفس من بذل ما هو زائد عن الواجب أو الصبر على ما هو دون الحق، ومجانبة القبح وإيثار الحسنى في معاملة النساء، فندب الله إلى الإحسان من أجل ذلك.

أما الآية الثانية: فقد جاء التذييل فيها بعد قوله: "ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء) في محبتهن، لأن ذلك أمر لا يملكه الإنسان مهما كان حريصاً على التسوية فيه، والمطلوب البعد عن الميل الكامل الذي تظهر معه المرأة المظلومة وكأنها معلقة لا ذات زوج ولا مطلقة فاقضى هذا الموضع حث الأزواج على إصلاح ما كان بينهم من الميل إلى الواحدة دون بقية ضرراتها ومداركة ذلك بالتوبة عما سلف، واستئناف ما يقدرون عليه من التسوية ويملكونه من حسن العشرة وسعة النفقة"⁽¹⁾.

13- قال تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ۗ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾⁽²⁾. وقال تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾⁽³⁾.

وقف الكرمانى أمام السر في ورود الآية الأولى مصحوبة بواو العطف دون الثانية فقال:

الأول: وهو قوله: (ويستفتونك) لما اتصل بما بعده وهو قوله (في النساء) وصله بما قبله بواو العطف والعائد جميعاً.

والثاني: في آية الكلاله (يستفتونك) لما انفصل عما بعده اقتصر عن الاتصال على العائد وهو ضمير المستفتين، وفي الآية متصل بقوله (يفتيكم) وليس بمتصل بقوله (يستفتونك) لأن ذلك يستدعي (قل الله يفتيكم فيها) أي في

(1) انظر: درة التنزيل، ص420.

(2) سورة النساء الآية: 127.

(3) سورة النساء الآية: 176.

الكلالة، والذي يتصل ببيسفتونك محذوف يحتمل أن يكون في (الكلالة) ويحتمل أن يكون فيما بدا لهم من الوقائع⁽¹⁾.

14- قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقِي نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾⁽²⁾.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾⁽³⁾.

تكررت الوصية في الآيتين برعاية حقوق الأولاد والنهي عن قتلهم لأن الله عز وجل تكفل برزقهم ورزق آبائهم، وقد كان العرب في الجاهلية - كما سبق - يفعلون ذلك أكثر ما يفعلونه بالإناث.

وقد اختلف نظم الآيتين في التقديم والتأخير حيث قدم رزق المخاطبين على رزق أولادهم في سورة الأنعام، وقدم رزق الأولاد على رزق المخاطبين في سورة الإسراء، واختلف الإبدال فيهما: (من إملاق - خشية إملاق) كما اختلفت درجة التأكيد كذلك.

وسر هذا الاختلاف يعود إلى اختلاف المخاطبين في الموضعين، ومراعاة ما يناسبهم في السياقين.

فالخطاب في آية الأنعام مع قوم فقراء يهتمهم رزقهم أولاً ثم رزق أولادهم ولهذا خاطبهم - سبحانه - بقوله: (من إملاق) أي بسبب الفقر، والفقر موجود فعلاً، وحال بهم، وهذا الصنف من الناس يشتغل بتحصيل رزقه قبل أن يفكر برزق أولاده، وقد راعى القرآن هذا الإحساس الطاعني عندهم، فجعل بضمان الرزق لهم أولاً، لأنه الأهم في نظرهم، ثم بعد ذلك أعلمهم أنه متكفل - أيضاً - برزق أولادهم ليكون ذلك أمتع لهم من ارتكاب الجريمة، فإذا كان الداعي لذلك هو الرزق فنحن المتكفلون برزقكم ورزقهم، وفي هذا إشعار بشفاعة الأولاد في دفع فقرهم بمعنى: إنما ترزقون بهم فلا تقتلوهم.

(1) البرهان في متشابه القرآن للكرماني، ص 158.

(2) سورة الأنعام الآية: 151.

(3) سورة الإسراء الآية: 31.

أما الخطاب في آية الإسراء فهو مع قوم غير فقراء، لكنهم يخشون الفقر (خشية إِملاق) فالإِملاق غير واقع، فهم يقدمون على الجريمة خوف الفقر على الأولاد أو خوفاً من الأولاد أن يكونوا سبباً في تضيق الرزق عليهم مستقبلاً، ويكونوا مشغولين برزق الأولاد أولاً، لأنه الأهم في نظرهم قبل أن ينشغلوا برزق أنفسهم وقد راعى القرآن -أيضاً- هذا الإحساس عندهم فعجل بضمان الرزق للأولاد قبل الوعد برزقهم، وهكذا قدم في كل موضع من الموضعين ما اقتضى تقديمه وأخر ما اقتضى الموضع تأخيره⁽¹⁾.

وقد أشار الخطيب القزويني في الإيضاح إلى هذا التوجيه في موضوع تقديم بعض معمولات الفعل على بعض⁽²⁾.

ومن أسرار النظم هنا أنه كان يمكن أن يأتي معنى الجملتين في عبارة أوجز كأن يقال في الموضعين (نحن نرزقكم جميعاً) لكن القرآن أثر النظم على ما هو عليه ليعلم كل إنسان أن له في هذه الدنيا رزقاً مستقلاً عن الآخر فلا المولود يأخذ من رزق أبيه شيئاً، ولا الوالد يأخذ من رزق ابنه شيئاً، وعلى ذلك فالذين يقدمون على جريمة قتل أولادهم لم يستأثروا برزق أكبر⁽³⁾.

ونقف أخيراً مع اشتمال آية الإسراء على التعليل المؤكد للنهي: ﴿إن قتلهم كان خطئاً كبيراً﴾ بخلاف آية الأنعام، وذلك لأن آية الإسراء جاءت في تشريع مستقل يفصل تشريعات عظيمة للمسلمين بمكة، فاستدعى المقام هذا التأكيد بخلاف آية الأنعام والتي جاء الخطاب فيها للمشركين وجاء النهي ضمن عدة نواه اشتملت عليها الآية⁽⁴⁾.

(1) انظر: درة التنزيل ، ص74، وانظر: مشتبه النظم في القرآن الكريم، ص217.

(2) الإيضاح، ج2، ص167.

(3) انظر: معجزة القرآن للشيخ الشعراوي، (مؤسسة أخبار اليوم، 1399هـ، 1979م) ج1، ص58.

(4) انظر: التحرير والتنوير، ج15، ص65.

15- قال تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرِجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۗ وَمَا جَعَلَ
 أَرْوَاجَكُمْ أَلْتَىٰ تُظْهَرُونَ مِنهنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۗ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ
 بِأَفْوَاهِكُمْ ۗ ... ﴾ (1).

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُظْهَرُونَ مِنْكُمْ مِّن نِّسَابِهِمْ مَا هُمْ بِأُمَّهَاتِهِمْ ۗ إِن أُمَّهَاتُهُمْ
 إِلَّا أَلْتَىٰ وَلَدَتُهُمْ ۗ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴾ (2).

في الآيتين ما يفيد إبطال عادة الظهار، لكن هذا الإبطال تعالت نبرته،
 والتحذير من عاقبته في سورة المجادلة مشتملاً على مؤكدات متعددة من
 القصر والفصل والتأكيد بـ (إن واللام) بشكل لم يظهر في سورة الأحزاب،
 والسر في ذلك والله أعلم هو مقام سورة المجادلة نظراً لارتباطها بأحكام
 الظهار وتفصيلاته في حين وردت آية الأحزاب بعد تقرير إبطال الظهار.
 فالمقام اقتضى التوكيد البليغ في سورة المجادلة لأن إبطال هذه العادة
 وتحريمها هو مقصود السورة ومن أجله نزلت فكان ذلك ادعى في اشتمالها
 على هذه المؤكدات .

يقول الطاهر بن عاشور في تفسيره لآية الأحزاب: " وليس المقصود هنا
 تشريع إبطال آثار التحريم به (الظهار) لأن ذلك أبطل في سورة المجادلة
 وهي مما نزل قبل سورة الأحزاب، ولكن المقصود أن يكون تمهيداً لتشريع
 إبطال التبني تنظيراً بين هذه الأوهام إلا أن هذا التمهد الثاني أقرب إلى
 المقصود لأنه من الأحكام التشريعية.

أما سورة المجادلة فقد بسط الله فيها أحكام الظهار، وبه نعلم أن سورة
 المجادلة هي التي ورد فيها إبطال الظهار وأحكام كفارته فنعلم أن آية سورة
 الأحزاب وردت بعد تقرير إبطال الظهار فيكون ذكره فيها تمهيداً لإبطال
 التبني بشبه أن كلتيهما ترتيب آثار ترتيباً مصنوعاً باليد غير مبني على جعل
 إلهي، وهذا يوقننا بأن سورة الأحزاب نزلت بعد سورة المجادلة" (3).

(1) سورة الأحزاب الآية : 4.

(2) سورة المجادلة الآية : 2

(3) التحرير والتنوير، ج21، ص256.

16- قال تعالى في سورة الطلاق: ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِن حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرَهُ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٤﴾ وَالَّتِي يَبْسَنُ مِنَ الْمَحِيضِ مِمَّن نِّسَابِكُمْ إِنْ أَرَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِّنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿١﴾.

تكرر في هذه الآيات الوصية بالتقوى في أسلوب شرط متحد في المطلع مختلف في المقطع، مع أن الآيات جاءت مرتبطة بأحكام الطلاق، فما السر في هذا الاختلاف بين هذه الآيات، والجواب عن ذلك أن هذه الآيات جاءت تبعاً للأوامر التي دارت عليها السورة.

فقد وقع التذييل الأول بعد الأمر بالمحافظة على الطلاق وإيقاعه في وقته ومحلّه، وعلى النحو الذي لا يقع به إضرار بالمطلقة، وهذا الأمر فيه نوع تقييد على المطلق، وقد يكون الطلاق لكرهة أحد الفريقين لصاحبه فجاء الأمر بالتقوى بقوله: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ في أسلوب شرطي مرغباً في الالتزام بهذه الأحكام التي بها ينشرح الصدر ويتيسر الأمر ويجعل الله له مخرجاً من كل ضيق يشعر به بعد حياته الأليفة، ويرزق كل منهما من حيث لا يحتسب.

أما التذييل الثاني فقد جاء بعد الأمر بإحصاء العدة ومراعاة الدقة فيها وعدم إخراج المعتدة من بيتها قبل انقضائها... إلى آخر ذلك من أحكام. وهذه الفترة التي يقضيها الزوج مع مطلقة مذنبة الضجر وكرب النفس لما تستلزمه من مؤونة النفقة والسكن معها وما يقع خلال ذلك من قبح الكلام بينهما، وإنزال الضرر بأحدهما.

(1) سورة الطلاق الآية: 2-4.

فجاء جواب الشرط مناسباً لهذه الحال فمن اتقى الله في صبره على مكاره هذه الأيام وما يلزم فيها من نفقة وسكن يسر الله عليه تلك المشقة : ﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً﴾.

أما الثالث فقد جاء عقب التأكيد على الالتزام بهذه الأحكام والدعوة إلى حسن الصحبة وجميل العشرة في حالة الإمساك، والتلطف مراعاة للصحبة في حالة المفارقة فقال سبحانه : ﴿ذلك أمر الله ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً﴾ فمن يتق الله في العمل بهذه الأحكام والأخذ بالسنة والقيام بالحقوق الواجبة من الإنفاق على الحوامل حتى يضعن، وإيتاء أجر المرضعات، وترك الضرار والمعاملة بالمعروف في حالتي الإمساك والفراق، من فعل ذلك كفر الله عنه سيئاته وضاعف أجره جزاء تلك الأعمال في الآخرة.

وهكذا ظهر كيف تجري هذه الآيات على وجه من التناسب والالتزام⁽¹⁾. ولا تفوت الإشارة هنا إلى ملحظ آخر في نظم هذه الآيات وهو اختلاف التعبير بين الاسم والفعل في قوله تعالى : ﴿واللاتي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر، واللاتي لم يحضن وأولات الأح مال أجلهن أن يضعن حملهن﴾.

فقد أثر النص القرآني التعبير بالفعل في قوله : (يئسن، يحضن) بخلاف قوله : وأولات الأحمال" حيث عبر فيه بالاسم.

وذلك لأن الأولى حاصل فيها التجدد، فاليأس لا يحصل للمرأة دفعة واحدة، إنما في حالات متجددة ومتحولة : ففي البداية تقل أيام الحيض ثم دم الحيض تبعاً لها، ويبقى الأمر في تجدد إلى سنة أو أقل أو أكثر، وهذا كله تجدد تناسبه صيغة الفعل (واللاتي يئسن) والثانية كذلك فدم الحيض فيها ليس على الدوام، إذ هو قابل للتجدد، فعدم اليوم، وحيضُ غدا، والأمر في الآية ليس خاصاً بالصغيرات، إنما تدخل المريضة التي انقطع حيضها لمرض أو

(1) انظر: درة التنزيل، ص490، ملاك التأويل، ج2، ص1088-1090.

علة فهذه بإمكانها أن تصلح نفسها وتداوي حالها ليعود إليها حيضها وهذا أيضاً تجدد تناسبه صيغة الفعل أيضاً.

أما الآية الثالثة (وأولات الأحمال) فلأن مدة الحمل أطول وما كان أطول دام، ثم إن الحمل هذا هو في البطن وأولاء الأحمال غير م خيرات في وضعه، إنما هو أمر يسيره الله ويدبره (ويعلم ما في الأرحام).

والفرق واضح بين الصيغتين (وأولات الأحمال) فيها إرادة الله وأمره، (...) واللاتي يحملن (فيها إرادة الإنسان وقدرته وعليه صلح الاسم من حيث لم يصلح الفعل لهذا الغرض، ويضاف إلى ذلك التعبير بـ (العدة) في الحالتين السابقتين والتعبير بـ(الأجل) في حالة الحمل وذلك لأن العدة أمر معلوم أما الأجل فهو غير معلوم ولوعد عدداً وهذا يناسب مدة الوضع فهي متباينة بين الحوامل لا يعلم لحظتها إلا الله، وكل ما سبق يدل على الدقة المحكمة في الصيغة البيانية، وهو سر من أسرار بيان القرآن المحكم⁽¹⁾.

وهكذا اختلف نظم هذه المعاني في الآيات المتعلقة بحقوق المرأة، وهو اختلاف يأتي تبعاً لمقاصد الآيات والسور تبعاً للسياق العام والخاص، وبه يأخذ المعنى ظلاله وإيحاءاته الخاصة به، والتي تجعله ملائماً لموقعه من الآية الوارد فيها، ويترتب على ذلك ملاءمة الآية لسياقها.

ويظهر في ظل ذلك أن نظم هذه الآيات واختلاف مسالكها كان يتبع أحوال النفس، ويتفقد حاجتها وكفايتها من البيان وإبراز الحقيقة والإقناع بها من سياق إلى آخر، وبهذا تتلقى النفوس كلام ربها، فتمتلئ بروعة هذه الآيات، ويتأكد في أعماقها الإيمان بالقضية التي يسوقها القرآن الكريم في المواضيع المختلفة بصور وأساليب متعددة، وكان بيان حق المرأة في كل موطن له سماته وطريقة عرض تتلاءم مع السورة التي ورد فيها.



(1) انظر: الإعجاز البياني في القرآن الكريم، 608، 609.

الختام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد سعت هذه الدراسة من خلال الصفحات السابقة إلى محاولة تتبع مسالك التوكيد في آثار العلماء، وتطبيق ذلك على آيات حقوق المرأة.

وظهر من خلال ذلك أثر هذه المسالك في تجلية هذه الحقوق حيث حاولت الدراسة جهداً للكشف عن خصوصيات هذه المسالك والوقوف على أسرارها.

وقد تبين لي أن ظاهرة التوكيد تشيع في اللسان العربي بوجه عام، وفي النص القرآني بوجه خاص بغية تثبيت الفكرة وإظهار الحقائق والإقناع بها.

وقد وقفت في الفصل الأول على أهم المسالك التي تناولها العلماء في كتبهم، والنتيجة المهمة التي وصلت إليها: أن إشاراتهم إلى التوكيد تعددت، واختلفت في مستوى الظهور والإبانة والشواهد، وأن مساحة التوكيد اتسعت عند المفسرين خاصة، وتشعبت مسائله بينهم، كما أن تداخل المصطلحات البلاغية حدّ كثيراً من الوقوف على نوع المسلك عند النقاد وشراح الشعر، وأن البلاغيين أولوا هذا الأسلوب عنايتهم في بحث خاص به.

وفي الفصل الثاني: تتبع البحث العناصر التي أشار إليها العلماء في الفصل الأول، فأفاد منها في التطبيق على آيات حقوق المرأة في القرآن الكريم، حيث حدد تلك العناصر في كل آية، وبيّن خصوصية اختيار كل منها في الموقع الذي ورد فيه، وصلته بالسياق الخاص للآيات التي ورد فيها، وبالسياق العام للسورة، وصلة بعض الظواهر اللغوية في الآيات بمسالك التوكيد.

كما حاول البحث عن طريق تحليل الآيات المتمثلة لهذه المسالك الوقوف على النواحي الإعجازية واللمسات البيانية، وسبر أغوار التشابه بين مسالك التوكيد في هذه الآيات، وإظهار الفروق الأسلوبية التي تناسب مقتضيات الأحوال.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة:

- 1 أثبتت الدراسة أن أسلوب التوكيد مبحث له جذوره اللغوية والنحوية، وأن البحث البلاغي نمى هذا الأسلوب، وأودع في ظللاً وأسراراً، وخطابه خطوات واسعة.
- 2 بين البحث أهمية هذا الأسلوب، وتتنوع مسالكه وتعدد أسراره ودواعيه في آثار العلماء، وقد تم تقسيم تلك المسالك إلى قسمين القسم الأول : مسالك التوكيد بالأداة، والقسم الثاني: مسالك التوكيد بالأسلوب، وتمّ التمثيل لكل قسم.
- 3 من خلال البحث التطبيقي على آيات حقوق المرأة أوضح البحث أن أدوات التوكيد لم تظهر بالصورة التي ظهرت بها في آيات أخرى في القرآن الكريم، ويعود ذلك إلى اعتماد هذه الآيات على أساليب الأمر والنهي في بيان هذه الحقوق.
- 4 جاءت الإبانة عن توكيد هذه الحقوق بصور مختلفة تحكم فيها السياق تارة، وحقيقة ما يؤكد، وواقع ما يؤكد، وما يرتبط بذلك من أسباب النزول تارة أخرى. وأوضح البحث أن لكل مسلك من مسالك التوكيد مقامه الذي لا يغني فيه غيره.
- 5 سناية النص القرآني في هذه الآيات بالجملة الاسمية، وإيثارها في التعبير على الجملة الفعلية، نظراً للتشريعات العظيمة التي تناولتها الآيات والتي تمثل أحكاماً ثابتة لا تتغير على مدى الزمان والمكان، وهو ما يتناسب مع ما تفيد به الجملة الاسمية من ثبوت واستمرار.
- 6 تمثل الجملة الشرطية ظاهرة واضحة في هذه الآيات فقد اعتمد عليها السياق غالباً، وكان في ذلك إشارة إلى موقع هذه الأحكام من الأهمية، وأنها عقود وموathيق يجب أن تتال حظها من الدقة والإحكام، فالمعاملة الزوجية لا تتم على الوجه الذي ارتضاه الله لعباده إلا بعد إتمام الشروط وتنفيذها، وأي تقصير في ذلك يعرض هذه المعاملة للخلل والبعد عن منهج الله. فالاعتماد على الجملة الشرطية يعود إلى أن هذه الجملة تجعل الكلام بين ي بعضه على بعض ويرتبط بعضه ببعض، حتى أن الطاهر بن عاشور عدّ هذا الأسلوب من عناصر التوكيد، فالتوكيد يتجلى من خلال ارتباط جواب الشرط

بفعل الشرط ووقوعه⁽¹⁾. وفي هذا تمكين للعقائد والشرائع والسلوك في النفوس.

7- تؤكد هذه المسالك التي تم الوقوف على أسرارها علوّ النظم القرآني ودقته فعلى الرغم من أن هذه الآيات تناولت تشريعات وتنظيمات لا تتناول في العادة في أسلوب فصيح إلا أنها جاءت في أسلوب هو الغاية في الجمال والفصاحة والدقة، وتؤكد هذه المسالك أيضاً أن القرآن يسعى في سبيل الإقناع بالحقائق إلى تحسس دواخل النفس البشرية ومخاطبتها حسبما تميل إليه بطبعها، ومن هنا يظل هذا النص كريماً في ملاحظة النفس الإنسانية ومدى بزيادة الإيمان واليقين والثقة.

8- من خلال التأمل في المنهج القرآني في تناول حقوق المرأة نجد أن هذا المنهج يمثل الحق الصالح لكل زمان ومكان، وأنه لم يكن ردة فعل لما كانت تعانيه المرأة، وإن أخذ ذلك جانباً منه، وإنما هو منهج الله القويم الذي ارتضاه الله لعباده، وأن توزيع النظر في مختلف المذاهب والآراء التي تناولت قضية المرأة يُظهر بوضوح أن الخلل يأتي دائماً من فهم النص وليس من النص، وأن كثيراً من العادات والمفاهيم التي سلبت المرأة حقوقها إنما كان نتيجة فهم خاطئ للنص القرآني والبعد عنه، وتغليب لسلطة العادة والتقاليد.

فالنص الإلهي يشع بالرحمة والعدل والحياة الجميلة التي تتوافق ومصالح العباد وتقوم على التكامل بين الطرفين (الرجل والمرأة) وأن العلاقة بينهما تختلف في الطبيعة وتتكافأ في الأهمية.

وأختم هنا بإيراد بعض الأفكار التي أراها مناسبة لأن تكون مجالاً لدراسات وبحوث قادمة، فمن خلال دراسة هذه المسالك وارتباطها بالأحكام والتشريعات أتمنى أن يلقي الضوء على ما يأتي:

- 1- دراسة بلاغة التدرج في بيان هذه الأحكام.
- 2- دراسة هذه المسالك وتطبيقها على حقوق أخرى كحقوق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

(1) انظر: التحرير والتنوير، ج2، ص220.

3- دراسة الظواهر التعبيرية في الأحكام التشريعية، تلك الظواهر التي آثرها النص القرآني على غيرها.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن ينفع بما قدمت ، وأن يتجاوز عن الخطأ والنسيان، وأن يكتب لي الأجر والثواب إنه سميع مجيب وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



تصنيف عام بحقوق المرأة ومسالك توكيدها في الآيات القرآنية (مناط الدراسة)

سورة البقرة

رقم الآية	الآية	الحق المشروع	مسالك التوكيد
83	وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهََ وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ	البر والإحسان	المصدر
178	يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَىٰ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ	القصاص	التفصيل بعد الإجمال
180	كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ	الوصية	المصدر
187	هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ	حسن المعاشرة واحترام المشاعر والدوافع الفطرية	التشبيه
221	وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ ۚ وَلَا مُمْمِنَةٌ كَافِرَةٌ ۚ خَيْرٌ مِّن مَّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۚ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مَّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۚ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۚ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۚ وَيُبَيِّنُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ	التأكيد على خيرية الأمة المؤمنة وظهار مكانتها في بناء الأسرة المسلمة	لام الابتداء والمقابلة
222	وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ ۚ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ	احترام المرأة وتقدير مشاعرها ودفع الأذى عنها	التكرار
223	نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ	تقدير مكانة المرأة وتعهدتها بالرعاية والمعاشرة الحسنة	الجملة الاسمية التشبيه
225	لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءَ فَإِنَّ اللَّهََ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ وَإِن عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهََ سَمِيعٌ عَلِيمٌ	دفع الضرر	إن - التقديم - التذييل
228	وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ وَلَا تَحِلُّ لهنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا	الاهتمام بحقوق المرأة والإشادة بها والحث على المعاشرة بالمعروف	التقديم والتذييل

		وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَ بِالْمَعْرُوفِ ^٤ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْنَ دَرَجَةٌ ^٥ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ	
الجملة الاسمية القصر التكرار التفصيل بعد الإجمال التذييل	- الإحسان إلى المطلقة ومنع الإضرار بها والاعتداء عليها . - النزع .	أَطْلَقُ مَرَّتَانِ طَّ فَمَسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَنِ ^٦ وَلَا تَحِلُّ ^٧ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ تَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا اتَّفَقْتُمْ بِهِ ^٨ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ	229
إن - التذييل - التكرار - المقابلة	العاملة بالمعروف لدفع الضرر والإيذاء	وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ ^٩ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَحوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ^{١٠} وَلَا تَمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِيَتَعْتَدُوا ^{١١} وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ^{١٢} وَلَا تَتَّخِذُوا ^{١٣} آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا ^{١٤} وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعْظَمُكُمْ بِهِ ^{١٥} وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ	231
التقديم - التذييل	- تحريم العضل - حرية الاختيار	وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجْلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَكْحَنَ أَرْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضُوا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ^{١٦} ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ كَرَمٌ أَرْكَى ^{١٧} لَكُمْ وَأَطْهَرُ ^{١٨} وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ	232
التقديم - القصر - الاعتراض - التذييل - التقييد	- إرضاع الطفل . - النفقة والكسوة . - إبداء الرأي . - منع الإضرار والإيذاء .	وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِمَّ ^{١٩} الرِّضَاعَةَ ^{٢٠} وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ^{٢١} لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا نَفْسَهَا ^{٢٢} لَا تَضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ ^{٢٣} وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ^{٢٤} فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مَيْهِنًا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ^{٢٥} وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ ^{٢٦} وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ	233
المصدر	المنفعة	لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا ^{٢٧} لَهُنَّ فَرِيضَةً ^{٢٨} وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ ^{٢٩} حَقًّا عَلَى الْحَسَنِينَ	236
قد - الاستعارة	- المهر - مكانة المرأة	وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ ^{٣٠}	237

	- حرية التملك والتصرف	فَرِيضَةً فَيَصِفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ	
241	المتعة	وَلَمَّا طَلَّقْتَ مَتْعَةً بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ	المصدر - الجملة الاسمية - ذكر العام بعد الخاص

سورة آل عمران

رقم الآية	الآية	الحق المشروع	مسالك التوكيد
33	إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ	مكانة المرأة	إن
42	وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ	مكانة المرأة وقدرتها على التمييز	إن
195	فَأَسْتَجِبْ لَهُمْ رِبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلٌ عَمَلٍ مِنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْتَىٰ	تأكيد حظ النساء في الأعمال وجزائها	التفصيل بعد الإجمال

سورة النساء

رقم الآية	الآية	الحق المشروع	مسالك التوكيد
1	يَتَأْتِيَ النَّاسُ آتْفُقُوا رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا	التأكيد على وحدة الأصل وتقرير حقوق النساء	التكرار - ذكر الخاص بعد العام - التقييد
3	وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَنَّىٰ وَتَلْتُمْ وَرُبِعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا	العدل بين الزوجات	العال - التكرار
4	وَأْتُوا النِّسَاءَ صِدْقَتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا	الصداق حرية التملك والتصرف	المصدر
7	لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا	المساواة في الحقوق والواجبات وتأكيد أصالة النساء في استحقاق الإرث	التقديم - التكرار
11	يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّاتِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَوَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَوَلَدٌ أَوْ وَرَثَةٌ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ	الميراث	المصدر - التقديم - التكرار - التفصيل بعد الإجمال - الاعتراض - التذييل

		يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دِينٍ ۗ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا	
المصدر - التقديم - التكرار	الميراث	وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لهنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ أَلْرُبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِن بَعْدِ وَصِيَّتِ يَوْصِيَنَّ بِهَا أَوْ دِينٍ ۚ وَلهنَّ أَلْرُبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلهنَّ أَلْثُمُن مِمَّا تَرَكَتُمْ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّتِ تَوْصُونَ بِهَا أَوْ دِينٍ ۚ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلِالَةً أَوْ امْرَأَةً وَلهِ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا أَلْسُدُسٌ ۚ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهم م شُرَكَاءُ فِي أَلْثَمِ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّتِ يَوْصَىٰ بِهَا أَوْ دِينٍ ۚ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ	12
المقابلة	الميراث	تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۗ وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا أَلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَلِكَ أَلْفَوْزٌ أَلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلهِ عَذَابٌ مُّهِينٌ	-13 14
زيادة حروف الطلب	حماية الاعراض	وَأَلَّتِي يَأْتِينَ أَلْفَحِشَةً مِّن نِّسَابِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ ۚ فَإِن شَهِدُوا فَاْمَسْكُوهُنَّ فِي أَلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّهِنَّ أَلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ هُنَّ سَبِيلًا	15
التكرار - عطف العام على الخاص - التنديل	حرية ممارسة الحياة على الوجه المشروع المعاشرة بالمعروف دفع الضرر والظلم	يَأْتِيهَا أَلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرْتُوا أَلنِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضَلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ ۚ إِلَّا أَن يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا	19
قد - الحال - التكرار - الاستعارة	حرية التملك حماية المال احترام المرأة وتقدير عشرتها	وَإِن أَرَدْتُمْ أَسْتَبْدَالَ رَوْجٍ مَّكَانَ رَوْجٍ ءَاتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ۚ ءَاتَاخُذُونَهُ بِهَتَمَتَا وَإِنَّمَا مِيبَتَا ﴿١٤﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا	-20 21
إن - التفصيل بعد الإجمال	احترام مشاعر المرأة	وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَاؤُكُمْ مِّنَ أَلنِّسَاءِ ۚ إِلَّا مَا قَدْ	22

		سَلَفٌ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا	
المصدر - الفصل - القيد	المحافظة على كرامة المرأة وتقدير مشاعرها في مختلف الأحوال	<p>حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْتَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَخَالَاتُكُمُ اللَّاتِي مِّنَ الْأَخْتَانِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾</p> <p>۞ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرِ مُسْفِحِينَ ۗ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَقَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۗ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۗ فَاذْكُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ مُحْصَنَاتٍ غَيْرِ مُسْفِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَحْدَانٍ ۗ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ۗ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ</p>	23
زيادة حروف الطلب - المصدر	المهر	فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَاقَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً	24
الاعتراض	التأكيد على وحدة الأصل والدين وعدم التعالي على الإمام	فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ	25
التكرار	المساواة في الحقوق والواجبات والجزاء على الأعمال	وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ۗ لِلرِّجَالِ	32

		نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْتُ بِنَاءً وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْتَنَ وَسَلُّوا اللَّهِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا	
التقديم	المساواة في الحقوق والواجبات والجزاء على الأعمال	33 وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ فَتَاتُوهُمْ نَصِيبُهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا	
إن - الجملة الاسمية	رعاية شؤون المرأة ومنع الاعتداء عليها بغير حق	34 الرِّجَالِ قَوْمُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالضَّلِحْتُ قَبِئَتْ حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا	
إن - التذييل	منع الاعتداء على المرأة بغير حق	-34 35 وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْتِغُوا حَكْمًا مِنَ أَهْلِهَا وَحَكْمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا	
المصدر	البر والإحسان	36 وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ	
التفصيل بعد الإجمال	تأكيد حظ النساء في الأعمال وجزائها	124 وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا	
زيادة حروف الطلب - التذييل	رعاية حقوق النساء	127 وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ	
إن - التذييل	المعايشة بالمعروف ودفع الأذى والإضرار بالمرأة	128 وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ حَكِيمًا	
إن - المصدر - التذييل - التشبيه	العدل بين الزوجات	129 وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمَعْلَقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا	

		وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا	
التقديم التذييل	الميراث	يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ۚ إِنَّ أَمْرًا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وُلْدٌ وَلَهُ وَاكْرَهُ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وُلْدٌ ۚ فَإِنْ كَانَ ثَلَاثَتِنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ	176

سورة الأنعام

رقم الآية	الآية	الحق المشروع	مسالك التوكيد
140	قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ ۗ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ	الحياة	قد
151	قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ كُفْرًا بِإِيْمَانِي ۖ وَسَقَاتُ اللَّهِ وَاللَّذَلِّينَ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ ۖ اِمْلَقِي نَحْنُ نَرِزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ	البر والإحسان	المصدر

سورة النحل

رقم الآية	الآية	الحق المشروع	مسالك التوكيد
57-59	وَجَعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ ۗ أَمْرٌ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ	الحياة	ألا التنبيهية
97	مَنْ عَمَلْ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۗ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ	تأكيد حظ النساء في الأعمال وجزائها	التفصيل بعد الإجمال

سورة الإسراء

رقم الآية	الآية	الحق المشروع	مسالك التوكيد
23	وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۗ إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا	البر والإحسان	المصدر - التكرار - عطف العام على الخاص
31	وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَسِيَةً ۖ اِمْلَقِي نَحْنُ نَرِزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ	الحياة	إن

		فَتَلَّهُمْ كَانَ خِطَاءً كَبِيرًا	
--	--	------------------------------------	--

سورة النور

رقم الآية	الآية	الحق المشروع	مسالك التوكيد
4	وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ	حماية العرض	القصر والاستعارة
10-6	وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدُوا أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَمِيسَةَ أَنْ لَعَنَتِ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَذَرُوا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَمِيسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ	حماية العرض المقاضاة	إن - القصر - الاستعارة
11	إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم	حماية العرض	إن - القصر - التقييد
12	لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأَنْفُسِهِمْ خَبَرًا	حماية العرض	إن - القصر - التقييد
13	لَوْلَا جَاءَ وَعَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ	حماية العرض	إن - القصر - التقييد
15	وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ	حماية العرض	إن - القصر - التقييد
19	إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ	حماية العرض	إن
25-23	إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ	حماية العرض	إن - التكرار
33	وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيِّتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ خَصْنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ	المحافظة على كرامة المرأة ودفع الضرر عنها	إن - التذييل

سورة لقمان

رقم الآية	الآية	الحق المشروع	مسالك التوكيد
14	وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَمَلٍ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدِكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ	البر والإحسان	المصدر - الاعتراض

سورة الاحزاب

رقم الآية	الآية	الحق المشروع	مسالك التوكيد
4	مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي حَوْفِهِ ۗ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّاتِي تُظَاهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۗ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۗ	تقرير حق المرأة في حياتها الزوجية	التقيد - التمثيل
29	فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا	الجزاء والثواب على الاعمال	إن
35	إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالصَّالِحِينَ وَالصَّالِحَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا	المساواة في الحقوق والواجبات والاعمال وثوابها	إن
49	يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُموهُنَّ مِن قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ ۚ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِن عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا	المتعة	المصدر
58	وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا	حرمة المؤمنات ودفع الأذى عنهم	قد

سورة غافر

رقم الآية	الآية	الحق المشروع	مسالك التوكيد
40	وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثِيَ ۖ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ۖ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ	تأكيد حظ النساء في الاعمال وثوابها	التفصيل بعد الإجمال

سورة الحديد

رقم الآية	الآية	الحق المشروع	مسالك التوكيد
18	إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ	التأكيد على حظ النساء في الاعمال وثوابها	إن

سورة المجادلة

رقم الآية	الآية	الحق المشروع	مسالك التوكيد
1	قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ	إبداء الرأي والمقاضاة والتشاكلي	قد - الإظهار في موضع الإضمار
2	الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُمْ بَأْمَهُنَّهِنَّ إِنِّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ	المحافظة على كرامة المرأة رعاية دوافعها الفطرية	إن - لام - القصر - الفصل

سورة الطلاق

رقم الآية	الآية	الحق المشروع	مسالك التوكيد
1	يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِّنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا تَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا	حماية المطلقة من الإضرار السكن	قد - التفصيل بعد الإجمال - الاعتراض
2-5	فَإِذَا بَلَغَنَّ أَحْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذُوَيْ عَدْلِ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوَعِّظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا وَاللَّيْ يَسِّنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِّن نِّسَائِكُمْ إِنْ أَرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَاللَّي لَمْ يَخْضَنْ وَأُولَتْ الْأَحْمَالُ أَحْلَهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَسِرًّا ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا	حماية المطلقة من الأذى المعايشة بالمعروف التحذير من التساهل في أحكام الطلاق	التكرار - الجملة الاسمية
6	أَسْكِنُوهُنَّ مِّنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِّنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ	السكن النفقة دفع الضرر	الإيضاح بعد الإبهام
7	لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَتْهُ اللَّهُ	النفقة	المقابلة

الفهارس العامة

الفهارس العامة

أولاً: فهرس الآيات القرآنية.

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.

ثالثاً: فهرس الأبيات الشعرية.

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.

خامساً: فهرس الموضوعات.

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

سورة البقرة

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
4	وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ	132
5	أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ	38
6	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ	103
8	وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ	32
12	أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ	96 - 29
14	وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيْطَانِيهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ	-28 -42 101 - 39
21	يَتَّبِعُهَا النَّاسُ أَعْبَدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ	55
24	فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلٰن تَفْعَلُوا	46 - 34
83	وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ	-190 273
130	وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ	131
136	قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِن قَبْلِهِمْ وَأَسْمِعِلْ وَأَسْحَقْ وَيَعْقُوبَ	110 - 23
138	صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عٰبِدُونَ	134
145	وَلَيْنَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ	139
159	إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أُنزِلْنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ	45
163	وَاللَّهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ	39
167	وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةٌ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ	136
178	يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبِ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ	233

	بِالْأُتَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ۗ ذَٰلِكَ خَفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ	
193	كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۗ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ	180
261	هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ	187
49	تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ	196
287	كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ	216
-182 258	وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ ۚ وَلَا أُمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مَّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مَّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۗ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۗ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ	221
232 -99	وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۗ قُلْ هُوَ أَدْنَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ۗ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ ۗ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ	222
-200 263	نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ	223
272	لِّلَّذِينَ يُؤُولُونَ مِنْ نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ	225
212	لِّلَّذِينَ يُؤُولُونَ مِنْ نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ	226
-159 274	فَإِنْ فَاءُ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ	227
213 -41 -250 274	وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۗ وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ	228
-201 224 -241 275 252	الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ ۗ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۗ فَإِنْ خِفْتُمَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا	229

	جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ	
231	وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا فُجُورًا ۚ فَمَسْكُوهُنَّ فِى مَقَارِعِ الدَّارِ أَلَا تَعْلَمُونَ ۗ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ لِيُعْظِمَكُمْ بِهِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَسْرَارَ عِبَادِهِ ۗ	-149 158 -172 233 -275 259
232	وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضُوا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ ۚ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ	210
233	وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْفِقَ ۗ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَالِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ ۚ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۗ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي ۗ وَاللَّهُ يَسْمَعُ الصَّوْتِ وَالنَّوْءِ ۗ	-159 208 -215 219 -246 254
234	وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۗ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ	278
236	لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ ۚ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ ۚ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ ۗ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ	-193 236 280
237	وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ	-174 265
240	وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ ۗ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ ۗ مِنَ الْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ	278
241	وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ ۗ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ	-194 203 -216

280 245		
100	وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ	254
27	قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ	256
39	أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعْمَلَ هُوَ فَلْيَمْلِكْ لِوَلِيِّهِ بِالْعَدْلِ	282

سورة آل عمران

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
29	قُلْ إِنْ تَخْشَوْنَ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَرُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ	48
33	إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ	153
36	قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ	87
42	وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ	147
55	إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَىٰ ابْنِي مَتْوَفِيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىٰ وَمُطَهَّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ	37
97	وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ	54
101	وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ	27
104	وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ	110
109	وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ	117
145	وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُوِّتْهُ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ	28
154	هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ	31
159	فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ	93 - 33 94
182	ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ	54
195	فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَىٰ	235 - 52 246

سورة النساء

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
1	يَتَّيِبُهَا لِلنَّاسِ أَنْ يَقُولُوا رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا	-225 244 -240 281
3	وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ۗ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۗ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا	283
4	وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ۗ فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُنَّ فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا	195
7	لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۗ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا	-216 227 -237 239
8	وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا	98
11	يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ ۗ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۗ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۗ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ ۗ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبُوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ۗ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ۗ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ لِأَبَائِكُمْ وَلِأُمَّاتِكُمْ ۗ لَكُمْ أَنْ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ ۗ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا	-19 -199 -199 -222 218 237 224 247 - 286
12	وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ ۗ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ ۗ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ ۗ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كَلِيلَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ۗ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ۗ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ ۗ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ	-195 224 -251 286
-13 14	تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۗ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۗ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٤﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ	258
15	وَالَّذِي يَأْتِيَنَّكَ الْفَاحِشَةُ مِنَ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا	185

	فَأَمْسِكُوهُمْ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا	
19	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبِينَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا	-229 234 -242 252 287
-20 21	وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَسْبِدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ؕ أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتِنًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا	-175 265 231
22	وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا	-154 288 243
23	حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ * وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۖ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ۖ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرِ مُسْفِحِينَ ۚ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ ۚ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ۚ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ مُحْصَنَاتٍ غَيْرِ مُسْفِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّهُنَّ بِفَحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ۚ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ ۚ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ الَّذِي بِيَدِهِ وَيُطَهِّرَ الصَّالِحِينَ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشِرْكٍَ قَبْلِهِمْ هُمْ أَكْثَرُ طَهْرًا ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ	-253 289

-186 199	فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً	24
243	فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنَ فَتْيَتِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ	25
-228 228 204	وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ۚ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا ۚ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا	32
217	وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۚ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا	33
-156 160 -204 291	الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالصَّالِحَاتُ قَنِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۚ وَاللَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ ۚ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاصْرَبُوهُنَّ ۚ فَإِنِ اطَّعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا	34
291	وَاللَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ ۚ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاصْرَبُوهُنَّ ۚ فَإِنِ اطَّعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٦٥﴾ وَإِنِ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ ۚ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا	-34 35
-191 273	وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ	36
132	إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ۚ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ	116
47	وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۗ وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا	122
236	وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا	124
136	وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا	125

127	وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ۗ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ	-187 294 206
128	وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ ۗ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا	-155 160 -253 293 291
129	وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۚ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمَعْلُوقَةِ ۗ وَإِنْ تَصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا	-183 193 -199 254 -263 283
152	وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا	29
164	وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا	95
176	يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ۗ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتُ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۗ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ ۗ وَإِنْ كَانَتْ أُمَّتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۗ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ	-187 218 -251 294

سورة المائدة

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
90	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ	37
97	ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ	48
117	مَا قُلْتُ هُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ۚ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ	36

سورة الأنعام

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
140	قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ ۗ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ	177
151	قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقَ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ	186 -172 273 -191 295

سورة الأعراف

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
12	قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ^ط قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ	32
54	إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ	89
113	إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا	92
115	قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ حَنُ الْمَلْقِينَ	97 - 40
131	أَلَا إِنَّمَا طَبَرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ	95
189	هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مَبْنَىٰ رُجُوعَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ^ط	281

سورة التوبة

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
-44 45	لَا يَسْتَعْدِلُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ^ط وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَعْدِلُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَبِّهِمْ يَتَرَدَّدُونَ	116
71	أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ	28

سورة يونس

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
55	أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ^ط أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ	29

سورة هود

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
8	أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ	95 - 50
-84 85	وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ^ط إِنِّي أَرَأَيْتُمْ بَخِيلٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿١٠٤﴾ وَيَقُولُونَ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ^ط وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ	44

سورة يوسف

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
4	إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ	107

90 -25	إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا	8
91	قَالُوا يَتَّبِعَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَنْصِحُونَ ﴿٩١﴾ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعِ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَنِفُظُونَ	-11 12
93	فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ	96

سورة النحل

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
-57 59	وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَّا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ	185
90	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ	189
91	وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا	14
97	مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ	236
103	وَلَقَدْ نَعَلُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ	28

سورة الإسراء

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
5	فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولَىٰ بَاسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَلِ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا	47
12	وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلَنَاهُ تَفْصِيلًا	35
23	وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا	-191 273 -295 235
31	وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَشِيَّةً اِمْلَقِي حُنَّ نَزَرْتُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِن قَتَلْتُمْ كَانَ خَطَاً كَبِيرًا	-156 293
81	وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا	112
105	وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ	117

سورة الكهف

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
67	إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا	34

سورة طه

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
10	إِنِّي ءَأَنْسْتُ نَارًا لَّعَلِّي ءَاتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ	25
15	إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أَحْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ	132
-25 26	قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿١٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي	110 - 48
-68 69	فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿١٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ	97 - 54

سورة الأنبياء

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
4	قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ	54

سورة المؤمنون

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
-14 15	ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ	24
4	وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ	99
59	وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ	102
117	وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ	98

سورة النور

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
4	وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ	-221 266
10 - 6	وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَدَتْ أَحَدُهُمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠﴾ وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١١﴾ وَيَدْرُؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٢﴾ وَالْخَمْسَةَ أَنْ غَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ	161

	اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ	
163	إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا حَسْبُهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ	11
52	لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا	12
163	لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ	13
257	وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ	15
165	إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ	19
166	إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَنِيَّاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُؤْفِكُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ	-23 25
-167 254	وَلَا تَكْرَهُوا فِتْنَتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَا تَحْصِنَا لَيَتَّبِعُنَا عَرْضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرَهُهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ	33
80	مَثَل نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ	35
205	رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ	37
27	قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ	64

سورة الفرقان

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
3	وَأَخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ	102

سورة الشعراء

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
-105 108	كَذَبَتْ قَوْمٌ نُّوحَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا	108
117	قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ	87

سورة النمل

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
87	وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنَرِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ	118

سورة القصص

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
19	فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا	93

سورة العنكبوت

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
33	وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِـءَءٍ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا	32

سورة الروم

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
6	وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ	35
21	وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً	285

سورة لقمان

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
7	وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَوَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا	104
14	وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي غَمٍّ إِنَّ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ	-113 248

سورة الأحزاب

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
4	مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ الَّتِي تَظَاهَرُونَ مِنْهِنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ	-115 257 -264 297
23	مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ	205
29	فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا	170
35	إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا	169
49	يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ	195

	فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَنْعُوهُنَّ وَسَرَحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا	
178	وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا	58

سورة سبأ

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
17	ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَافِرَ	112

سورة يس

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
-13 16	وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذُوبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ	85 - 22

سورة الزمر

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
6	خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا	281
23	اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ تَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ	41

سورة غافر

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
7	فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ	49
29	قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ	36
40	وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْرُقُونَ فِيهَا فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ	236
41	وَيَقَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النِّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفْرِ	42
56	إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ	133
59	إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ	132
69	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ	129

سورة الشورى

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
5	تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ	30

سورة الزخرف

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
16	أَمْ آتَّخَذَ مِمَّا سَخَّلُ بَنَاتٍ وَأَصْفَلَكُمْ بِالْبَيْنِ	52
76	وَلَيْكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ	100

سورة محمد

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
4	فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ	98

سورة الفتح

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
2 - 1	إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ	118

سورة الذاريات

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
23	فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْكُمْ تَنْطِقُونَ	95

سورة القمر

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
42	فَأَخَذْنَا مِنْهُمُ آخِذًا مِّنْ عِزِّهِمْ مُّقْتَدِرٍ	99

سورة الواقعة

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
-52 26	لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا ﴿٥٢﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَمًا سَلَمًا	125

سورة الحديد

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
18	إِنَّ الْمَصْدَقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَعْفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ	170

سورة المجادلة

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
1	قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ	179

2	الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِمَّنِيسَابِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ	-171 220 -222 297
---	---	----------------------------

سورة المنافقون

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
1	إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ	91

سورة الطلاق

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
1	يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يُخْرَجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا	-173 224 -243 249
2-5	فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوَعِّظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنْ اللَّهُ بَلَغَ أَمْرَهُ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا وَاللَّيْسَ يَبْسُ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِّسَابِكُمْ إِنْ أَرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّيْسَ لَمْ تَحْضَنْ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا	-207 226 -249 298 276
6	أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ	-151 235
7	لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ	259

سورة القلم

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
42	يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ	123

سورة الحاقة

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
13	فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ	116

سورة المزمل

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
-15 16	إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ	279

سورة القيامة

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
24	أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ	107

سورة الإنسان

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
8	وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ	114
23	إِنَّا لَحَنُّنٌ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا	24

سورة الضحى

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
5	وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ	26

سورة الشرح

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
107	فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿١٠٧﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا	107

سورة التكاثر

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
4 - 3	ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ	10

سورة الإخلاص

رقم الآية	الآية	رقم الصفحة
2 - 1	قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ	117

ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

رقم الصفحة	الحديث
أ	
35	" الذي كلمه الله تكليماً "
37	"إن هذه النار إنما هي عدو لكم"
155	"إذا مات الرجل قام أكبر أولاده فألقى ثوبه على امرأة أبيه "
157	"أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم "
168	"أن جارية لعبد الله بن أبي سلول "
184	"اللهم هذا قسمي فيما أملك...."
232	"أن اليهود كانت إذا حاضت امرأة منهم أخرجوها من البيت "
ل	
23	"لئن عشت لأصومن التاسع والعاشر "
ف	
24	"فوالله إن أحدكم ليعمل بعمل "
50	"قبصرت عيني رسول الله صلى الله عليه وسلم.... "
م	
27	"من جهز غازياً فقد غزا"
31	"ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صادقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار "
32	" ما أنا بقارئ "
32	"ما المسؤول عنها بأعلم من السائل "
38	"من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله عز وجل "
39	"مكانك لا تبرح "
46	"من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب "
و	
45	"وعليكم بالسكينة والوقار "
56	"وكان متكئاً فجلس "
108	"وما فعلت ذلك كفراً...."
ي	
44	"يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي"

ثالثاً: فهرس الأبيات الشعرية

(أ)

رقم الصفحة	البيت
67	تطيعُ الحاسدين وأنت مرءُ جُعِلتُ فداءه وهم فدائي
72	ولجُدتَ حتى كِدْتَ تَبْخُلُ حائلاً للمنْتَهَى، ومن السرور بكاءُ
125	وما أدري وسوف أخال أدري أقوم آل حصن أم نساء

(ب)

رقم الصفحة	البيت
69	لابنة حِطَّانِ بنِ عوفِ منازلُ كما رَقَّشَ العنْوانَ في الرِّقِّ كاتِبُ
77 - 71	فهلاً أَعْدُونِي لِمِثْلِي تَفَاقَدُوا إِذَا الخَصْمُ أَبْزَى مائلُ الرُّأْسِ أَنْكَبُ
71	وهلا أَعْدُونِي لِمِثْلِي تَفَاقَدُوا وفي الأَرْضِ مَبْنُوثٌ شُجَاعٌ وَعَقْرَبُ
71	أودى وَذَلِكَ شَأْوٌ غَيْرُ مَطْلُوبِ أودى وَذَلِكَ شَأْوٌ غَيْرُ مَطْلُوبِ
72	فلا تَعْدِلِي بَيْنِي وَبَيْنَ مُغَمَّرِ سَقْنِكَ رِوَايَا المُرْنِ حِينَ تَصُوبُ
72	سَقَالِكَ يَمَانِ نُو حَبِيٍّ وَعَارِضُ تَرُوحُ بِهِ جِنَحَ العِشِيِّ جُنُوبُ
73	مَنْ الجَانِبِ الأَقْصَى وَإِنْ كَانَ ذَا غِنَى جَزِيلٍ وَلَمْ يَخْبِرْكَ مِثْلُ مُجْرَبِ
-74	كَأَنَّ عُيُونََ الوَحْشِ حَوْلَ خِبَائِنَا وَأَرْجُلِنَا الجَزْعُ الَّذِي لَمْ يُثَقِّبِ
114	
76	الوُدُّ لِلقُرْبَى وَلَكِنْ عُرْفُهُ لِلأَبْعَدِ الأَوْطَانِ دُونَ الأَقْرَبِ
79	فَمَا الحَدَاثَةُ مِنْ حِلْمِ بَمَانِعَةٍ قَدْ يُوجَدُ الحِلْمُ فِي الشَّبَانِ وَالشَّيْبِ
79	تَرَعْرَعُ المَلِكُ الأَسْتَاذُ مُكْتَهَلاً قَبْلَ اكْتِهَالِ أَدِيباً قَبْلَ تَأْدِيبِ
112	ولست بِمَسْتَبِقٍ أَحْأَ لَا تَلْمَهُ عَلَى شَعْتِ أَيِّ الرِّجَالِ المَهْذَبِ
121	تَرِ دَدٌ فِي خَلْقِي سَوْدَدٌ سَمَاحاً مَرَجِيٍّ وَبِأَسَا مَهْيِباً
121	فَكَالسِيفِ إِنْ جِنَّتْهُ صَارِخاً وَكَالْبَحْرِ إِنْ جِنَّتْهُ مَسْتَثِيباً
122	دَانَ عَلَى أَيْدِي العِفَاةِ وَشَاسِعِ عَنْ كُلِّ نَدٍ فِي النَّدَى وَضَرِيبِ
122	كَالْبَدْرِ أَفْرَطُ فِي العُلُوِّ وَضَوْءِهِ لِلعَصْبَةِ السَّارِينَ جَدٍ قَرِيبِ
125	وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سَيُوفِهِمْ بِهِنَّ فُلُولٍ مِنْ قِرَاعِ الكِتَابِ
137	هَمْ يَفْرَشُونَ اللَّبْدَ كُلَّ طَمْرَةٍ وَأَجْرَدُ سَبَاحِ يَنْدِ المِغَالِبِ

(د)

رقم الصفحة	البيات
67	أَمَرْتُهُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوِيِّ فلم يستبينوا الرشدَ إلا ضحَى الغدِ
79	وداني الجدَا تأتي عطاياهُ من علٍ ومنصبه وعرُ مطالعُهُ جردُ
79	فقد نزلَ المرتادُ منه بما جسد مواهبهُ غورُ وسوددَهُ نجدُ
76	ليس الجمالُ بمنزر فاعلم وإن رُدَّيتَ بردَا
80	طللُ وقفُ عليه أسألهُ إلى أن كادَ يُصبحُ ربَّعه لي مسجداً

(ر)

رقم الصفحة	البيات
67	فإنَّا للحمِّ السيفِ غيرَ نكيرِ ونلحمُهُ حيناً وليسَ بذي نكرِ
75	ولنا قنَاةٌ من رُدِّيئةِ صدقةِ زوراءَ حاملِها كذلكَ أزورُ
113	فأقسمُ المجدَ حقاً لا يحالفهم حتى يحالف بطنَ الراحةِ الشعـر

(س)

رقم الصفحة	البيات
89	عليك باليأسِ من الناسِ إنَّ غنيَ نفسك في اليأسِ

(ض)

رقم الصفحة	البيات
68	وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرضِ

(ع)

رقم الصفحة	البيات
63	صرمتُ زُنَيْبَةَ حَبَلٍ مَنْ لَا يَقْطَعُ حَبْلَ الخليلِ ولَلأمانةُ تَفْجَعُ
65	إن أمسِ ما شيخاً كبيراً فطالَ ما عمرتُ ولكن لا أرى العُمَرَ يَنْفَعُ
77	وببرِ والذكَمِ وطاعةِ أمره إن الأبرَّ من البنينِ الأطوَعُ
77	ودعوا الضَّغِينَةَ لا تكنِ من شأنكم ضاقت يداهُ بأمره ما يصنعُ
77	فإنَّ يَجْفُ في بعضِ الأمورِ فإنني إن الضَّغِينَةَ للقرابةِ توضعُ
61	هل يجلبُ إلي عطفك موقف لأشكرُ النعمى التي كان أودعا
91	

(ق)

رقم الصفحة	البيات
63	لَتَقْرَعَنَّ عَلَيَّ السَّنَّ مِنْ نَدَمٍ إِذَا تَذَكَّرْتُ يَوْمًا بَعْضَ أَخْلَاقِي
65	وَسَوْقَ عَلَيٍّ مِنْ مَعَدٍّ وَغَيْرِهَا قَبَائِلَ لَا تُعْطِي الْقُفْيَّ لِسَانِقُ
68	وَكُنْ أَكْبَسَ الْكَيْسَى إِذَا كُنْتَ فِيهِمْ وَإِنْ كُنْتَ فِي الْحَمَقَى فَكُنْ أَنْتَ أَحْمَقًا
70	لَا شَيْءَ فِي رَيْدِهَا إِلَّا نَعَامَتُهَا مِنْهَا هَزِيمٌ وَمِنْهَا قَائِمٌ بَاقِي
80	تَدَاوَيْتُ مِنْ لَيْلَى بَلِيلَى فَمَا شَفَى بِمَاءِ الزُّبَى مِنْ بَاتٍ بِالمَاءِ يَشْرُقُ

(ل)

رقم الصفحة	البيات
62	فَأِنِّي لِلْمَوْتِ الَّذِي هُوَ نَازِلٌ بِنَفْسِكَ فَانظُرْ أَيَّ شَيْءٍ يِعَادِلُهُ
65	مَا إِنْ يَمَسُّ الأَرْضَ إِلَّا جَانِبٌ مِنْهُ وَحَرَفُ السَّاقِ طِيُّ المِحْمَلِ
68	لَنَا الحِصْنَانِ مِنْ أَجَا وَسَلْمَى وَشَرَقِيَّاهُمَا غَيْرَ انتِحَالِ
68	سَلَامٌ عَلَيْكُمْ عِلْمَكُمْ بِاشْتِيَاقِنَا يُنُوبُ لَكُمْ عَنْ شِرْحِهِ فِي الرِّسَائِلِ
76	فَإِنْ تَكُنِ الأَيَّامُ فِينَا تَبَدَّلَتْ بَبُوسَى وَنُعْمَى وَالحَوَادِثُ تَفَعَّلَتْ
76	فَمَا لَيْنَتْ مِنَّا قَنَاءَ صَلِيْبَةٍ وَلَا ذَلَّلَتْنا الَّذِي لَيْسَ يَجْمُلُ

(م)

رقم الصفحة	البيات
62	صَغَّرْتَ كُلَّ كَبِيرَةٍ وَكَبَّرْتَ عَنْ لَكَأَنَّهَ وَعَدَدْتَ سِنَّ غُلَامٍ
63	فَإِذَا تَرَيْتَنِي اليَوْمَ أَصْبَحْتَ بَادِنَا لَدَيْكَ فَقَدْ أَلْقَى عَلَى البِزْلِ مَرْحَمًا
64	نَحْنُ مِنْ ضَائِقِ الزَّمَانِ لَهُ فِيهِ كَ وَخَانَتُهُ قُرْبِكَ الأَيَّامِ
75	وَكَيفَ أَنْسَاكَ لَا أَيْدِيكَ وَاحِدَةً عِنْدِي وَلَا بِالَّذِي أَوْلَيْتَ مِنْ قَدَمٍ
81	تَرَى الأَرْضَ مِنَّا بِالفِضَاءِ مَرِيضَةً مُعْضَلَةً مِنَّا بِجَيْشِ عَرْمَرَمٍ
152	إِذَا تَذَكَّرْتَ بِنْتِي حِينَ تَتَدَبَّنِي فَاضَتْ لِعَبْرَتِ بِنْتِي عَبْرَتِي بِدَمِي
152	أَحَازِرُ الفَقْرَ أَنْ يَلِمَ بِهَا فِيهِتَكَ السِّتْرَ عَنْ لَحْمِ عَلَى وَضَمِ
152	أَخْشَى فِظَاطَةَ عَمٍ أَوْ جِفاءِ أَخٍ وَكَنتُ أَخْشَى عَلَيْهَا مِنْ أذَى الكَلِمِ
114	فَسَقَى دِيَارِكَ غَيْرَ مَفْسِدِهَا صُوبَ الرِّبِيعِ وَدِيمَةَ تَهْمِي

(هـ)

رقم الصفحة	البيت	البيت
69	أَعَقُّ خَلِيلِيهِ الصَّفِيِّينَ لِائْتِمِهِ	وما أنا إلا عاشقٌ كلُّ عاشقٍ
69	أَكْبَبَ عَلَى سَاعِدِيهِ النَّمَّ رَهَ	لها متنتان خَطَّاتا كما
77	بِالسِّيفِ جَجَاجُهَا مُسَوِّدُهَا	أَطْعَنُهَا بِالْقِنَاةِ أَضْرِبُهَا
138	كَدَخَانٍ مَشْعَلَةٌ يَثْبُبُ ضَرَامِهَا	فَتَنَازِعِ اسْبِطًا يَطِيرُ ظِلَالُهُ
138	كَدَخَانٍ نَارٍ سَاطِعِ أَسْنَامِهَا	مَشْمُولَةٌ غَلَّتْ بِنَابِتِ عَرْنَجِ

(ي)

رقم الصفحة	البيت	البيت
70	كَفَى بِالْغِنَى وَالنَّأْيِ عَنْهُ مُدَاوِيَا	دَاوِ ابْنَ عَمِّ السَّوِّءِ بِالنَّأْيِ وَالْغِنَى
78	عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا	فَتَى كَانَ فِيهِ مَا يَسِرُّ صَدِيقَهُ
78	جَوَادٍ فَمَا يَبْقَى مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا	فَتَى كَمَلَتْ خَيْرَاتُهُ غَيْرَ أَنَّهُ

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع

أ

- الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: المكتبة العصرية، ب.ط، 1418هـ-1997م).
- أحكام القرآن لابن العربي، تحقيق علي محمد الجاوي (بيروت: دار المعرفة، ب.ط، ب.ت).
- أحكام القرآن، الجصاص، ضبطه: عبد السلام محمد شاهين (بيروت: دار الكتب العلمية، ط الثانية، 1424هـ-2003م).
- أحكام المرأة بين الاجتهاد والتقليد دراسة مقارنة في الشريعة والفقه والقانون والاجتماع، شيماء الصراف، (بيروت: الانتشار العربي، ط الأولى، 2008م)،
- "إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم"، أبو السعود: محمد بن محمد العمادي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ب.ت، ب.ط).
- الأساليب الإنشائية، د. صباح عبيد دراز، (مصر: مطبعة الأمانة، ط الأولى، 1406هـ-1986م).
- أساليب بلاغية، د. أحمد مطلوب، (الكويت: وكالة المطبوعات، ط الأولى، 1979م. 1980م).
- أساليب التوكيد في القرآن الكريم"، عبد الرحمن المطردي، (طرابلس: الدار الجماهيرية، ط الأولى، 1395هـ-1986م).
- أساليب التأكيد في اللغة العربية"، إلياس ديب، (بيروت: دار الفكر العربي، ط1993).
- أساليب القصر في القرآن الكريم، د. صباح دراز، (مصر، مطبعة الأمانة، ب.ط، 1406هـ-1986م).
- "أسباب النزول، أبو الحسن عي بن أحمد الواحدي (بيروت: دار الكتب العلمية، ب.ط، 2000م).
- أسرار البلاغة: عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، ت: محمود شاكر (القاهرة: مطبعة المدني، ط الأولى، 1412هـ-1991م).
- أسرار الفصل والوصل، د: صباح دراز، (مصر: مطبعة الأمانة، ط الأولى، 1406هـ-1986م).
- الإشارة إلى الإيجاز، عبد العزيز بن عبد السلام عز الدين، (القاهرة: دار الحديث، ب.ت)
- أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ب.ط، 1413هـ-1992م).
- الإعجاز البياني في القرآني الكريم، د.عمار ساسي، (الأردن عمان، جدار للكتاب العالمي، ط الأولى، 2007)
- الإعجاز الفني في القرآن، عمر السلاسي، (تونس: مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، ب.ط، 1400هـ-1980م).
- إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي، تحقيق: سيد أحمد صقر، (مصر: دار المعارف، ط الثالثة، ب.ت).

- إجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى الرفاعي، (القاهرة: مؤسسة المختار، ط الأولى، 1423هـ - 2003م)،
- إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش، (سوريا: دار ابن كثير، ب.ط، 1408هـ - 1988م).
- الأقصى القريب، في علم البيان، محمد بن محمد بن عرمو التتوخي (السعادة، ط الأولى، ب.ت.)
- الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، أبو النجا شرف الدين موسى الحجازي المقدسي، تعليق : عبد اللطيف السبكي، (بيروت: دار المعرفة، ب. ط، ب. ت.).
- الإمام البقاعي جهاده ومنهاج تأويله بلاغة القرآن الكريم، د. محمود توفيق (ط الأولى، ب.ت.).
- إمعان النظر في نظام الأبي والسور، د. محمد عناية الله أسد سبحاني، (عمان: دار عمار، ط الأولى، 1414هـ - 2003م)
- الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال بها بهامش الكشاف، (مصر: مصطفى الحلبي، ط الأخيرة، 1392هـ - 1972م).
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي، (بيروت: دار الفكر، ب.ط، ب. ت.).
- أنوار الربيع في أنواع البديع، ابن معصوم : علي بن أحمد محمد، ت : شاكرا هادي شكري (النجف الأشرف: مطبعة النعمان، ب.ط، 1388هـ - 1968م)،
- "أهمية اعتبار السياق في المجالات التشريعية وصلته بسلا مة العمل بالأحكام"، أعمال الندوة العلمية الدولية التي نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء، (المغرب: دار أبي رقرق، ط الأولى، 2007م)
- "الإيضاح في علوم البلاغة"، الخطيب القزويني، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي (بيروت: دار الجيل، ط الثالثة، ب.ت.).

ب

- "البحث الاجتماعي قواعده وإجراءاته مناهجه وأدواته"، دكتور عبد الحميد سعيد، (القاهرة: مكتبة نهضة الشرق، 1981م)،
- البحر المحيط"، أبو حيان: محمد بن يوسف الأندلسي، (بيروت: دار الكفر، ط الثانية، 1412هـ - 1992م).
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أحمد بن عجيبة (بيروت: دار الكتب العلمية، ب.ط، 2002م)
- بديع القرآن لابن أبي الأصبع المصري، تحقيق : حفني محمد شرف، (القاهرة : مكتبة نهضة مصر، ب. ط، 1377 هـ - 1957 م)
- البرهان في توجيه متشابه القرآن أو أسرار التكرار القرآني، محمود بن حمزة الكرمانلي، تحقيق : عبدالقادر أحمد عطا (القاهرة : دار الاعتصام، ب. ط، 1394 هـ - 1974 م).
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار الفكر، ط الثالثة، 1400 هـ)

- البرهان في وجوه البيان" ابن وهب، تحقيق : أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، (ط الأولى).
- بلاغة أرسطو بين العرب والي ونان، د. إبراهيم سلامة، (القاهرة: الأنجلو المصرية، ط الثانية، 1952م).
- بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم، د. محمد عبد الله النقراط، (دمشق: دار قتيبة، ط الأولى، 1423هـ-2002م).
- البلاغة تطور وتاريخ"، د: شوقي ضيف، (مصر، دار المعارف، ط الثامنة، 1992م).
- "بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، د. علي أبو القاسم عون، (بيروت: دار المدار الإسلامي، ط الأولى، 2006م).
- "البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية"، د. محمد محمد أبو موسى، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط2، 1408هـ-1988م)
- بلاغة الكلمة والجملة والجمل، د. منير سلطان، (الإسكندرية: منشأة المعارف، ب.ت).
- "البلاغة والنقد الأدبي في شروح الاختبارات الشعرية"، د. محمد بن سليمان الصيقل (الرياض: مكتبة التوبة، ط1، 1422هـ، 2002م).
- بيان إعجاز القرآن، الخطابي : أبو سليمان حمد بن محمد، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ن، ت: محمد خلف الله ود. محمد زغول (القاهرة: دار المعارف، ط4، ب.ت).
- البيان في ضوء أساليب القرآن، د. عبدالفتاح لاشين، (القاهرة: دار الفكر العربي، ب.ط، 1420هـ-2000م).

ت

- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة : عبد الله بن مسلم، تحقيق : السيد أحمد صقر (القاهرة: مكتبة التراث، ط الثانية، 1393هـ-1973م).
- "التبيان في إعراب القرآن" العكبري: عبد الله به الحسين، تحقيق: سعد الفقي (دار اليقين، ط الأولى، 1422هـ-2001م).
- تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الإصبع المصري"، تحقيق: د. حفني محمد شرف (الجمهورية العربية المتحدة: لجنة إحياء التراث، ب.ط، ب.ت).
- التحرير والتنوير، للإمام محمد الطاهر بن عاشر، (تونس، الدار التونسية، ب.ط، 1984).
- التراكيب اللغوية، د. هادي نهر، (عمان: دار اليازوري، ب.ط، 2004م).
- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، (مصر: دار المعارف، ط التاسعة، ب.ت)
- التعبير الفني في القرآن د.بكري شيخ أمين(بيروت:دار القلم، ط الأولى 1994م، ط السابعة، 2004م)

- "التعبير القرآني"، د. فاضل صالح السامرائي، (عمان: دار عمار، ط الرابعة، 1427هـ-2006م)، تفسير آيات الأحكام، محمد علي السائس وزملاؤه (بيروت، دار ابن كثير، ط الرابعة، 1422هـ-2002)،
- تفسير آيات الأحكام، الصابوني، (القاهرة: دار إحياء الحديث، ط التاسعة، ب.ت).
- تفسير الشعراوي، (الأزهر: مجمع البحوث الإسلامية، ب.ط، بت).
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (بيروت: دار المعرفة، ب. ط، 1405هـ، 1984م).
- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب (دار الفكر العربي، ب. ط، ب. ت).
- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب " الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي، (بيروت: دار إحياء التراث، ط الثالثة، ب. ت)
- تفسير المنار، محمد رشيد رضا (مصر: مطبعة المنار، ب.ط، 1325هـ)،
- التكرار بلاغة، د. إبراهيم محمد الخولي (الشركة العربية للطباعة والنشر، ب. ط، 1993م)
- التناسب البياني في القرآني دراسة في النظم المعنوي والصوتي، د. أحمد أبو زيد، (الدار البيضاء، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1992م)،
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ : عبد الرحمن السعدي، تصحيح : محمد البسام، (جدة: مطبعة المدنى، 1408هـ، 1998م)

ث

- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر ، تحقيق : محمد خلف الله أحمد . د. محمد زغلول سلام، (القاهرة: دار المعارف . ط الرابعة ، ب.ت).

ج

- جامع البيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (بيروت، دار المعرفة، ب.ط، 1406هـ-1986م)
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (دار الكتب العلمية، ب.ت. ب.ط، 1413هـ-1993م).
- جمالية الخبر والإنشاء دراسة بلاغية جمالية نقدية، د. حسين جمعة (دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ب.ط، 2005م).
- جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير، د. أحمد يا سوف، (دار المكتبي ، ط الأولى ، 1415 هـ-1994م).

ح

- حاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص،: محمد بن أحمد الدسوقي (مصر: مطبعة السعادة، ط2، 1342)،

- حاشية الدسوقي على مختصر السعد، تحقيق: د. خليل إبراهيم خليل، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط الأولى، 1423هـ-2002م).
- حاشية زاده علي البيضاوي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ب.ط، ب.ت)
- حاشية الشهاب" المسمى عناية القاضي وكفاية الرازي على تفسير البيضاوي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ب.ط، ب.ت)،
- حاشية القهنوي على تفسير البيضاوي (بدون بيانات)
- حقائق التأويل في متشابه التنزيل، الشريف الرضي شرح: محمد الرضا كاشف الغطاء، (منتدى النشر، ب.ط، 1355هـ، 1936م)، :
- الحقوق العامة للمرأة، د . صلاح عبد الغني محمد، (مصر: الدار العربية للكتاب، ط الأولى، 1418هـ-1998م)،
- "حقوق المرأة في الزواج"، د: محمد عمر عتین (القاهرة: دار النصر، ب.ط، ب.ت)
- الحيوان" تحقيق: عبد السلام هارون، (بيروت: المجمع العربي الإسلامي، ط3، 1388هـ).

خ

- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق : محمد علي النجار، (بيروت: دار الكتاب العربي، ب.ط، ب.ت).
- خصائص التراكم، د. محمد محمد أبو موسى، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط الخامسة، 1421هـ - 2000م)، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية "
- خصائص التعبير القرآني و سماته البلاغية، د . عبد العظيم المطعني، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط الأولى، 1413هـ-1992م).

د

- دراسات بلاغية"، د . بسيوني عبد الفتاح فيود (القاهرة: مؤسسة المختار، ط الأولى، 1419هـ-1998م)،
- دراسات جديدة في إعجاز القرآن "، د : عبد العظيم إبراهيم المطعني، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط الأولى، 1417هـ-1996م)،
- دراسات قرآنية، محمد قطب، (القاهرة: دار الشروق، ط السادسة، 1411هـ-1991م)
- درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز ، الخطيب الإسكافي، (بيروت : دار الأفاق الجديدة، ط الثالثة، 1979 م)
- دلائل الإعجاز، الجرجاني : عبد القاهر بن عبد الرحمن، ت: محمود شاكر، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط3، 1410هـ-1989م)

- "دلالات الألفاظ دراسة بيانية ناقدة" د. محمود توفيق، (مصر: شبرا، مطبعة الأمانة، ط الأولى 1407هـ-1987م)
- دلالات التراكيب، دراسة بلاغية، د. محمد محمد أبو موسى (القاهرة: مكتبة وهبة، ط الثانية، 1408هـ-1987م)،
- "دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم"، د: منير محمد المسيري، (القاهرة، مكتبة وهبة، ط الأولى، 1426-2005)،
- ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العلامة الواحدي"، تحقيق: د. عمر فاروق الطباع، (لبنان: بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم، ب. ت)،
- ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي الفتح عثمان بن جني المسمى بالفسر"، تحقيق: د. صفاء خلوجي، (بغداد: المؤسسة العامة للصحافة والطباعة مطبعة دار الجمهورية، ب. ط، 1389هـ، 1969م)
- ديوان زهير، (بيروت: دار الأفاق الجديدة، ط الأولى، 1390هـ-1970م).
- ديوان طرفة،مراجعة أحمد فرهود،(حلب:دار القلم العربي،ط1420،1هـ-1999م
- "ديوان المرقشين"، ت:كارين صادر، (بيروت: دار صادر، ط الأولى، 1998م).
- "ديوان المفضلين شرح الأنباري"،(بورسعيد:مكتبة الثقافة الدينية،ط الأولى،1420هـ، 2000م).
- ديوان النابغة، ابن السكيت، تحقيق: شكري فيصل،(بيروت:دار الفكر، ب. ط، 1388هـ-1968م).

د

- روح البيان ، إسماعيل حقي البرسوي (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ب.ط ، ب.ت)
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني " شهاب الدين محمود الألوسي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط الرابعة، 1405هـ-1985م).

ز

- زيادة الحروف بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم "د.هيفاء عثمان ندا،(القاهرة: مكتبة القاهرة للكتاب، ط الأولى، 2000م-1421هـ).

س

- "سبل الاستنباط من الكتاب والسنة دراسة بيانية ناقدة" د. محمود توفيق سعد، (مصر: مطبعة الأمانة، 1413هـ-1992م)،
- سر الفصاحة، ابن سنان : عبد الله بن محمد الخفاجي، (بيروت:دار الكتب العلمية،ب.ت).
- سنن أبي داوود" تعليق : محمد محيي الدين عبد الحميد، (دار الفكر، ب.ت).
- سنن النسائي، (بيروت: دار الفكر، 1996م).

- "السياق وتوجيه النص"، د. عيد بليغ، (مصر: دار الكتب المصرية، ط الأولى، 1429هـ - 2008م).

ش

- "شخصية المرأة بين رؤية الإسلام وواقع المسلمين" حسن الصفار، (بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، ط الثانية، 2007)
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (القاهرة: ط الثالثة عشرة، 1962م).
- شرح اختيارات المفضل " تحقيق: فخر الدين قتادة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 2، 1407هـ، 1987هـ)،
- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء ال عكبري المسمى التبيان في شرح الديوان " ضبط وتصحيح: مصطفى السقا، وزملاؤه، (لبنان: بيروت: دار المعرفة، ب.ت).
- "شرح ديوان الحماسة"، المرزوفي: أحمد بن محمد بن الحسن، تحقيق: أحمد أمين وعبد السلام هارون، (بيروت: دار الجبل، ط1، 1411هـ، 1991)
- شرح المضمون به على غير أهله " عبید الله بن الكافي العبيدي، (بغداد: دار البيان، بيروت: دار صعب، ب. ط، ب. ت)
- شرح الرضي على الكافية"، رضى الدين الاستريادي: محمد بن الحسن، تحقيق: يوسف حسن عمر، (ليبيا، جامعة قاريونس، ب.ط، 1398هـ - 1987م).
- شرح المفصل"، موفق الدين بن يعيش النحوي، (القاهرة: مكتبة المتنبي، ب.ت، ب. ط).
- شروح الشعر الجاهلي، د. أحمد جمال العمري، (مصر: دار المعارف، ط الأولى، 1981م)،

ص

- صحيح البخاري"، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، (بيروت: إحياء التراث العرب، ب. ط، ب.ت).
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، (بيروت: دار الكتب العلمية، ب.ط، 1992م).
- صحيح مسلم بشرح النووي، أبو بكر زكريا يحيى بن شرف النووي، (بيروت: دار إحياء التراث، ط الثالثة، ب. ت).
- "الصناعتين" تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار الفكر العربي، ط2، ب.ت).
- صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم" د. محمود توفيق، (مصر: مطبعة الإمامة، ط الأولى، 1413هـ - 1993م).
- الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، منهجاً وتطبيقاً، د. أحمد علي دهمان، (دمشق: وزارة الثقافة، ط الثانية، 2000م).

ط

- "الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز"، حمزة بن العلوي العلوي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ب. ط، 1400هـ-1980م).

ظ

- "الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم"، نذير حمدان (جدة، دار المنارة، ط الأولى، 1412هـ-1991م).

ع

- عروس الأفراح شرح تلخيص المفتاح"، أحمد بن علي السبكي، تحقيق: د. خليل إبراهيم خليل، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط. الأولى، 1422هـ-2001م).
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بدون بيانات).
- "عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، الإمام العيني، ضبطه وصححه: عبد الله محمود محمد عمر، (بيروت: دار الكتب العلمية، ب. ت).
- عون المعبود وشرح سنن أبي داود، شمس الحق: محمد العظيم أبادي (بيروت: دار الكتب العلمية، ط الأولى، 1410هـ-1990م).
- "عيار الشعر"، ابن طباطبا: محمد بن أحمد العلوي، تحقيق: د. عبدالعزيز المانع، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ب. ت).

غ

- غرائب القرآن وورغائب الفرقان بهامش جامع البيان، في تفسير القرآن، نظام الدين الحسن بن حسين النيسابوري، (بيروت: دار المعرفة، ط الأولى، 1406هـ).

ف

- فتح الباري شرح صحيح البخاري" ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، (القاهرة: للتراث دار الريان، ط الثالثة، 1409هـ-1988م).
- "فتح القدير"، محمد بن علي الشوكاني، (بيروت: دار الكتب العلمية، ب. ط، 1997م).
- الفروق اللغوية.
- فن البلاغة د. عبد القادر حسين، (بيروت: عالم الكتب، ط الثانية، 1405هـ-1984م).

ق

- "القاموس المحيط"، الفيروز أبادي محمد بن يعقوب، (بيروت: المؤسسة العربية للطباعة والنشر، ب. ت).
قبس من نور القرآن، دراسة تحليلية موسعة بأهداف ومقاصد السور الكريمة، محمد علي الصابون، (دمشق: دار الفكر، ط الثالثة، 1409هـ-1989م).
- القرآن والصورة البيانية، د. عبد القادر حسين، (القاهرة: دار نهضة مصر، ب. ط، 1975 م).
- "قضايا المرأة في سورة النساء"، د. محمد يوسف عيد (الكويت: دار الدعوة، ط الأولى، 1405هـ-1985م).

ك

- الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، لابن قدامة (بيروت: المكتب الإسلامي، ط 1 الثانية، 1399هـ).
- الكتاب: سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، (بيروت: عالم الكتب، ب. ت).
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل " أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، مراجعة: يوسف الحمادي، (مصر: الفجالة، مكتبة مصر، ب. ط، ب. ت).
- كشف المعاني في المتشابه المثنائي بدر الدين ابن جماعة، تحقيق عبد الجواد خلف، (المنصورة: دار الوفاء، ب. ط، 1410 هـ -1990م).

ل

- "لباب النقول في أسباب النزول"، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد المجيد طعمة حلي، (بيروت: دار المعرفة، ط الأولى، 1418هـ-1997م).
- لسان العرب، ابن منظور، (بيروت: دار إحياء التراث العرب، ب. ت. ب. ط).

م

- ماذا عن المرأة، د. نور الدين عتر، (دمشق: دار الفكر، ط الرابعة، 1402هـ-1981م).
- المبدع شرع المقنع، ابن مفلح الحنبلي، (المكتب الإسلامي، 1988م).
- "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، ضياء الدين محمد بن محمد ابن الاثير تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد" بيروت: المكتبة العصرية، ط1، 1420هـ-1999م).
- محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط الأولى، 1415هـ-1994م).
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط الأولى، 1422هـ-2001م).

- مجاز القرآن، أبو عبيدة: معمر بن المثنى، علق عليه: د. محمد فؤاد سزكين، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ب. ط، 1374هـ-1954م).
- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، (بيروت: دار الفكر، ب.ت)
- مختصر المعاني للفتازاني، (بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ب.ط، 1424هـ-2004م).
- مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني، د . محمد م حمد أبو موسى، (القاهرة، مكتبة وهبة، ط الأولى، 1418هـ-1998م).
- المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني "، د . محمد سعيد رمضان البوطي، (دمشق: دار الفكر، ب.ط، 1996م).
- المرأة بين القرآن الكريم وواقع المسلمين، راشد الغنوشي، (دمشق: مركز الولاية، ط الأولى، 1424هـ-2005م).
- المرأة من خلال الآيات القرآنية"، عصمت الدين كركر، (تونس: الشركة التونسية للتوزيع، ب. ط): مسالك العطف بين الخبر والإنشاء، د. محمود توفيق (مصر، مطبعة الأمانة، ط الأولى، 1413هـ، 1993م).
- المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم"، سعد الدين مسعود بن ع مر الفتازاني، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط الأولى، 1422هـ-200م).
- معالم التنزيل وأسرار التأويل، البغوي، تحقيق : خالد عبد الرحمن، مروان سوار، (بيوت: دار المعرفة، ط الخامسة، 1423هـ-2009م).
- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، ش رح وتعليق: د. عبد الجليل شلبي، (بيروت: عالم الكتب، ط الأولى، 1408هـ-1988م).
- معاني القرآن وإعرابه الأخص الأوسط سعيد بن مسعده، تحقيق: فايز فارس، (الكويت، ط الثانية، ب. ت).
- معتزك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، تصحيح: أحمد شمش الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط الأولى، 1408هـ-1988م).
- معجزة القرآن، الشيخ الشعراوي، (مؤسسة أخبار اليوم، 1399هـ-1979م)،
- "معجم المصطلحات البلاغية وتطورها"، د . أحمد مطلوب، (مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1403هـ-1983م).
- معجم مقاييس اللغة"، أبو الحسين أحمد بن فارس، ت : عبد السلام هارون، (بيروت: دار الجيل، ط 1، 1411هـ-1991م).
- المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين (تركيا: المكتبة الإسلامية، ط الثانية، 1392هـ-1972م).

- "مع النظم القرآني في سورة النور"، د. الشحات محمد عبد الرحمن، (مصر: مطبعة الأمانة، ط الأولى، 1407هـ-1986م).
- مغني اللبيب عن كتب الأعراب"، ابن هشام : يوسف بن أحمد الأنصاري، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية، ب . ط، 1407هـ-1987م).
- مفتاح العلوم، السكاكي : ابو يعقوب يوسف بن محمد، ت : د. عبد الحميد هندواوي، (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، 1420هـ، 2000م).
- المفردات في غريب القرآن.
- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من أي التنزيل، ابن الزبير الغرناطي، تحقيق: سعد الفلاح (بيروت: ط الأولى، 1403هـ-1983).
- "من أساليب القرآن -المجاز العقلي"، د. عبد الرزاق محمد فضل، (طنطا: مطبعة النوكي، ب.ت).
- "من أسرار التعبير بالحروف المشبهة بالفعل (إن وأخواتها) في القرآن الكريم"، د. هاشم محمد هاشم، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ط الأولى، 1414هـ-1994م)
- من أسرار التعبير القرآني دراسة تحليلية لسورة الأحزاب"، د. محمد محمد ابو موسى (القاهرة، مكتبة وهبة، ط2، 1416هـ-1996م).
- من أسرار حروف العطف في الذكر الحثيث(الفاء وثم)، د. محمد الأمين الحصري، (مكتبة وهبة).
- "مناهج في تحليل النظم القرآني"، د. منير سلطان،(الإسكندرية: منشأة معارف، ب.ت)
- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني،(بيروت: دار إحياء الكتب العربية، ب. ط، ب.ت).
- من بلاغة القرآن"، أحمد بدوي (القاهرة: نهضة مصر، ب. ط، 2005م).
- "من مباحث البلاغة والنقد بين ابن الأثير والعلوي"، د. نزيه عبد الحميد فراج (القاهرة : مكتبة وهبة، الأولى، 1417هـ-1997م).
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، (دار الكتب الشرقية، بدون بيانات).
- "منهج البحث في تاريخ الأدب" لانسون، ترجمة: د. محمد مندور منشور ضمن كتاب النقد المنهجي، (القاهرة: دار نهضة مصر، ب. ت).
- "الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري" للآمدي، تحقيق: السيد أحمد صقر، (القاهرة: دار المعارف، ط4، 1379هـ، 1960م).
- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري"، أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدي، تحقيق: د. عبد الله حمد محارب، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط الأولى، 1410هـ-1990م).

ن

- الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة البغدادي، تحقيق : د. موسى بناي علوان، (بيروت: الدار العربية، ط الأولى، 1989م).
- نظم الدرر، برهان الدين بن عمر البقاعي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط الأولى، 1415هـ-1995م).
- "النظم الفني في القرآن"، د. عبد المتعال الصعيدي، (القاهرة، مكتبة الآداب، ب.ت).
- "النظم القرآني في الكشف"، درويش الجندي، (القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ط الأولى، ب.ت).
- "تقد الشعر" قدامة بن جعفر، تحقيق : كمال مصطفى، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط الثالثة، 1398هـ-1978م).
- نهايات الآيات القرآنية بين الإعجاز المعنى وروعة الموسيقى، د . احمد عبد المجيد محمد خليفة، (القاهرة: مكتبة الآداب، ب.ط، 1426هـ-2006م).

و

- الوساطة بين المتنبي وخصومة" القاضي علي عبد العزيز الجرجاني، تحقيق: محمد أبو الفضل، علي محمد البجاوي (مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ب.ت).
- وليس الذكر كالأنثى"، دراسة من منظور الإسلام والعلوم الحديثة، محمد عثمان الخشت، (القاهرة: مكتبة القرآن، ب . ط. 1405هـ-1985م).

الرسائل العلمية

- أساليب التوكيد ومقتضياتها البلاغية في سورة النساء، ياسر عبد الحميد عرقوب، (رسالة دكتوراه: جامعة الأزهر، 1426هـ-2005م).
- أسلوب التوكيد في اللغة العربية، محمد حسين أبو الفتوح، (رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، 1978م).
- أسلوب القسم في القرآن الكريم دراسة بلاغية ، علي محمد الحارث، (رسالة دكتوراه: جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، 1411هـ، 1991م).
- الأسرار البلاغية للتقديم والتأخير في سورة البقرة، خالد بن محمد العيثم، (رسالة ماجستير: جامعة أم القرى، 1418هـ).
- خصائص بناء الجملة القرآنية ودلالاتها البلاغية في تفسير " التحرير والتنوير"، إبراهيم علي الجعيد، رسالة دكتوراه (مكة: أم القرى، كلية اللغة العربية، 1419هـ - 1999م).

- سورة النساء، دراسة بلاغية تحليلية، (خديجة محمد البناني (رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، 1422هـ-2001م)، الأسرار البلاغية للتقديم والتأخير في سورة البقرة، خالد محمد إبراهيم العثيم (رسالة ماجستير : جامعة أم القرى ، 1418 هـ).
- علم المعاني في التفسير الكبير للفخر الرازي "، فائزة سالم أحمد ، (رسالة دكتوراه جامعة أم القرى، 1430هـ-1993م).
- مباحث علم المعاني في ضوء تفسير روح البيان"، عبد الحافظ محمد حامد، رسالة دكتوراه (القاهرة: جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، 1409هـ-1989م).
- المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية، صالح عبد الله الشثري، (رسالة دكتوراه: جامعة أم القرى، 1421هـ-2001م).
- مشتبّه النظم في القرآن الكريم، عبد العزيز حسين خضر ، (رسالة دكتوراه: جامعة الأزهر، 1404هـ-1984م).
- من البلاغة القرآنية في آيات أحكام النساء "، أميرة عواد القايدي، (رسالة ماجستير : كلية التربية بجدّة، 1425-2004).

الدوريات

- بلاغة التوكيد في القرآن الكريم : د. عبد الفتاح محمد سلامة، (مجلة الفافلة، شوال، 1413هـ-مارس/إبريل 1993م).
- أسرار التعبير القرآني في حديث الإفك"، د. أحمد إبراهيم حمد (مجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق، العدد الخامس عشر، 1415هـ-1995م).
- "حواء أم البشرية كما تصورها البلاغة القرآنية" خالد السيد بلاسي.(المجلة العربية: عدد 194، ربيع الأول، 1414هـ- سبتمبر 1993م).
- "خصائص البيان بالإيتاء والإعطاء في القرآن ". د: السيد محمد سلام (مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية، العدد الخامس عشر، 1416هـ، 1996م).
- "المرأة في مجتمع الإسلام"، د: نفيسة إبراهيم باجي، (مجلة الوعي الإسلامي : الكويت: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، العدد 241، محرم، 1405هـ، أكتوبر 1984م)،
- "أسباب النزول وأسرار البلاغة في القرآن الكريم"، د. نور الدين عتر (مجلة الوعي الإسلامي: العدد 242، صفر 1405هـ).
- "لمحات نفسية في القرآن الكريم"، د. عبد الحميد محمد الهاشمي، (سلسلة شهرية تصدر مع مطلع كل شهر عربي، السنة الثانية، دار الأصفهاني، جدة، 1402هـ، صفر، العدد(11)).

خامساً : فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
5	المقدمة
14	التمهيد
17	الفصل الأول :مسالك التوكيد ومقتضياتها البلاغية في آثار العلماء
20	المبحث الأول: في آثار المفسرين وشرح السنة:
21	أولاً: التوكيد بالأداة (إن، لام الابتداء، نونا التوكيد....)
35	ثانياً: التوكيد بغير الأداة (المصدر ، القصر، الفصل....)
58	المبحث الثاني: في آثار النقاد وشرح الشعر:
61	أولاً: التوكيد بالأداة (إن، لام الابتداء، نونا التوكيد....)
66	ثانياً: التوكيد بغير الأداة (المصدر ، القصر، الجملة الاسمية....)
83	المبحث الثالث: في آثار البلاغيين :
88	أولاً: التوكيد بالأداة (إن، لام الابتداء، نونا التوكيد....)
97	ثانياً: التوكيد بغير الأداة (المصدر ، القصر، الجملة الاسمية....)
128	المبحث الرابع:موازنة بين مناهج العلماء في دراسة مسالك التوكيد ومقتضياتها
147	الفصل الأول :مسالك التوكيد حقوق المرأة ومقتضياتها البلاغية في القرآن الكريم :
149	المبحث الأول: مسالك التوكيد بالأداة ومقتضياتها:
189	المبحث الثاني: مسالك التوكيد بالأسلوب ومقتضياته:
269	المبحث الثالث: مشتبه النظم في مسالك توكيد حقوق المرأة في القرآن الكريم:
301	الخاتمة
305	تصنيف عام بحقوق المرأة ومسالك توكيدها في الآيات القرآنية (مناط الدراسة).
317	الفهارس العامة
317	فهرس الآيات القرآنية.
333	فهرس الأحاديث النبوية الشريفة
334	فهرس الأبيات الشعرية
338	فهرس المصادر والمراجع
351	فهرس الموضوعات